من مقومات الدعوة والداعية

في حياة الإمام

"بديع الزمان سعيد النورسي"

من خلال "الشهود الأواخر"

تأليف

أسامة أبو العباس عبد الحليم شهوان

إهـــداء..

- إلـــى أبناء الخدمة الإيمانية النورية في كل مكان.. من يقومون ويقعدون على خفقان شد العالم بحقائق الإيمان..
- إلـــى أصـــحاب الـــروح الإيمانية الفياضة، والإرادة العازمة الواثقة، والقدرة الحركية الإيجابية البناءة... من يحتضنون من الآن الغد الآتي بضياء العقل ونور القلب..
- وإلى الناسجين على منوالهم على بصيرة واعية... والسالكين دربهم بالحكمة والموعظة الحسنة..
- وإلـــى الآذان المتعطـــشة لكلمة الحق النى ينطق بها النور.. وإلى العيون التوّاقة لرؤية الـــنور.. يحيي القلوب الفارغة.. وينير العقول المعتمة.. وينشر الأمن والأمان.. ويشيع المحبة والسلام..

(محتويات الكتاب)

الموضوع	الصفحة
* المقدمة	١
* المدخل (ضوء على مفردات عنوان الكتاب)	٤
أ- المقومات	٤
ب- الدعوة	٤
ج- الداعية	٥
د- الإمام "بديع الزمان سعيد النورسي"	٧
١- المكان والسكان والزمان	٧
٢- سعيد القديم (١٨٧٦ – ١٩٢١)	٨
٣- سعيد الجديد (١٩٢٢ – ١٩٥٠)	١٠
٤- سعيد الثالث (١٩٥٠ – ١٩٦٠)	١١
هـ- الشهود الأواخر	١٣
الباب الأول (من مقومات الدعوة)	١٧
*** الفصل الأول: ماهية الدعوة ومصادرها**	١٧
- **المطلب الأول:** ماهية الدعوة	١٧
أولا: ما الذي تعالجه الدعوة النورية ؟	١٨
ثانيا: لماذا رسائل النور ؟	١٨
- **المطلب الثاني:** مصادر الدعوة النورية	٢٠
أولا: القرآن الكريم	٢٠
ثانيا: السنة النبوية المطهرة	٢١
ثالثا: سيرة السلف الصالح والتابعين	٢١
رابعا: مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية	٢٢
*** الفصل الثاني: الطابع المميز للدعوة النورية ومعالمها**	٢٣
- **المطلب الأول:** التركيز على الأصل وعدم تبديد الجهد في الجزئيات	٢٣
- **المطلب الثاني:** الجمع بين القلب والعقل	٢٤
أولا: التفكير الإيماني	٢٥
ثانيا: العقلية الموضوعية	٢٥
ثالثا: تزكية النفس والارتقاء الروحي	٢٦
- **المطلب الثالث:** الحضور الأخروي	٢٨
- **المطلب الرابع:** التغيير التدريجي والجهاد المعنوي	٣٠
- **المطلب الخامس:** التمييز بين الدعوة والسياسة	٣١
*** الفصل الثالث: أهم غايات الدعوة النورية وأهدافها**	٣٦
- **المطلب الأول:** إنقاذ الإيمان	٣٦
أولا: إقامة الخير وصد الشر	٣٧
ثانيا: إعطاء الحياة معنى	٣٧
ثالثا: تقوية الإرادة	٣٧
رابعا: التأصيل العميق للشفقة	٣٧
خامسا: سلوك الطريق الأقصر للإيجابية البناءة	٣٨
سادسا: تحقيق الاتحاد والمحبة وإعلاء كلمة الله	٣٨
سابعا: المصالحة بين المدرسة الدينية والمدرسة الحديثة	٣٨
ثامنا: نيل مرضاة الله تعالى	٣٨
تاسعا: التأسيس للشكر والعبادة	٣٩
عاشرا: تأسيس التواصل الإسلامي	٣٩

الموضوع	الصفحة
حادي عشر: إنقاذ الإنسان	٣٩
ثاني عشر: القيام بوظيفة الخدمة	٣٩
ثالث عشر: الحماية من الهلاك	٤٠
- **المطلب الثاني:** بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق	٤٠
- **المطلب الثالث:** تحقيق قوة رابطة الأخوة والمحبة	٤٠
- **المطلب الرابع:** تحصيل الأمن والنظام والحرية	٤١
- **المطلب الخامس:** دفع العلل الاجتماعية المدمرة	٤٢
- **المطلب السادس:** الاتحاد بين أهل الإيمان	٤٣
- **المطلب السابع:** تحقيق صحوة إسلامية راشدة	٤٣
* **الفصل الرابع: من قواعد الدعوة النورية وأصولها**	٤٥
- **المطلب الأول:** الإيمان التحقيقي	٤٥
- **المطلب الثاني:** الأمل الواثق والاستشراف المستقبلي	٤٦
- **المطلب الثالث:** الدافع الذاتي للإخلاص	٤٦
- **المطلب الرابع:** ارتباط الدعوة بالعلم والعمل	٤٧
- **المطلب الخامس:** معرفة الواقع المعاصر	٤٨
- **المطلب السادس:** انفتاح القلب نحو القرآن	٤٨
- **المطلب السابع:** استعمال الوسائل المشروعة	٤٩
- **المطلب الثامن:** رسالية الدعوة وتنزهها	٥٠
- **المطلب التاسع:** الحياة بالدعوة	٥٠
- **المطلب العاشر:** الصفاء والإخلاص	٥١
- **المطلب الحادي عشر:** المثابرة والإصرار	٥٢
- **المطلب الثاني عشر:** الوعي بقوانين الفطرة	٥٢
- **المطلب الثالث عشر:** الميزان الدقيق في العلاقات	٥٣
- **المطلب الرابع عشر:** معرفة المدعوّ وأسلوب التفاهم معه	٥٣
أولا: معرفة المدعوّ	٥٣
ثانيا: الحذر من النقاش والجدال	٥٣
ثالثا: الانخلاع من الأنانية	٥٤
رابعا: معرفة البناء الفكري للمدعوّ	٥٤
خامسا: معرفة ثقافة العصر	٥٥
سادسا: مرونة الداعية	٥٥
سابعا: النزول بمنازل المخاطبين	٥٥
ثامنا: النظرة من زاوية العصر	٥٦
الباب الثاني (من مقومات الداعية)	٥٧
* **الفصل الخامس: وظيفة الداعية**	٥٧
- **المطلب الأول:** إنقاذ إيمان الناس	٥٨
- **المطلب الثاني:** المرابطة في خدمة حقائق الإيمان والدفاع عن القرآن	٥٨
- **المطلب الثالث:** بناء الأسس المتينة	٥٩
- **المطلب الرابع:** تبليغ الدعوة للناس كافة	٥٩
أولا: دعوته للرعاة	٦٠
ثانيا: دعوته للغجر	٦٠
ثالثا: دعوته للسائقين	٦٠
رابعا: دعوته للفرّان	٦٠
خامسا: دعوته لرجال الشرطة	٦٠

الموضوع	الصفحة
سادسا: دعوته للمعلمين	٦١
سابعا: دعوته للنواب في عهد الاتحاد والترقي	٦١
ثامنا: دعوته لرئيس الجمهورية كمال أتاتورك	٦٢
تاسعا: دعوته للسياسيين الديمقراطيين	٦٢
عاشرا: دعوته لوزير المعارف وأركان الدولة	٦٢
حادي عشر: دعوته لرئيس الجمهور ورئيس الوزراء الديمقراطيين	٦٣
ثاني عشر: دعوته للعصاة والإشفاق عليهم	٦٣
ثالث عشر: دعوته للمخالف في المذهب الديني	٦٤
رابع عشر: دعوته للآخر الديني	٦٤
* **الفصل السادس: من سمات الداعية وأخلاقه**	٦٥
- **المطلب الأول:** أهلية التصدر للدعوة	٦٥
أولا: جودة المعرفة بأصول الإسلام وفروعه	٦٥
ثانيا: الروح المفعمة بالحق والنشاط والأمل	٦٥
- **المطلب الثاني:** الصلة بالله وعمق العالم الروحي	٦٦
- **المطلب الثالث:** الإخلاص التام	٦٧
- **المطلب الرابع:** الصبر الجميل	٦٨
- **المطلب الخامس:** الشجاعة	٦٩
- **المطلب السادس:** التضحية	٧٠
- **المطلب السابع:** الإيثار والحذر من الأنانية	٧٠
- **المطلب الثامن:** الهمة العالية والغيرة على الدين	٧٠
- **المطلب التاسع:** الرحمة والشفقة	٧١
- **المطلب العاشر:** الأمل والثقة في تأييد الله	٧٢
- **المطلب الحادي عشر:** التسامح والعفو	٧٤
- **المطلب الثاني عشر:** مداومة العبادة والدعاء	٧٤
- **المطلب الثالث عشر:** رهافة الحس	٧٥
- **المطلب الرابع عشر:** المنطق والواقعية	٧٥
- **المطلب الخامس عشر:** مراجعة النفس	٧٥
- **المطلب السادس عشر:** الوعي العلمي والفقه الشامل	٧٧
أولا: فقه التعامل مع المسائل الاجتماعية	٧٧
ثانيا: فقه التعامل مع الواقع السياسي	٧٨
ثالثا: فقه المصلحة	٧٩
رابعا: فقه التجديد في الحركة بالدعوة	٨٠
خامسا: فقه درء الفتن	٨٠
سادسا: فقه الواقع بكل مكوناته	٨١
سابعا: فقه التآلف وقواعده	٨٢
* **الفصل السابع: من عدة الداعية**	٨٥
- **المطلب الأول:** العقلية الواقعية التصويرية	٨٥
أولا: القصة والحكاية	٨٦
ثانيا: ضرب الأمثال	٨٧
ثالثا: مقابلة الحقائق المغيبة بأحوال دنيانا العملية	٨٧
رابعا: النظر إلى صور المعنويات	٨٩
خامسا: النظر في الآفاق	٨٩
سادسا: الالتفات إلى الآثار	٩٠
- **المطلب الثاني:** الحياة الروحانية الاجتماعية	٩٠

الموضوع	الصفحة
- **المطلب الثالث:** الطبيعة الحركية الإيجابية	٩٢
أولا: الحركة الدائبة	٩٢
ثانيا: الحركة بالدعوة في صميم المجتمع	٩٤
١- الحركة بين رجال الشرطة والجيش	٩٤
٢- الحركة بين المتصوفة	٩٤
٣- الحركة بين الأطباء والمعلمين	٩٥
٤- الحركة بين الأطفال	٩٥
٥- الحركة بين العلماء الرسميين	٩٥
٦- الحركة نحو الخارج	٩٦
ثالثا: تجميع الطلاب لإيجاد الشخصية المعنوية	٩٦
١- حراس الحقيقة والنور	٩٧
٢- طلاب مضحون	٩٧
٣- أرباب العفة والطهارة	٩٧
٤- طلاب المرحمة	٩٨
٥- الأمناء على استمرار المسيرة	٩٨
* **الفصل الثامن: أسلوب الداعية**	٩٩
- **المطلب الأول:** الأسلوب العملي المفعم بروح المحبة	٩٩
- **المطلب الثاني:** التحرك بالحس الاجتماعي الواعي	١٠٠
- **المطلب الثالث:** الجمع بين الأسلوب العملي والأسلوب القرآني	١٠٣
الباب الثالث (من مقومات نجاح الدعوة والداعية)	١٠٥
* **الفصل التاسع: وضوح المنطلقات والوسائل**	١٠٥
- **المطلب الأول:** وضوح الغاية والتضحية من أجلها	١٠٥
- **المطلب الثاني:** أصالة مصادر الدعوة	١٠٦
- **المطلب الثالث:** تنوع الوسائل	١٠٦
أولا: القدوة الحسنة	١٠٦
ثانيا: النظام وحسن استثمار الوقت	١٠٧
ثالثا: التعليم والتذكير	١٠٧
رابعا: الخطابة	١٠٨
خامسا: الترغيب والترهيب	١٠٨
سادسا: الكتابة	١٠٨
سابعا: استخدام الوسائط الحديثة	١٠٨
- **المطلب الرابع:** التمييز بين الدعوي والسياسي	١٠٩
* **الفصل العاشر: الفكر الراشد والحركة الإيجابية البناءة**	١١٠
- **المطلب الأول:** التشخيص السليم والعلاج الناجع	١١٠
أولا: الداء وآثاره	١١٠
١- ضعف الرابطة الدينية	١١٠
٢- غياب الغاية الربانية	١١٠
٣- القومية السلبية	١١١
٤- العداء والخصام	١١١
٥- العناد والحسد	١١١
٦- الضعف والذلة والهوان	١١١
ثانيا: العلاج الناجع ولوازمه	١١١
١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١١١

الموضوع	الصفحة
٢- تحقيق التكامل المعرفي والعلمي	١١٢
٣- تحقيق الحرية والشورى	١١٢
٤- العدل والعدالة	١١٢
٥- الاستقلال والاستغناء	١١٢
- **المطلب الثاني:** الإصرار على الامتداد بالحركة الدعوية	١١٣
أولا: الإصرار والمثابرة على الحركة بالدعوة	١١٣
ثانيا: الحركة بالدعوة ونشرها بين النساء	١١٤
ثالثا: الاهتمام بالتواصل مع العلماء الرسميين	١١٥
رابعا: تشجيع الحفاظ للحركة بالقرآن	١١٥
خامسا: الاهتمام بدور المسجد في حركة الدعوة	١١٥
- **المطلب الثالث:** التزام الحذر والتيقظ	١١٥
- **المطلب الرابع:** إنجاز الأعمال بالأخوة والشورى	١١٦
أولا: الإخلاص	١١٧
ثانيا: الفناء في الإخوان	١١٧
ثالثا: الاتحاد والتساند	١١٨
رابعا: إقامة الشورى الحقيقية	١١٨
*** الفصل الحادي عشر: التربية النورية الناجحة**	١٢٠
- **المطلب الأول:** من أصول التربية النورية	١٢٠
أولا: ربط الطلاب بالغاية العليا	١٢٠
ثانيا: وصل الطلاب بالقرآن والسنة	١٢١
ثالثا: التربية الفكرية الشاملة	١٢٢
١- البعد عن النواقص في التفكير	١٢٣
٢- التركيز على النوعية لا الكمية	١٢٣
٣- فهم القابليات	١٢٣
٤- فقه النوازل	١٢٤
٥- إدراك حاجة الزمان والمكان	١٢٤
٦- الوعي الصحي العملي	١٢٤
٧- الوعي البيئي	١٢٤
- **المطلب الثاني:** نموذج حي للتربية النورية	١٢٥
أولا: فراسة المربي	١٢٥
ثانيا: الصدق والاستقامة	١٢٦
ثالثا: التطلع إلى الآخرة	١٢٦
رابعا: بث روح الرجولة المبكرة	١٢٦
خامسا: غرس الوعي بطبيعة الدعوة ومقتضياتها	١٢٦
سادسا: ترسيخ قواعد الحكمة	١٢٧
سابعا: التفويض للقيام بالأعمال الخاصة	١٢٧
ثامنا: تفقد أحوال الطالب	١٢٨
تاسعا: إنزال الطالب منزلة عزيزة	١٢٨
عاشرا: نجاح المربي في رسالته التربوية يخفف آلامه	١٢٨
حادي عشر: المربي يمازح تلميذه	١٢٨
- **المطلب الثالث:** من ثمار التربية النورية	١٢٨
أولا: سماتهم بعيون مخالفيهم	١٢٩
ثانيا: أصحاب نفوس غنية	١٢٩
ثالثا: نموذج للتساند الرائع	١٢٩

الموضوع	الصفحة
رابعا: تضحية عجيبة بالنفس	١٣٠
خامسا: شهيد الاستقامة	١٣٠
سادسا: عشق الدعوة	١٣٠
سابعا: أهل ثقة ووفاء	١٣٠
*** الخاتمة**	١٣٢
*** المراجع**	١٣٣

المقدمة

الحمـــد لله رب العالمـــين، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وبيّن له معالم الصراط المستقيم، وأوجب على الإنسان المسلم القيام برسالة الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالى؛ هذه الدعوة القائمة على: الأمر بالمعروف؛ ومحوره الدعوة إلى التوافق مع سنن الله في الوجود القائم؛ لأن في هذا التوافق بقاء الإنسان ورقيه المعنوي والمادي كليهما،

والنهـــي عـــن المنكر؛ ومحوره تزكية الثقافة الإنسانية من عوامل الاصطدام بسنن الله وأقـــداره فـــي الوجـــود القائم؛ لأن في هذا الاصطدام تدميراً لبقاء الإنسان، وسقوطه في الدنيا والآخرة،

والإيمـــان بـــالله؛ ومحوره إقامة الحياة الإنسانية على أساس الإيقان بقدرة الله، وهيمنته ســـبحانه، وتـــصرفه بالوجود، وملكه له، وثمرة هذا الإيمان؛ حفظ الإنسان في حالة "الاعتدال والـــتوازن" فـــي الفكـــر والـــسلوك، ووقايـــة له من مرض "الطغيان" في حالة القوة، ومرض "الاستـــضعاف" فـــي حالة الضعف. وفي ذلك سلامة الفرد من الانحراف والخسران، وسلامة المجتمع من الاضطراب والتخلف والانهيار.

والـــصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين والمرسلين، وإمام الدعاة الهادين إلى الصراط المستقيم، وعلى أصحابه الذين دعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلوا بالتـــي هـــي أحـــسن، واقـــتدوا في ذلك بالمعصوم – صلى الله عليه وسلم، الذي رسم للدعوة خطـــوطها، وحدد لها أبعادها، وبين معالمها، وأكّد وجوبها على كل من اتبعه من الناس؛ رجالاً ونساء، شيباً وشباباً، ما داموا على بصيرة بما يدعون إليه.

وعلـــى التابعين الذين صانوا العهد، وساروا على النهج، واجتهدوا في تزكية المجتمعات بالمعـــروف القـــائم على العدل والفضيلة، وبالنهي عن المنكر بتجفيف مصادر الظلم والرذيلة؛ لتتحقق الدعوة إلى الإيمان بالله من خلال البلاغ الذي يبين الرشد من الغيّ.

وبعد:

فلمـــا كـــان إبلاغ قيم الحق للناس، وحثهم على فعل الخير، وتحذيرهم من عمل الشر، يعتبـــر من المهمات الصعبة، والمسئوليات الكبيرة، فإن موضوع الدعوة إلى الله تعالى، لم يعد قـــضية بـــسيطة يعالجها الكاتب كما يعالج أية مسألة جانبية، دون أن يواجه تعقيدات المشاكل ومنعطفاتها؛ فقد تؤثر أخطاء بعض الدعاة على طبيعة الدعوة نفسها، وقد تنحرف بها إلى غير غايتها. كما قد تنعكس الحالات النفسية التي يمر بها الدعاة في بعض الأزمات على مسار العمل الدعوي.

لــذا، كانــت الحاجة ماسة في أن يمتلك من يقوم بالدعوة إلى الله مؤهلات وخصائص ومعــارف وخبرات، تمكنه من أداء رسالته، مدركاً إدراكاً تاماً أن الدعوة إلى الله ليست قائمة على الإرهاب والتخويف والتنفير، وإنما تنبني على التبشير والتزكية والبيان والمنطق والحكمة.

ومــن هــنا تتجلــى أهمية إبراز النماذج الحية المعاصرة، ونقل الخبرات الرائدة للأمر بالمعــروف والنهــي عــن المنكــر، والتي انتهجت سبيل المنهاج النبوي، وفق معايير الوحي وتعالــيمه، القائم على أن من يأمر بالمعروف ينبغي أن يكون أمره بالمعروف، ومن نهى عن منكر، فليكن نهيه بلا منكر.

مــن هذه النماذج وتلك الخبرات المعاصرة، التي تركت بصماتها التي لا تخطئها العين، عــالم مــن العلمــاء العدول، الذين اجتهدوا في صيانة الدين من الانحراف والتحريف الباطل، والــتأويل الجاهل، والانتحال الغالي؛ ذلكم العالم هو الإمام "بديع الزمان سعيد النورسي"، الذي كان – رحمه الله – من المصلحين المجاهدين، والعباقرة النابغين، والمربين الفاقهين، والمجددين الموفقين؛ فقد ظهر في تركيا في أحوال غير مساعدة ونبغ في أجواء غير موافقة، وأنار السبيل فــي عهد مظلم حالك السواد، وأثمر جهده في بيئة قاتلة فاتكة، وبعث الحياة في مجتمعات أريد لهــا أن تخمــد روحها، وتضعف إرادتها، وتخور عزيمتها، وتفسد أخلاقها، بعد القضاء على إيمانها، ونزع القرآن من صدورها وعقولها.

وإن الروح المستقلة التي تمتع بها الإمام "النورسي"، قد ساقته لأن يتخذ طريقا خاصا به وحــده؛ فقــد كان – رحمه الله – مزيجاً نادراً من شخصية المكافح النشط، الذي كافح بإصرار وعزم لا يلين من أجل إحياء حقائق الإيمان وتقويتها، ومن شخصية زاهدة التفت كيانها الداخلي بالكامل نحو الخالق سبحانه وتعالى؛ فقد جعله إيمانه الحي وقربه إلى الله عز وجل، منكراً لذاته أثناء جهاده المعنوي السلمي، كما مكنه من التخلي تماما عن كل مطالب النفس والذات.

وأكثر ما يلفت النظر إليه – رحمه الله – يكمن في إنسانيته العظيمة، وتعاطفه واهتمامه العميق بكل البشر، بحيث يمكن لكل البشر أن يجدوا السلام والخلاص في الإسلام وتعاليمه.

وحول: (من مقومات الدعوة والداعية في حياة الإمام "بديع الزمان سعيد النورسي"، من خــلال "الشهود الأواخر") أقدم هذا الكتاب لعموم المسلمين، وللعرب منهم خاصة، محاولة مني لتوصــيف واقــع دعــوي له طابعه العملي، سواء يما يتعلق بالدعوة، دعوة النور القائمة على رســائل الــنور، أو بالداعــية، الإمام "النورسي" الذي كان لشخصيته المتميزة أثرها الكبير في انبــثاق روح دعوة النور ونجاحها، وانتشار حركتها الواسعة في تركيا وخارجها، بما يملك من

خـــصال حمـــيدة، وخصائص عفيفة، وارتكاز حول "رسائل النور"، جعلت منه القدوة الحسنة المرئية لطلابه الذين حذوا حذوه، متأسين معه بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

وإنـــنا لا نزعم الإتيان بقواعد وأصول حاسمة للدعوة والداعية، وإنما مقومات شوهدت من خلال تجربة واقعية ممتدة في الزمان والمكان، شهد لها العديد من الشهود، الموثقة شهاداتهم ومـــشاهداتهم بطرق عدة؛ لتكون هذه المحاولة منا دليلاً أولياً لأجيالنا الباحثة عن طريق الهداية وســـبيل النور الإيماني، يضاف إليه ما يأتي من أدلة، تتضافر جميعها من أجل تقليل الأخطاء التـــي يقـــع فيها العاملون في حقل الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه؛ لفقدانهم التجربة الرائدة أمامهم.

ولا يذهـــبن الظـــن بأحد من القارئين، أننا نتحدث عن ملائكة مبرمجين على فعل الخير دائمـــا، ولا يجـــوز عليهم فعل الشر، أو الوقوع في الخطأ. وإنما نتحدث عن بشر في مجتمع بـــشري ينطبق عليهم ما قاله إمام دار الهجرة: كل يؤخذ من كلامه ويترك، إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم.

وإن هذه النماذج التي سيطالع القارئ بعضها في ثنايا الكتاب، هم بشر تحركوا بمجاهدة الـــنفس، والإخلاص التام، والأخوة المتينة، والتساند العظيم، والصبر الجميل، في طريق الدعوة إلى الله على بصيرة، وهم في ذات الوقت يراجعون أنفسهم بالمناصحة والمشورة للوقوف على الصواب والسعي في تنميته والتزامه، ومعرفة جوانب الخطأ، وسلوك السبيل الأقوم في معالجته وتصويبه، حتى يتحقق الارتقاء إلى الأفضل.

وأســـأل الله الحليم رب العرش العظيم، أن يجعل ما سطرته في هذا الكتاب من الأعمال التـــي يتقـــرب بهـــا إليه سبحانه وتعالى، وأن يكون سبيلا من سبل الإحسان إلى نفسي التي لا بضاعة لها من علم وعمل، أو تربية وتبليغ، أو إصلاح ونصيحة.

والله سبحانه هو ولي التوفيق والسداد، وبيده الهدى والرشاد، وهو ربنا ومولانا، والحمد لله رب العالمين

أسامه أبو العباس عبد الحليم شهوان

شيبة / الزقازيق / مصر

يوم الجمعة: ٢١ من ربيع الآخر ١٤٣٥هـ

٢١ من فبراير ٢٠١٤م

(المدخل)

(ضوء على مفردات عنوان الكتاب)

أ- المقومات

ب- الدعوة

ج- الداعية / الداعي

د- الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

هـ- الشهود الأواخر

المدخل (ضوء على مفردات عنوان الكتاب)

أ- المقومات: المقومات في اللغة من: قوام الأمر؛ أي نظامه وعماده وملاكه الذي يقوم به، وبه يكون تمام الشيء، واستقامته[1]. والمقومات ما تقوم به الأشياء، وعناصر تكوين الشيء[2].

ونقصد بالمقومات في هذا الكتاب: الأسس التي يصلح بها اعوجاج العمل الدعوي، والعناصر اللازمة لإنهاض الدعوة والتبليغ والإرشاد، بما يحقق تدعيم جوانبه، واستقامة طريقه، وبلوغ مراميه.

ب- الدعوة: كلمة "الدعوة" تحتاج إلى إضافة تكمل معناها وتوضح أبعادها، وهي: "الدعوة إلى الله". والدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، وبتصديقهم فيما أخبروا، وإطاعتهم فيما أمروا به، وفيما نهوا عنه. ولما كان الإسلام هو خاتم الأديان وأتمها وأكملها، فإن الدعوة إلى الله تعني: الدخول في دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وحياً من عند ربه "**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**" [فصلت: ٤٢]

ولقد تعددت آيات القرآن الكريم التي أوجبت الدعوة إلى الله، وتوجيه هذه الدعوة لكل الناس في جميع الأزمنة والأمكنة، منها قوله تعالى:

- " **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** " [آل عمران: ١٠٤]
- " **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**" [آل عمران: ١١٠]
- " **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" [يوسف: ١٠٨]
- " **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**" [فصلت: ٣٣]
- " **لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ**" [الحج: ٦٧]

1- انظر: ابن منظور المصري، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف ط: ١٩٧٩، المجلد الخامس، ص: ٣٧٦.
2- إبراهيم مدكور وآخرون، "المعجم الوسيط"، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط٣: ١٩٨٥، ص: ٧٩٨.

وعبـــر مسيرة تاريخ الدعوة إلى الله، تعددت مدارس الدعوة، وتنوعت وسائلها، إلا أن مـــنهج هذه المدارس التي أثرت الحياة الإنسانية، منهج واحد، هو ما في كتاب الله الكريم وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ومدرســـة الدعوة التي نتناولها في هذا الكتاب، هي دعوة النور، أو الدعوة النورية، أو دعوة رسائل النور، هذه الدعوة التي تمثل "دائرة مرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، المنتمون لهذه الدائرة، والداخلون فيها هم أهل الإيمان كافة، الـــبالغ عددهم الآن واحدا ونصف مليار نسمة تقريبا. والأساس الذي يضمن وحدة هذه الجماعة هـــو عقـــيدة التوحـــيد، ويمينها الإيمان، ومنتسبوها الداخلون في هذه الدائرة منذ "**قَالُواْ بَلَى..**" [الأعراف: ١٧٢]، وسجل منتسبيها هو اللوح المحفوظ، ودائرة صحافة هذه الجماعة هي الكتب الإســـلامية كافة، وجريدتهم اليومية هي جميع الجرائد الدينية التي اتخذت إعلاء كلمة الله هدفا ومقـــصدا لها، وشُعَبُها هي الجوامع والمساجد والمدارس وجميع المؤسسات التي تخدم الإسلام، ومركزها الحرمان الشريفان، ورئيسها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأساس مسلكها هو مجاهـــدة كـــل منتسب فيها نفسه الأمارة بالسوء، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم، وإحياء السنة المطهـــرة، وحـــب الآخرين والنصيحة لهم – إن لم تضر – ونظام هذه الجماعة ودستورها في الحـــياة هـــو الـــسنة النـــبوية والأوامر الشرعية ونواهيها، ووسيلتها في الدعوة، هي البراهين القاطعة؛ لأن الظهور على المدنيين إنما هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار، وهدفها ومقصدها إعلاء كلمة الله تعالى"[1].

ج- الداعية/الداعي: إن الداعـــي الأول إلـــى الله تعالى، بعد أن أنعم الله علينا بالإسلام، هو رسولنا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم؛ "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِـــيًا إِلَـــى اللَّـــهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**" [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦]، وقد كرر القرآن الكريم الخطـــاب إلى النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، يأمره بالدعوة إلى الله والاستمرار عليها، وعدم التحول عنها؛ فمن هذه الآيات الكريمة:

- " **وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ** " [الحج: ٦٧]
- " **وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" [القصص: ٨٧]
- " **قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ** " [الرعد: ٣٦]

1- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤، ص: ٤٤٥ – ٤٤٦ (ببعض التصرف).

ولقد ظل نبينا – صلى الله عليه وسلم – يدعو إلى الله تبارك وتعالى حتى أتاه اليقين من ربه، وصار إلى جواره الكريم راضياً مرضياً، فجزاه الله على المسلمين خير الجزاء.

وإن القــرآن الكريم أشار إلى أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرفها وأشركها مع رسوله صلى الله عليه وسلم، في وظيفة الدعوة إليه سبحانه وتعالى؛ " **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلــنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**" [آل عمران: ١١٠]، ومن هنا؛ فإن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة؛ لأن الأمة تتكون منهم: " **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّــهِ عَلَــى بَــصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" [يوسف: ١٠٨]؛ فأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، المؤمنون به، يدعون إلى الله على بصيرة ويقين.

"وإن واجــب الدعوة إلى الله المنوط بكل مسلم ومسلمة يتحدد بقدر حال الداعي وقدرته؛ لأن القدرة هي مناط الوجوب وقدره؛ فمن لا يقدر لا يجب عليه، ومن يقدر فالوجوب عليه بقدر قدرتــه؛ فيجب على العالم ما لا يجب على الجاهل، ويجب على ذي السلطان ما لا يجب على غيره من آحاد المسلمين"[1].

وواجــب الدعوة إلى الله ليس له وقت محدد كالصلاة والصيام؛ لذا فإن المسلم يؤدي هذا الــواجب في جميع الأحوال والظروف؛ فقد كان رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، يدعو قــومه لــيلاً ونهــاراً، سراً وجهراً، ولم يشغله شيء عن الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالى.

وإذا كــان المطلوب من الداعية أن يدعو إلى الله، فليس المطلوب منه أن يهدي الناس، وعليه فقط الاستمرار على درب الدعوة بلا كلل ولا ملل ولا فتور؛ لأن واجبه البلاغ والتبيين، وإن لــم يستجب له أحد، مصداقاً لقوله تعالى: " **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**" [العنكبوت: ١٨].

"ولما كان الداعي إلى الله يؤدي واجبا ويقوم بعبادة امتثالا لأمر الله، فالأجر على العبادة يــناله العابــد من الرب الجليل تفضلاً منه وإحسانا، وعلى هذا؛ فلا يطلب الداعي من أحد من الخلــق أجــراً على دعوته ولا مالاً، ولا ثناء ولا جاها، ولا أي عوض من الأعواض المادية والمعنوية"[2].

1- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨: ١٩٩٨ ص: ٣١٩.
2- المرجع السابق، ص: ٣٢٣

ولــذلك فإن مكانة الداعي إلى الله في الإسلام، مكانة عظيمة جداً؛ فقوله في الدعوة إلى الله أحــسن الأقــوال في ميزان الله، وهو أصدق الموازين: " **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**" [فصلت: ٣٣]

د- الإمام "بديع الزمان سعيد النورسي":

إذا كانت سنة الله في كونه اقتضت أن يبعث بين كل فترة وأخرى من الزمن، من يجدد للمــسلمين أمــر ديــنهم، فإن الإمام "بديع الزمان سعيد النورسي" هو المجدد الذي أكرم الله به المــسلمين عامة والأتراك خاصة، في واقع زماني ومكاني واجتماعي زاخر بالأحداث، وتقلب الأوضــاع؛ لــذا كان لزاماً علينا أن نلقي الضوء على طبيعة المكان والسكان والزمان ليدرك القارئ قيمة الجهد الدعوي الخارق الذي قام به الإمام النورسي.

١ - المكان والسكان والزمان:

المكان: تركيا ذات الموقع الاستراتيجي، والأهمية الكبيرة لثماني دول تحيط بها، وهي: إيران، والعــراق، وسوريا، واليونان، وبلغاريا، وجورجيا، وأرمينيا، وأذربيجان. بالإضافة إلى كونها نقطة صلة مهمة بين المشرق العربي، وبين شرق آسيا وشمالها.

الــسكان: إن النــسيج الــسكاني التركــي، نسيج معقد ومتشابك يحدث العديد من الصراعات والتناقــضات، والمنافسات، بين هويات مختلفة، داخل كتلة بشرية ضخمة؛ فمع العرق التركي، واللغــة التــركية، والمذهب الديني الإسلامي السني، الذي يمثل الأغلبية الظاهرة والطابع العام لتــركيا، إلا أن هناك "الطائفة العلوية" المرتبطة دينيا بصورة ما بالإسلام، وهناك "الأرمن" بما يمثلونه من جماعة إثنية وعرقية ولغوية ودينية وثقافية خاصة، كما يوجد اليهود، وهم فئة غير متجانــسة إثنــياً ولغوياً؛ فالكثيرون منهم من "السفارديم"، يضاف إليهم "الأشكيناز"، وبجوارهم "الكاريــتش"، وكــذلك هناك "يهود الدونمة" أي اليهود الذين تحولوا إلى الإسلام ظاهرياً؛ حيث تتضمن عقيدتهم عناصر يهودية وإسلامية، وعلى الرغم بالاعتراف رسمياً على أنهم مسلمون، إلا أن عمــوم المسلمين، وكذلك اليهود، ينظرون إليهم نظرة مغايرة. وكذلك يوجد "اليونانيون" وتمثل كنيستهم في إستانبول المرجعية الأرثوزكسية في أوربا والغرب، وهناك "السريان".

وبجانــب هــذه التقــسيمات الدينية، هناك جماعات بشرية تجمع بينهم الرابطة العرقية والثقافية، كما تشترك في الوجدان العاطفي داخل كل جماعة منها؛ فهناك "الأكراد"، و"العرب"، و"الغجر" و"يهود الدونمة" أيضا.

الـــزمان: إن الزمان الذي عاشه الإمام النورسي، امتد خمسة وثمانين عاماً، اتسم بالاضطراب والقلـــق؛ فقد تقلب الإمام النورسي في أزمان لها طابع الانقلاب الكامل في تركيا خاصة، وفي العـــالم عامـــة، فهو قد عاصر عهد الخلافة العثمانية أوان مرضها واحتضارها، بداية من عهد الـــسلطان "عبد الحميد الثاني"، ثم شهد ثورة "الاتحاد والترقي" عليه وخلعه، وعاصر ممارسات الاتحاد والترقي المنبهرة بأوربا والفلسفة المادية، التي روعت فؤاده وصدمته، ورأى عن قرب مـــيلاد الجمهورية وانقلابها الشامل الصادم على كل ما هو مرتبط بدين الإسلام، وعاين بعقله وفكره وأحاسيسه الظلام الحالك من الظلم والطغيان والعداء الواضح للدين؛ فالسلطة الحاكمة في هذا العصر (١٩٢٤ – ١٩٥٠) أرادت قطع الأمة عن عقيدتها؛ فحظرت تداول القرآن الكريم، ومـــنعت الـــسفر لأداء فريضة الحج ' وجعلت تدريس الفلسفة المادية وإنكار الخالق سبحانه وتعالى، والآخرة، مقررات أساسية في كافة المدارس، وألغت في نفس الوقت المدارس الدينية، والطـــرق الـــصوفية، والـــتكايا، كما ألغت الحروف العربية المستعملة، وتحولت إلى الحروف اللاتينـــية، ومـــنعت الأذان الشرعي والخطبة باللغة العربية، وفرضت على الرجل لبس القبعة والـــزي الأوربي، وأجبرت النساء على التبرج وخلع أي زي منضبط بضوابط الدين، وفرضت يـــوم الأحـــد عطلة رسمية بدلا من يوم الجمعة، وأغلقت بعض المساجد الكبرى وحولتها إلى مـــتاحف للتماثيل، ومكاتب إدارية، كما ألغت الأحكام الشرعية، وبثت الإرعاب والإرهاب في قلوب الناس؛ فنصبت المشانق للعلماء، ولكل من تحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة وقراراتها "[1].

٢ - سعيد القديم (١٨٧٦ – ١٩٢١):

ولـــد الإمام "بديع الزمان سعيد النورسي" في قرية "تورس" التابعة لمحافظة "خيزان" من ولايـــة "بتلـــيس" عـــام (١٨٧٦م)، وبعدما مكث مع أسرته إلى عامه التاسع، ولم يعد يجد لدى معلمـــيه في القرية، وما حولها من القرى، ما يفيدونه به، ارتحل من مدرسة إلى مدرسة، ومن عـــالم إلى عالم، حتى أكمل المواد المقررة حسب منهج العلماء العثمانيين في ذلك الوقت خلال فترة وجيزة، أثارت حيرة العلماء، حتى لقبه أستاذه "الملا فتح الله" بـــ "بديع الزمان" لقوة ذاكرته وذكائه الفذ، ووجد هذا اللقب قبولا لدى العلماء في شرقي تركيا.

1- انظر: إحسان قاسم الصالحي، في تقديمة لترجمة "الملاحق في فقة دعوة النور"، القاهرة / سوزلر لنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص: ٧ – ٩.

وبفضل المحصول العلمي الجم الذي اكتسبه في طفولته تلك، تهيأ لمناظرة العلماء، ومناقشتهم؛ فانعقد له وهو في الرابعة عشرة من عمره، عدة مجالس تناظر فيها مع أبرز الشيوخ والعلماء في تلك المناطق، حتى طارت شهرته في الآفاق.

وفي عام (١٨٩٧) ذهب إلى مدينة "وان"، وانكب فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك، والكيمياء والفيزياء، وعلوم الحيوان والنبات والجيولوجيا، بالإضافة إلى الفلسفة والتاريخ والجغرافيا؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها، فتأكدت تسميته بـ "بديع الزمان"، اعترافا من أهل العلم بذكائه الحاد، وعلمه الغزير، واطلاعه الواسع.

وفي هذه الأثناء نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني "غلادستون" قد صرح في مجلس العموم البريطاني مخاطبا النواب قائلا: "ما دام القرآن بيد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مفر لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به". أقضّ هذا الخبر مضجع الإمام النورسي، فأعلن لمن حوله: لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها.

وفي عام (١٩٠٧) قدم مشروعا إلى السلطان "عبد الحميد الثاني" لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام، وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية؛ لأن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب، وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية.

ولم يعر أحد من أهل السلطة اهتماماً لفكرة الإمام النورسي، ولا تعليله، وأجرى له السلطان – عن طريق وزير الداخلية – راتباً شهرياً ومكافآت عظيمة، لكنه رفض ذلك بتاتا؛ لأنه لم يكن يريد منفعة شخصية.

وفي عام (١٩١١) سافر إلى الشام، والتقى برجالاتها وعلمائها، وبسبب ما لمسوا فيه من علم ونجابة، استمعوا إليه في الجامع الأموي الشهير وهو يخطب في الآلاف من المصلين خطبة حفظها لنا الزمن، واشتهرت في تراثه بـ "الخطبة الشامية"، التي تمثل برنامجا سياسيا واجتماعيا متكاملا.

وباندلاع الحرب العالمية الأولى، كان طبيعيا أن يهب الإمام النورسي في طليعة المجاهدين؛ فشكّل فرقة متطوعة من طلابه، واستمات معهم في الدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقاس، حتى جُرح في المعارك مع الروس، وأُسر واقتيد وهو شبه ميت إلى

"قوصـــتروما" مـــن مـــناطق روسيا، حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، هيأ له الله بعدها سبيل الانفلات؛ فعاد إلى بلاده، واستقبل استقبالا رائعا من قبل السلطان وشيخ الإسلام، والقائد العام، ومُـــنح وسام الحرب، وعينت له القيادة العسكرية عضوية "دار الحكمة الإسلامية" التي كانت لا توجه إلا لكبار العلماء.

وفي هذه الفترة (سعيد القديم) نشر أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" الذي ألفه في خضم المعارك، و"المثنوي العربي النوري"[1].

٣- سعيد الجديد (١٩٢٢ – ١٩٥٠):

يحدثـــنا الإمام النورسي عن بداية هذه المرحلة من حياته في "سيرة ذاتية" فيقول: "حينما تـــبدلت نشوة "سعيد القديم" وابتساماته إلى نحيب "سعيد الجديد" وبكائه، وذلك في بداية المشيب، دعانـــي أرباب الدنيا في "أنقرة" إليها و ظناً منهم أنني "سعيد القديم"، فاستجبت للدعوة، وذهبت ســـنة (١٩٢٢) وشـــاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي، إلا أننـــي أبصرت – خلال موجة الفرح هذه – زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر، وتتسلل بمفاهيمها إلـــى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها؛ فتأسفت من أعماق روحي، وصرخت مستغيثا بالله العلي القدير، من هذا الغول الرهيب الذي يريد أن يتعرض لأركان الإيمان، فكتبت بـــرهاناً قـــوياً حـــاداً يقطع رأس تلك الزندقة، إلا أنني لم ألمس آثار هذا البرهان الرصين في مقاومة الزندقة، وإيقاف زحفها إلى أذهان الناس"[2].

إن الإمـــام النورسي لم ترضه الحال في أنقرة، فبقى مهموماً؛ إذ رأى عن كثب انتشار وغـــزو العقلـــية الأوربـــية والنمط الأوربي للحياة شيئا فشيئا، ورأى ضعف الاعتقاد والتمسك بالإسلام، فقرر العودة إلى "وان".

وفـــي "وان" بـــدأ يعيش حياة العزلة في جبل "آراك"؛ حيث كان يقوم بإلقاء المحاضرات الدينـــية، والنصائح والدروس، وفي ذات الوقت يقوم بمراجعة نفسه ومحاسبتها، وكأنه شعر في هذه الفترة شعوراً روحياً بأن انقلاباً معنوياً عظيماً سيحدث.

ولم يمض وقت طويل حتى اندلعت ثورة "الشيخ سعيد بيران"، ولكنها أخمدت بعد إراقة الـــدماء الكثيرة، ولم تكن للإمام النورسي علاقة بهذه الثورة، ولم يكن يستحسنها، ومع ذلك نفي علـــى إثـــرها إلـــى "إســـتانبول" سنة (١٩٢٥م)، ومن "إستانبول" إلى "بوردور" ثم "إسبارطة"،

1- للمزيد؛ انظر: بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص: ٣٥: ١٤٥.

2- المرجع السابق، ص: ١٨١.

وأجبروه على الإقامة في "بارلا"، تلك القرية الصغيرة التابعة لولاية "إسبارطة"؛ حتى يتمكنوا من مراقبة كل أحواله، والحيلولة دون اختلاطه بالناس.

وفي "بارلا" حيث مكث الإمام النورسي فيها ثماني سنوات، ألف الكثير من كليات رسائل النور، مثل: "الكلمات"، و"المكتوبات"، و"اللمعات" التي ترتكز في أغلبها على المسائل الإيمانية.

ولقـد أزعج أصحاب السلطة انتشار رسائل النور، فنقلوا الإمام النورسي من "بارلا" إلى "إسبارطة".

وتم اعتقال الإمام مع مائة وعشرين من طلابه سنة (١٩٣٥) في سجن "أسكي شهر" أحد عشر شهرا، وبعد خروجه من السجن نُفيّ الإمام إلى ولاية "قسطموني"، ليظل منفياً هناك ثماني سـنوات، اسـتكمل فيها كتابة الرسائل، ووضع تدابير وصولها إلى الطلاب ليستنسخوها باليد، وينشروها في كل مكان يستطيعون الوصول إليه.

ولـم يقـف أعـداء الـدين المتسترون – كما يسميهم الإمام – مكتوفي الأيدي أمام هذا الانتشار؛ فداهموا بيته عدة مرات وحاولوا قتله بالسم أكثر من مرة، لكنه نجا بعون الله ورحمته من تأثير السم.

وفـي عام (١٩٤٣م) يُساق الإمام إلى المحكمة الجنائية الكبرى لولاية "دينزلي" مع مائة وستة وعشرين من طلابه، ليبقى في السجن تسعة أشعر تعرض فيها للعديد من المشقات وألوان المظالم.

وبعـد خـروجه مـن سجن "دينزلي" نفي إلى "أميرداغ"، ويقبض عليه بعد ذلك (أواخر ١٩٤٧م) مـع العديـد مـن طلابه في المدن المختلفة، وتم ترحيلهم إلى "آفيون"؛ ليمثلوا أمام محكمتها، ويوضعوا في سجنها عشرين شهرا، ثم يحكم لهم بالبراءة.

وفي هذه الفترة (سعيد الجديد) انتشرت رسائل النور بين عامة الناس، وتنقلت من يد إلى أخـرى على تؤدة ودون جلبة، أو لفت للأنظار، ونسخت مئات الآلاف من الرسائل يدويا، حتى أضحى لرسائل النور مئات الآلاف من الطلاب والمحبين والمتأثرين بها في أنحاء تركيا[1]

٤- سعيد الثالث (١٩٥٠ – ١٩٦٠):

تزامن ظهور "سعيد الثالث" مع هزيمة الحزب الواحد، وهو حزب الشعب الجمهوري في الانـتخابات العامـة التـي جرت في مايو عام (١٩٥٠م)، وتولى الحزب الديمقراطي برئاسة "عـدنان مـندريس" الـسلطة فـي تـركيا. ومع نهاية فترة الحكم الاستبدادي لحزب الشعب

1- للمزيد، المرجع السابق، ص: (١٤٩ – ٤٣٢).

الجمهـــوري، خففت القيود المفروضة على النورسي نسبياً؛ إذ استمرت السلطات في مصادرة النسخ التي تصدر من رسائل النور، وعانى الإمام النورسي وطلابه من القمع، إضافة لاستمرار الدعاوى القضائية التي ترفع ضدهم.

وفي غضون الأحداث التي سبقت ظهور "سعيد الثالث" ظهر جيل جديد من طلاب النور، الـــذين شمروا سواعد العمل والإخلاص لخدمة دعوتهم، ولنشر رسائل النور، فصارت حركة النور متماسكة متساندة كالبنيان المرصوص.

وبدأت في هذه المرحلة جهود الإمام النورسي تتجه إلى تربية الجيل الجديد من الطلاب، هـــذا الجـــيل الذي سيقود حركة دعوة النور، بعد أن ينأى القدر بالإمام النورسي بعيداً، ويكون غير قادر على أن يفعل هذا بنفسه؛ "لدرجة أن الإمام غير بعضا من عاداته بسببهم"[1].

لقـــد أخبر الإمام النورسي طلابه عن مولد "سعيد الثالث"، وما يحمله هذا الميلاد، فقال: "تعرض لي حالة روحية مهمة لمرتين أو ثلاث مرات، وهي حالة شبيهة بالتي دفعتني لأنزوي فـــي جـــبل يوشـــع بإســـتانبول قبل ثلاثين سنة، وجعلتني أنسل من الحياة البراقة لدار الحكمة الإســـلامية؛ تلك الحالة التي هي انقلاب روحي أظهر ماهية "سعيد الجديد". والآن بدأت عندي تباشـــير شبيهة بتلك الحالة، وأعتقد أنها إشارة إلى ظهور "سعيد الثالث"، الذي يكون تاركاً للدنيا كلـــيا؛ بمعنى أن رسائل النور وطلابها الغيارى سيؤدون مهماتي بدلاً عني، فلم يعد هناك حاجة إلـــيَّ، ومـــن المعلوم أن كل جزء من الأجزاء الجامعة لرسائل النور، وكل طالب من طلابها الثابتين يدرس ويرشد أفضل مني"[2].

وبالفعـــل رأى الإمام النورسي في تلك الفترة ثمرة عمل وجهاد ثلاثين عاماً رغم النفي والـــسجن والمـــشقات؛ بقد رأى رسائل النور تطبع في مطابع حديثة، وشاهد نسخها المطبوعة بالأحـــرف الجديدة (اللاتينية) عام (١٩٥٧) في أنقرة وإستانبول، ويصرح النورسي قائلا: "هذا هو عيد رسائل النور، كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد انتهت مهمتي إذن وسأرحل قريبا"[3].

وفـــي بداية عام (١٩٦٠) كان عالم السياسة مائجاً مضطرباً في تركيا، وذهب الإمام – رغـــم مرضـــه الـــشديد – إلى أنقرة ثلاث مرات؛ لينبه الحكومة ويحذرها من الكوارث التي اقتربت، إلا أنه لم يحصل على نتيجة لمساعيه المخلصة. وبعدما أدى واجب النصيحة، أقام في

1- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص ٥٧٥.

2- نجم الدين شاهينز، الشهود الأواخر. شهادات ومشاهدات عن بديع الزمن النورسي، ترجمة: مأمون رشيد عاكف، القاهرة: سوزلر للنشر، ط١: ٢٠١٢م، المجلد ٢، ص: ٣٢١.

3- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٣، ص: ٤٥.

"أميـــرداغ" بعض الوقت، ثم رجع إلى "إسبارطة"، وكأنه قد بدأ يودع ما حوله معلناً استعداده للارتحـــال إلـــى الآخـــرة باطمئنان قلب؛ بسبب تأليف رسائل النور، وتربية أياد قوية، ونفوس مخلصة، وقلوب صادقة، تتبنى دعوة الإيمان والقرآن.

وفـــي فجـــر الثالث والعشرين من مارس عام (١٩٦٠) لقي الإمام النورسي ربه، ودفن جـــثمانه في منزله المؤقت، مقبرة "خليل الرحمن" في مدينة "أورفا"، وبعد وفاته بشهرين حدث انقـــلاب عـــسكري، ومن ثمَّ بدأت فترة ظلم جديدة، بلغ من شدة هذا الظلم، أن تعدوا على قبر الإمـــام النورسي اليوم الثاني عشر من يوليو عام (١٩٦٠)، وأخذوا جثمانه المبارك في طائرة ونقلوه إلى مكان مجهول[1].

وإن هذه المرحلة، مرحلة "سعيد الثالث"، شهدت الانطلاق الحركي لدعوة رسائل النور؛ فيوجه الإمام النورسي رسائل للمسئولين في البلاد ناصحاً وموجهاً وداعياً إلى منهج الله، وكان لهذه الانطلاقة تأثيرها غير المباشر في تغيير السلطة الحاكمة لنظرتها القاتمة؛ فقد كانت أفكار الإمـــام النورســـي وانتشارها المتزايد، دافعاً لهم في إعادة النظر في العديد من مظاهر محاربة الدين في المجتمع التركي.

ومـــع ذلـــك أصر الإمام – رحمه الله – في هذه المرحلة، على القاعدة التي اتخذها منذ "ســـعيد الجديد"، بعدم الانخراط في السياسة، حتى لا يكون الدين مطية للسياسة، مؤكداً لطلابه ضـــرورة الحفـــاظ على هذا النهج، والتمسك بأسباب النجاح؛ من صدق وإخلاص تام، وتعاون واتحـــاد، وعـــدم اختلاف، والعمل على محاربة الفرقة التي هي مع الفقر والجهل، أهم أعداء الإنسان والمجتمع، والتي لا يتأتى إصلاح مجتمع دون محاربتها.

هـ- الشهود الأواخر:

هـــم أولـــئك الأشـــخاص الـــذين شاهدوا الإمام النورسي، والتقوا به، وأدلوا بشهاداتهم ومـــشاهداتهم التي عاينوها بأنفسهم من خلال التعامل معه في جوانب متعددة، في فترات زمنية مخـــتلفة، ومن أماكن مختلفة. ولقد جمعت هذه الشهادات والمشاهدات التي تستند في مصادرها الإنـــسانية على الوثائق الحية المنتشرة على عموم سطح "تركيا"، من الذين لا يزالون على قيد الحـــياة في كتاب من أربعة مجلدات، وأشرف على تجميع الشهادات، وتبويبها، الكاتب التركي "نجم الدين شاهينز"، وترجم هذه الشهادات والمشاهدات إلى العربية "مأمون رشيد عاكف"، وقد نشر عام (٢٠١٢م).

1- للمزيد، أنظر: "سيرة ذاتية"، مرجع سابق، ص: (٤٣٥ – ٥١٦).

وهـــناك ملاحظة هامة ينبغي الالتفات إليها، وهي عدم الاكتفاء بإفادات الشهود، وإنما البحث المفصل – من جهة محرر الكتاب – في كل ما نشر في وسائل الإعلام والصحف، وما في رسائل النور من نصوص تتعلق بهذه الشهادات، والبحث عن حقيقة بعضها في زحمة المدن تارة، وفي القرى والأرياف، وفي رفوف المكتبات المتربة؛ للسؤال والاستفسار والسماع.

إن كـــتاب "الـــشهود الأواخـــر شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان النورسي" يتضمن شهادات ثلاثمائة وبضعة وخمسين شاهدا، وقد قمنا بتقسيمهم من خلال رؤيتنا الخاصة إلى عشر مجموعات، كالآتي:

١ - **الـــشهود الأواخر من طلاب الإمام النورسي**: وهم مائة وواحد وستون شاهدا، منهم عشر طالبات، بينهن "فطنت كونكر" أول امرأة تساق إلى محاكمات رسائل النور.

والـــسمة المميزة لكل شاهد من هؤلاء، أنه هين سهل موطأ الأكناف، مصبوغ بتواضع العـــزة التي تستعصي على أي معنى من معاني الإذلال والخنوع، وظهر في حديث جلهم أنهم اســـتمدوا ذلـــك عمليا من أستاذهم "الإمام النورسي"، الذي لم يكن له مأوى على ظهر الأرض ســـوى المنافـــي والسجون، وبالرغم من أهوال العذاب الذي لاقاه، إلا أن قلبه المفعم بالرحمة والإشفاق، كان يمنعه من رفع يديه بالدعاء على جلاديه.

٢ - **الـــشهود الأواخر من المحبين والمتعاطفين**: وهم عشرون شاهدا، بينهم امرأة واحدة، وقد أجمعـــوا فـــي شهاداتهم على أن عظمة روح "الإمام النورسي"، وقوة إرادته، انبعثت شعاعاتها النورانية في قلوبهم، وجذبتهم إلى حقائق الإيمان.

٣ - **عمـــوم الناس**: هناك أربعة وستون شاهدا من الجمهور العام، التقى بعضهم بالإمام مرة أو مرتين، وبعضهم شاهده ولم يحدثه، وآخرون التقوا به في المساجد، أو أثناء تنقلاته بين المنافي المختلفة، والبعض الآخر جاوروه في سكناه الذي كان ينزل به في كل منفى.

٤ - **أصـــدقاء الإمـــام النورسي**: تسعة عشر صديقا؛ ما بين صديق حرب في الحرب العالمية الأولـــى، أو صـــديق دفـــاع في حرب التحرير، أو صديق أسر في روسيا، أو صديق قديم في الدراسة. واللافت للنظر؛ أنه مع اختلاف زمان الصداقة، ومكانها، وظرفها، والمستوى العلمي والاجتماعـــي لأصحابها، إلا أنهم أشاروا إلى ما يتمتع به الإمام النورسي، من شجاعة وشهامة وجرأة ورحمة.

٥ - **العلمـــاء والأئمـــة من غير طلاب النور**: أفاد ثلاثة وعشرون عالما، منهم عشرون داخل تـــركيا، وعالمان مصريان، وعالم شامي، بشهاداتهم عن الإمام "النورسي"، وكان مركز الالتقاء بين جميعهم هو الإقرار بسعة علم الإمام – رحمه الله – وحدة ذكائه، واستشرافه للمستقبل.

٦ - **صحفيون وناشرون**: أدلى أحد عشر ناشرا وإعلاميا وصحفيا ومفكرا بشهاداتهم عن الإمام "النورســـي"، ودارت هـــذه الشهادات حول ثلاثة محاور: الفريق الأول: التقت آراؤهم في كون الإمـــام النورســـي، هو الرجل الوحيد الذي لم يصبه الهدم في عهود التغيير والانهدام، بل ظل منتصبا صامدا، والفريق الثاني: رأى في الإمام النورسي نموذجا للعالم الذي يعيش دعوته التي يدعـــو الناس إليها، بينما رأى الفريق الثالث الإمام النورسي شخصية متميزة ومؤثرة، بما حققه من نتائج مبهرة مع قلة الإمكانات.

٧ - **الأســـاتذة الجامعـــيون**: خمـــسة أساتذة، أحدهم أدهشه موسوعية الإمام النورسي العلمية، والثانـــي أعجبه شموخه ووضوح هدفه، والثلاثة الآخرون أقروا بدوره في حفظ شخصية تركيا المسلمة.

٨ - **المحامون**: خمسة من المحامين الذين تولوا الدفاع عن الإمام النورسي في محاكم مختلفة.

٩ - **جنائـــيون ســـابقون**: هناك خمسة جنائيين سابقين التقوا بالإمام النورسي في السجن؛ منهم اثـــنان كـــان قد حكم عليهم بالإعدام، ثم خفف الحكم. اتفق الخمسة على عظمة الإمام النورسي ورجولته، وروعة طلابه بأخلاقهم العالية، وأنهم سر نجاتهم من الشقاء والتعاسة.

١٠ - **أصحاب سلطة ونواب سابقون**: تم تتبع واحد وأربعين شاهدا كانوا في السلطة في فترات زمنـــية متنوعة، ومن بين هؤلاء "حسناء شنر" أول خريجة جامعية تركية، وأول قانونية، وأول ســـيدة قاضـــية، وصـــاحبة استصدار أول قرار بحكم البراءة في تاريخ خدمة رسائل النور في محكمة "دينزلي" عام (١٩٤٣) مع السيد "علي رضا".

هؤلاء الشهود، ذهب الحكام ومدراء الشرطة ورجال البوليس والسجانون، في شهاداتهم إلى شبه اتفاق على أن الإمام النورسي وطلابه أشخاص ربانيون، لا يمكن أن يكونوا بأي حال من الأحوال في موقع الخصم مع الدولة، ولا أن يحملوا أفكارا هدامة.

- بينما ذهب معظم النواب السابقين إلى كون الإمام النورسي صاحب دعوة مخلصة لخير العالم الإنساني، ولتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع التركي.

- في حين يندم الذين أصروا على إيذاء الإمام النورسي، ندماً مريراً، ويسألون الله أن يغفر لهم.

الباب الأول

[من مقومات الدعوة]

الفصل الأول: ماهية الدعوة ومصادرها.

الفصل الثاني: الطابع المميز للدعوة النورية ومعالمها.

الفصل الثالث: أهم غايات الدعوة النورية وأهدافها.

الفصل الرابع: من قواعد الدعوة النورية وأصولها.

الباب الأول

(من مقومات الدعوة)

إن الدعوة إلى الله عز وجل، والتبليغ عنه سبحانه وتعالى، دعوة الإسلام، دعوة التوحيد، دعوة إنقاذ الإيمان، كانت وما زالت وستظل عمل الدعاة إلى الله. الذي يملأ عليهم آفاقهم، وهذه الدعــوة على درجة من الاتساع والعمق، بحيث لا يستوعبها إلا كتاب الله، القرآن الكريم، الذي جعله سبحانه وتعالى تبيانا لكل شيء، وهاديا للتي هي أقوم، وفرقانا بين الحق والباطل، ورحمة وشفاء للمؤمنين، ونورا ورحمة للمتقين.

ومــن هــنا كانــت دعوة النور، المتحركة برسائل النور، التي هي فيض قرآني يناسب العصر، مدرسة رائدة في الدعوة، لها ماهيتها التي تميزها، ومصادرها التي تستند عليها.

الفصل الأول: ماهية الدعوة ومصادرها

إن دعوة النور، مدرسة من مدارس الدعوة إلى الله، تبتغي إنقاذ الإيمان كمنطق أولي، ثم الارتقاء بهذا الإيمان إلى أن يصبح إيمانا تحقيقيا راسخا في النفوس؛ يصحب المؤمن في أحيانه كلهــا، ويــصبغ الــنفس بصبغة ثابتة في أحوالها المتباينة، فيظل الإنسان منطبعا بهذه الصبغة الإيمانــية في صحواته وغفواته، في بيعه وشرائه، في صداقته وخصومته، في فرحه وترحه، وهو بهذا الإيمان التحقيقي يكون مع الله وبالله ولله.

المطلب الأول: ماهية الدعوة النورية:

نقــصد بالدعــوة الــنورية: ذلك النموذج الدعوي الذي أسسه الإمام "بديع الزمان سعيد النورسي" في الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالى، على قواعد وأصول أثبتها في مؤلفاته التــي تتمــثل فــي "كليات رسائل النور"، التي تستمد نورها من نور القرآن الكريم، ونور سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا؛ فإن نهج دعوة النور الذي خطته رسائل النور، جامع لميادين العقيدة والتزكية والفقــه، والتــربية الشاملة التي تغطي كل جوانب حياة الإنسان؛ الروحية، والعقلية، والنفسية والاجتماعية، والبدنية، والجمالية، والاقتصادية، والسياسية.

ويأتي السؤال الذي قد يطرأ على ذهن القارئ: وما الذي تعالجه الدعوة النورية ؟ ولماذا الارتكاز على رسائل النور ؟

أولا: ما الذي تعالجه الدعوة النورية ؟

لمـــا كان "أخطر شيء في هذا الزمان، هو الإلحاد والزندقة والفوضى والإرهاب، فليس تجـــاه هـــذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن"[1] ومواجهة هذه المصائب بالجهاد المعنوي بالقرآن، والعمل على إنقاذ إيمان الناس.

ومـــن هـــنا؛ فـــإن الدعوة النورية تعالج كل جزئية من جزئيات الانحراف في المجتمع الإســـلامي والإنـــساني على السواء، كي تعود إلى الفطرة والتوازن، والعبودية الخالصة لرب العالمـــين، وأقصر الطرق لتحقيق ذلك هو الجهاد بالقرآن الكريم؛ لأن "طريق المعراج القرآني الـــذي يعلـــنه ببلاغـــته المعجزة، لا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه، وأقربه إلى الله، وأشمله لبني الإنسان"[2].

لقد ركزت الدعوة النورية على وحدة المجتمع، والحفاظ على نظامه الداخلي، وأن الجهاد داخـــل العالم الإسلامي، جهاد معنوي بالقرآن، جهاد دعوة وعلم، وبذل ونصيحة، حسب قانون التدرج الكوني، مدركة تمام الإدراك، أن "من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية، ويؤسس حركة لا يـــستثمر مساعيه، ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون أعماله لأجل التخريب والشر"[3]. وأن الإنسان الذي أصبح في حكم "خليفة الأرض، ونتيجة الكون، وسلطان الأحياء، أمامه أجلٌ خميرة لتنوع النوع البشري، وأهم نابض محرك له، ألا وهو التسابق لإحراز الفضيلة المتسمة بالإيمان الحقيقي"[4].

ثانيا: لماذا رسائل النور ؟

وأمـــا عن كون "رسائل النور" ممثلة لنهج الدعوة النورية، فيوضح أحد الشهود الأواخر ذلك، قائلا: "لأن رسائل النور هي من المعجزات القرآنية، وسلاح ضد أعداء الدين والحركات الإلحاديـــة، تقـــوم بإصلاح النفوس والأرواح المتحطمة تحت تأثير الحركات الإلحادية، وبروح معنوية، ودعم إيماني كبير وإسناد عظيم.

1- الملاحق، مرجع سابق، ص: ٣٤٤.
2- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ١٢٢.
3- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور – اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص: ٢٥٧.
4- المرجع السابق، ص: ٢٥٨.

وإن رسائل النور سلاح ماض في هذا العصر، تخاطب مفاهيم هذا الزمان، مظهرة طرزا من الحلول توافق متطلباتها، متأتية في الفيض والإلهام القرآني الذي يتوجه مباشرة لتقديم مفاهيم القرآن الحكيم، بأسلوب عصري يتلاءم مع المتطلبات الحديثة"[1].

ويضيف شاهد آخر، بقوله: "ولأن رسائل النور، مدرسة نورية للقرآن الكريم حسب مفاهيم هذا العصر، فإن جميع ذوي النيات الحسنة، والجيل القادم، لن يغمضوا أعينهم أمام هذه الحقيقة، ولن يقفوا بعيدا عنها، وحتما سيتخلص العالم المسيحي من الخرافات، ويتجهون نحو الدين الحق، إن شاء الله. هذا النور الذي يشتد لمعانه ويزيد بريقه، كلما نفخوا فيه مستهدفين إطفاءه، إنه نور القرآن والإيمان، ونور فخر الكائنات محمد صلى الله عليه وسلم، وسيدوم وينتشر إلى الأبد، وينير ظلمة البشرية أجمع، ويخرجهم إلى الضياء، إنه النور الإلهي الأزلي والأبدي"[2].

وربما يستفسر قارئ: وما الذي تعلمه رسائل النور ؟ ونحيل قارئنا العزيز إلى شهادة طالب من طلاب النور، عندما كان يدافع عن رسائل النور أمام المحكمة قائلا: "إن رسائل النور قد علمتني وظائفي الدينية والإيمانية، وعلمتني أن الإسلام أسمى وأقدس دين، وأنه السبيل الوحيد لسعادة البشرية، وعلمتني أن القرآن هو الأمر الإلهي النازل من رب العالمين سبحانه وتعالى، الحاضر الناظر في كل مكان، وأن الوجود بأجمعه، بدءاً بالذرات وانتهاء بالمجرات والنجوم هو تحت قدرته، وتحت إرادته وإدارته الأزلية، وعلمتني أن القرآن معجزة إلهية، يحيط نظره بكل الحوادث منذ الأزل إلى الأبد، وأنه أسمى من جميع الكتب، وكتاب معجز من أربعين وجها، وكلام أزلي يبشر البشرية جمعاء بالسعادة الأبدية؛ فيجعل المشتاقين إليه يشعرون بعظمة المنة عليهم. وعلمتني أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قدم للناس جميعاً، بنور الإسلام، أكبر بشرى وأقدس سلوان، وأنه أدار بسلطنته المعنوية خمس أنواع البشر منذ أربعة عشر قرنا، ويكتب في دفتر حسناته – صلى الله عليه وسلم – جميع ما كسبته أمته من حسنات منذ ألف وأربعمائة ونيف من السنين، وأنه سبب خلق الكائنات، وأنه حبيب الله، وعلمتني أن الآخرة والجنة وجهنم حق وحقيقة، وذلك ببراهين وحجج مستقاة من القرآن المعجز"[3].

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٣، ص: ٣٥.
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٤، ص: ١٠.
3- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور – الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص: ٥٩٩.

المطلب الثاني: من مصادر الدعوة النورية:

إن الدعـــوة إلـــى الله والتبليغ عنه تبارك وتعالى، تحتاج إلى علم واسع، وكفاءة متميزة، تعـــين علـــى الإرشـــاد والتبليغ، وتحقيق التأثير المطلوب في الواقع، وتعين على معرفة النفس الإنـــسانية وأحوالها، كما تساعد على الاستفادة من الظروف والأحوال. لذا؛ فإن مصادر الدعوة النورية تتعدد، ومن أهمها المصادر التالية:

أولا: القرآن الكريم:

إن كـــتاب الله العزيـــز، القـــرآن الكريم، هو الذي يوسع الفكر، ويعمق الشعور، وينير البصيرة، ويأخذ بالعقول، وهو المصدر الغني بلا حدود؛ لأنه كتاب فوق الزمان وفوق المكان؛ يفـــسر حقـــيقة الإنسان والوجود والكائنات، فيمحّص حقيقة الإنسان تمحيصاً بالغ الدقة، ويقوّم الأشـــياء والحـــوادث تقويماً بالغ الحساسية ودقيق التوازن، وإذا توخينا أسلوب الإمام النورسي وتعبيـــره، فالقـــرآن: "هـــو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيـــات التكوينـــية، ومفسر كتاب العالم. وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض. وكذا هو مفتاح الحقائق والشؤون المضمرة في سطور الحادثات. وكـــذا هـــو لـــسان الغـــيب فـــي عالم الشهادة. وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية، والالـــتفاتات الأبدية الرحمانية. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي. وكـــذا هـــو خـــريطة للعـــالم الأخروي. وكذا هو قول شارح، وتفسير واضح، وبرهان قاطع، وتـــرجمان ساطع، لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه. وكذا هو مرب للعالم الإنساني، وكالماء وكالـــضياء للإنـــسانية الكبرى التي هي الإسلامية. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر. وهو المرشـــد الهـــادي إلى ما خُلق البشر له. وكذا هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة، كذلك كتاب حكمة. وكما أنه كتاب دعاء وعبودية، كذلك هو كتاب أمر ودعوة. وكما أنه كتاب ذكر، كذلك هـــو كـــتاب فكر. وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتباً كثيرة، في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعـــنوية. كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل، حتى أنه أبرز لمشرب كل واحد مـــن أهـــل المـــشارب المخـــتلفة، ولمـــسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة، من الأولياء والـــصديقين، ومـــن العرفاء والمحققين، رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب، وتنويره لمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة رسائل"[1].

1- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور – المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص: ٢٦٧.

ثانيا: السنة النبوية:

السنة النبوية حياة؛ من أخذ بنصيب منها أخذ بحظه من الحياة، والسنة ارتفاع وسمو؛ من تعلــق بشيء منها رفعته وسمت به، والسنة تقدم وارتقاء؛ من احترم ناموسها وجرّب دساتيرها تقدم وارتقى، والسنة طهر ونقاء؛ من استظل بغمامها وتعرض لأندائها، طهر قلبه، وتنقى فكره.

والإمــام النورســي يــدرك أهمية السنة النبوية، وأصالة مصدرها، ومدى ما يفيد منها المؤمن في حياته، وبخاصة الدعاة إلى الله، ولاسيما عندما تضطرب الموازين إلا ميزان السنة، ويــشيع في المجتمع الفساد، وتكثر البدع، فلا خلاص للمسلم ولا نجاة له إلا باللجوء إلى السنة، وبلسان الإمام النورسي، فإن "اتباع السنة المطهرة لهو حتما ذو قيمة عالية، ولاسيما اتباعها عند فساد الأمة؛ إذ تشعر مراعاة أبسط الآداب النبوية بتقوى عظيمة، وإيمان عميق راسخ؛ ذلك لأن الاتــباع المباشــرة للــسنة المطهرة، يذكر بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم. فهذا التذكر الناشئ من ذلك الاتباع ينقلب إلى استحضار الرقابة الإلهية، بل تتحول في الدقائق التي تراعي فيها السنة الشريفة أبسط المعاملات العرفية والتصرفات الفطرية، كآداب الأكل والشرب والنوم وغيــرها، إلــى عمل شرعي وعبادة مثاب عليها؛ لأن الإنسان يلاحظ بذلك العمل المعتاد اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، فيتصور أنه يقوم بأدب من آداب الشريعة، ويتذكر أنه صلى الله عليه وسلم؛ صاحب الشريعة، ومن ثمَّ يتوجه قلبه إلى الشارع الحقيقي، وهو الله سبحانه وتعالى، فيغنم سكينة واطمئنانا ونوعا من العبادة.

وهكــذا، وفــي ضــوء ما تقدم، فإن من يجعل اتباع السنة عادته، فقد حوّل عاداته إلى عبادات، ويمكنه أن يجعل عمره كله مثمراً ومثاباً عليه"[1].

ثالثا: سيرة السلف الصالح والتابعين:

ففــي ســيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سوابق مهمة في أمور الدعوة إلى الله، يستفيد منها الداعي؛ لأن الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، كانوا أعلم من غيرهم بمراد الله في الدعوة إليه سبحانه. فهم بصحبتهم للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، تلامذته الأقربون، الــذين لازمــوه زمانــاً ومكانا، وصحبوه في سراء الحياة وضرائها، وأخذوا عنه، وتلقوا منه مباشــرة، واســتمعوا لــه شفاها، ورأوا عدله إذا قضى، ورحمته إذا ساس الناس، وكرمه إذا أعطــى، وأمانته إذا اؤتمن، ولمسوا من قريب إخلاصه في توحيده، وحبه في عبوديته، وإيثاره

1- اللمعات، مرجع سابق، ص: (٨٠، ٨١).

رضا الله عن كل رضا، ومحبة الله على كل محبة؛ لذا فهم رجال الإيمان حقاً، وأبطال الإسلام صدقاً، الحاملون لهموم أمة، والمثقلون بتبعات دين ورسالة ودعوة.

رابعا: مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية:

إن الحياة الاجتماعية معمل واسع التجارب، "والتجربة معلم جيد للإنسان، وبخاصة لمن يعمل مع الناس ويتعامل معهم،وللداعية إلى الله تجارب كثيرة في مجال الدعوة، هي حصيلة عمله المباشر مع الناس، ومباشرته الفعلية للدعوة في ضوء ما استوعبه من المصادر السابقة (القرآن، السنة، سيرة السلف، المصلحة، التصوف)؛ لأن التطبيق قد يظهر له وجه الخطأ فيتجنبه في المستقبل، وقد يكون الثمن غاليا، ولكن ما يتعلمه من التجارب أغلى من الثمن المدفوع إذا انتفع من التجارب حقا. كما أن الداعي يستفيد من تجارب الآخرين في مجال الوسائل والأساليب؛ فإن الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها من أي وعاء خرج"[1].

ولنسمع شهادة الإمام النورسي حول تعلمه من هذا المصدر؛ حيث يقول: "لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية، وعلمت في هذا الزمان والمكان، أن هناك ستة أمراض، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى، في الوقت الذي طار فيه الأجانب، وخاصة الأوربيين، نحو المستقبل. وتلك الأمراض هي:

أولا: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبواعثه.

ثانيا: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثا: حب العداوة.

رابعا: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامسا: سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية والمتنوعة.

سادسا: حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

ولمعالجة هذه الأمراض الستة الفتاكة، أبين ما اقتبسته من فيض صيدلية القرآن الحكيم، الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الاجتماعية، إذ لا أعرف أسلوبا للمعالجة سواها"[2].

1- أصول الدعوة، مرجع سابق، ص: ٤١٤.

2- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٤٩١ – ٤٩٢.

الفصل الثاني: الطابع المميز للدعوة النورية ومعالمها

مـــن البدهيات الواضحة في عقل كل مسلم، أن غاية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هي التبلـــيغ والدعوة إلى الله؛ "**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**" [النور: ٥٤، العنكبوت: ١٨]، وأن النبـــي صـــلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين والمرسلين لم يخرج في ذلك عن وظيفة إخوانه من الأنبياء والمرسلين السابقين؛ فهم كلفوا بنفس المهمة؛ "**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**" [النحل: ٣٥]، وأنهـــم – علـــيهم السلام – بعثوا لقومهم خاصة، بينما رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، عامة وباقية إلى قيام الساعة؛ "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**" [سبأ: ٢٨].

وما روح البلاغ والدعوة إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف الذي أمرنا بالدعوة إليه يتمثل في الإيمان بالله رباً واحداً، وإلها لا إله غيره، والكفر بالطاغوت بكل أنواعه ومظاهـــره، والإقبال على الله وعدم الركون إلى الدنيا؛ "**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**" [النحل: ٣٦].

وعلى هذا الدرب سلكت الدعوة النورية طريقها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، والدعوة إلى الخير، لها طابعها المميز، ومعالمها الواضحة، التي نلقي الضوء على أوضحها ظهوراً في مسيرتها الدعوية.

المطلب الأول: التركيز على الأصل وعدم تبديد الجهد في الجزئيات:

ما خلقنا الله عز وجل إلا لنعْرَفه ونُعَرّفه؛ فالعيش بمقتضى القصد الإلهي هو سر خلقتنا، الذي يعمر دنيانا كما يعمر آخرتنا، وبخلافه نعاقب بصفعة تأديب من أجل هذا المقصد الإلهي، الـــذي هـــو ضمان حياتنا الدنيوية والأخروية؛ نعاقب كأمة، ونعاقب كمجتمع، وندفع إلى شباك الفـــتن والفـــساد، والعياذ بالله؛ أي يتعرض المجتمع إلى البلايا والمصائب عندما لا يؤدي هذه الوظيفة الجليلة، مهمة البلاغ والدعوة.

لذا؛ فإن الدعوة النورية أكدت في دعوتها إلى الله، على أولوية إنقاذ الإيمان في النفوس، وقـــدمت الكثير من العمل لإبراز حقائق الإيمان، كما بذلت جهداً عظيماً في نشر معاني الإيمان بـــالله رباً قديراً حكيماً، وإلهاً واحداً فرداً صمداً جليلاً، والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، والإيمان بالبعث بعد الموت بالروح والجسد، والإيمان بضرورة العمل الصالح للنجاة مـــن العـــذاب فـــي الآخرة؛ لأن الدعوة إلى الإيمان هو الأصل وما عداه جزئيات، فإذا استقام الأصل واستجاب له الناس، سهل إقناعهم بمعاني الإسلام وجزئياته المختلفة.

ومـــن هذا المنطلق وجه الإمام النورسي طلابه إلى ضرورة التركيز على ذلك، وعدم الالتفات إلى غيره؛ فعندما جاءه أحدهم ليحدثه عن الطريقة الصوفية، أجابه: "أخي؛ سوف يأتي عليـــنا زمان يكون فيه الإيمان مزعزعاً وتقليدياً؛ فعلينا جميعاً أن نضع الطريقة جانباً، ونباشر مـــن الـــيوم قبل فوات الأوان بتقوية الحجج الإيمانية، وترسيخها في القلوب، وعلينا تحقيق هذه الوظيفة القيمة الملقاة على عاتقنا"[1].

ولقـــد حافظ الإمام النورسي على هذا الطابع الدعوي المميز، رغم معاناته المريرة التي يصفها وصفاً يتقطر منه الانكسار، فيقول: "لم أذق طول عمري البالغ نيفاً وثمانين سنة شيئاً من لذائـــذ الدنـــيا.. قضيت حياتي في ميادين الحرب، وزنزانات الأسر، أو سجون الوطن ومحاكم البلاد.. لم يبق صنف من الآلام والمصاعب لم أتجرعه؛ عوملت معاملة المجرمين في المحاكم العـــسكرية العـــرفية، ونفيت وغرّبت في أرجاء البلاد كالمشردين، وحرمت من مخالطة الناس شـــهوراً في زنزانات البلاد و وسممت مراراً، وتعرضت لإهانات متنوعة، ومرّت عليَّ أوقات رجحـــت المـــوت على الحياة ألف مرة، ولولا أن ديني يمنعني من قتل نفسي، فربما كان سعيد الآن تراباً تحت التراب"[2].

فهـــذه الحالـــة التي عبر عنها الإمام النورسي هي قدر مكتوب على كل من يقوم بمهمة الدعـــوة إلى أصل الأصول، إلى حقائق الإيمان، وينهي عن الإلحاد والكفر والطغيان، بإصرار وثبات.

المطلب الثاني: الجمع بين القلب والعقل:

فالدعـــوة النورية قائمة على ازدواج الفكر والعاطفة، واجتماع العقيدة وألوان الإحساس الروحانـــي، حتـــى تدب الحياة في العقيدة، وتصبح مصدر حركة وقوة دفع للإيمان التحقيقي، وليست مجرد فكرة عقلية لا يخفق لها القلب، ولا يستجيب لها الحس، ولا تتدفق بالحياة، والإمام النورســـي يوضـــح هـــذا الطابع في الدعوة النورية، مبينا أن "أساس رسائل النور، وخميرتها، وقاعـــدتها، وروحها، وحقيقتها، هي تصديق الحقائق الإيمانية؛ حيث الإيمان بالغيب وبفيض من سر الوحي، وبأسلوب برهاني وقرآني بامتزاج العقل والقلب، بعلم اليقين الذي يصل إلى درجة الضرورة والبداهة في قوة حق اليقين"[3]. فهي دعوة فكر وعاطفة تتجلى فيما يلي:

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ١، ص: ١٨٢.

2- سيرة ذاتية، مراجع سابق، ص: ٤٥٧.

3- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور – المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص ٢٥٦.

أولا: التفكير الإيماني:

ذلــك التفكير الذي يصبح به المرء إنسانا حقا، ويصير به المسلم متعبدا حقا، ويغدو به المــؤمن لائقــا للأمانة الكبرى، وخليفه أمينا على الأرض، وبتعبير الإمام النورسي: "اعلم أن التفكيــر نــور يذيب الغفلة الباردة الجامدة، والدقة نار تحرق الأوهام المظلمة اليابسة، لكن إذا تفكرت في نفسك فدقق وتمهل وتغلغل وفصله تفصيلا.. وإذا تفكرت في الآفاق فأجمل وأسرع، ولا تخض إلا لحاجة إيضاح القاعدة"[1].

إن هــذا التفكــر يفتح به الداعي إلى الله آفاقا واسعة أمام نظره وقلبه، فيشاهد ويراقب بفؤاده ولطائفه كافة الكائنات بكل عظمتها، ابتداء من الذرات إلى السيارات، ويرى بكل وجد في تلك العوالم تجليات أسماء الله تعالى وصفاته الجليلة، بألف تجل وتجل، وبهذا يرى ويحس بعلم اليقــين وعين اليقين، بل بحق اليقين، أنه في مسجد لا منتهى له، يدخله ما لا تستوعبه الأرقام من الجماعات"[2]

ومن أجل أن يحفز الإمام النورسي التفكير الإيماني في أذهان طلابه كان يتقدمهم ليوقفهم علــى الكونيات وجها لوجه من دون واسطة الكلمات؛ فإثارة حماس العقل عند الطالب النوري، فــي تفكــره بالأشــياء، وفــي استكناه أسرارها وخفاياها، من مستلزمات تكوين العقل العلمي الاستكــشافي، وهــي فــي الوقت نفسه من مهمات السلوك الدعوي التربوي العملي عند الإمام النورســي، يقــول أحــد الــشهود الأواخر: "كان الأستاذ يرتقي التلال التي تشرف على مدينة "إســبارطة" ليشاهد من فوقها مناظر الفطرة، ومشاهد الطبيعة، وكانت الطريق مكسوة بأشجار الفواكه، وبخاصة "العنب" فيمسك الأستاذ بالعنقود منها، دون أن يقطعه، ويعد حباته مبينا لنا ما فيه من بدائع الصنعة الإلهية، والإتقان الرباني، فيقول: انظروا في حلويات القدرة الإلهية هذه. وهكذا كنا نتلقى دروسا إيمانية في التدبر وفق منهج القراءة في كتاب الكون المفتوح أمامنا"[3].

ثانيا: العقلية الموضوعية:

لقــد أدرك الإمام النورسي من فترة مبكرة الحاجة الماسة إلى عقل موضوعي "يتصور الأمــس واليوم معا، وقادر على التمعن في الكائنات والإنسان والحياة دفعة واحدة، موهوب في المقايــسة والمقارنــة، منفــتح على بُعد أسباب الوجود وعلله، محيط بظهور الأمم والجماعات

1- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور – الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، ط٤: ٢٠٠٤، ص: ٥٥٨.

2- انظر: سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٣١

3- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٤، ص: ٣٢١.

واضـــمحلالها، حكـــم فـــيما يغلط فيه علم الاجتماع وعلم النفس أو يصيب، رقيب على تحول أحـــوال الحـــضارات بالـــولادة والموت والتقهقر، مقتدر في التمييز بين الغاية والوسيلة، مالك لسلامة الوجدان واستقامة الفكر، محترم للمقصد، خبير بحكمة التشريع ومراد صاحب الشريعة، عالم بالأسس المحضة لأحكام الدين، مستقبل للواردات الإلهية"[1].

ولقد تجلت مظاهر العقلية الموضوعية النورية في مواقف عديدة للإمام النورسي؛ فالشيخ "بخـــيت المطيعـــي" – مفتـــي الديار المصرية – يسأله عام (١٩٠٨م): "ماذا تقول في حق هذه الحـــرية العثمانية والمدنية الأوربائية ؟ فأجابه الإمام النورسي: إن الدولة العثمانية حاملة بدولة أوربائية، وستلدها يوما ما، وإن أوربا حاملة بالإسلام، وستلده يوما ما.

فقال الشيخ "بخيت": وأنا أصدق ما تقوله"[2].

ثالثا: تزكية النفس والارتقاء الروحي:

إن الدعوة النورية ليست دعوة عاطفية منخفضة، تستغل العاطفة فحسب، وإنما تستوحي عـــواطفها من مفاهيمها الإيمانية عن الحياة والكون والإنسان؛ لذلك أولى الإمام النورسي القلب عـــناية خاصة، واهتم بتزكية النفس الأمارة بالسوء، والسمو بها في مدارج التربية، إلى مرتبة الـــنفس الراضية والنفس المطمئنة، مستخدما العديد من فنون النصح والتربية والإرشاد قاصدا؛ "الحفاظ الدائم على طهارة القلب حيال دوافع الشيطان والنفس، وردع النفس عن ميولها الخاصة وتضييق مجالها بقدر المستطاع، ومواصلة السير في طرق الارتقاء نحو الإنسانية الحقيقية بالكد الـــدائم للـــبقاء في مستوى الحياة القلبية والروحية. وتكريس الحياة على تحقيق السعادة المادية والمعنوية للآخرين، مع منتهى الجدية في المناسبات مع الحق تعالى. واتباع نهج النبوة في عدم انـــتظار الأجـــر حتى في أصدق الجهود وأخلصها، وفي أعظم الأعمال وأشدها. والعزم على المسير أبداً في ظلال المشكاة المحمدية صلى الله عليه وسلم، في مساعي العبودية للحق تعالى. وإشـــهار عبودية صافية خالصة لا غرض فيها ولا عوض، بالتقيد الشديد في المناسبات مع الله تعالـــى؛ بإدراك نوعية المناسبة بين الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود. والقيام بمنتهى التحمل والصبر الدؤوب حيال المعاصي، وأداء العبادات والطاعات في لذة ونشوة، كأنها الغاية والهدف مـــن الحـــياة. واستقبال البلايا والمصائب بالابتسام، مع انشراح الصدر لقهره ولطفه تعالى في نفـــس المستوى. وربط كل أنواع السعي والهمة باستحسان الحق تعالى، وليس بتقويمات البشر.

1- محمد فتح الله كولن، ونحن نقيم صرح الروح، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، القاهرة: دار النيل، ط٢: (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م)، ص: ٢٠.

2- الشهود الأواهر، مرجع سابق، المجلد ١، ص: ١٤٤.

والصبر على تباطؤ الزمن صبر الدجاجة الحضون"[1]. ويحدثنا – رحمه الله – عن جانب من ذلك، قائلا: "قال لي أحد الأتقياء في قسطموني شاكيا: لقد ترديت وتقهقرت عن حالي السابق؛ إذ فقدت ما كنت عليه من أحوال وأذواق وأنوار. فقلت له: بل ترقيت، واستعليت على الأذواق والكشوف التي تلاطف النفس وتذيقها ثمراتها الأخروية في الدنيا، وتعطيها الشعور بالأنانية والغرور.. وقد طرت إلى مقام أعلى وأسمى، وذلك بنكران الذات وترك الأنانية والغرور، وبعدم التحري عن الأذواق الفانية.. نعم إن من الإحسان الإلهي للعبد أن ينسيه إحسانه بفنائه عن نفسه التي لا حول لها ولا قوة ولا وجود إلا بالمحسن"[2].

وفي مضمار التمسك بتحقيق هذا الارتقاء الإيماني والروحاني، نجد عصارة كلام السعداء الذين اتبعوا المرسلين والأنبياء، وساروا على نهجهم، وتعهدوا الدعوة إلى الله على عاتقهم، نجده في قول الإمام النورسي: "لقد افتديت نفسي ودنياي في سبيل إيمان المجتمع وسعادته وسلامته، لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق إيمان المجتمع، فليس في قلبي رغب في الجنة، ولا رهب من جهنم، فليكن "سعيد" بل ألف سعيد قربانا، ليس في سبيل إيمان المجتمع التركي، بل في سبيل إيمان المجتمع الإسلامي. ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الأرض، فلا أرغب حتى في الجنة؛ إذ ستكون هي أيضا سجنا لي، وإن رأيت إيمان أمتنا في خير وسلام، فإنني أرضى أن أحرق في لهيب جهنم؛ إذ بينما يحترق جسدي، يرفل قلبي في سعادة وسرور"[3].

ولنتأمل أثر هذه التزكية، وصدى هذا الارتقاء الروحي، وفيض محبة الله وخشيته، في مناجاة للإمام النورسي لله رب العالمين يقول فيها: "يا إلهي الرحيم، يا إلهي الكريم، قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي، وما بقي من ثمراتها في يدي إلا آثام مؤلمة مذلة، وآلام مضرة مضلة، ووساوس مزعجة معجزة.. وأنا بهذا الحمل الثقيل والقلب العليل والوجه الخجل، أدنو إلى باب قبري؛ بيت الوحدة والانفراد في طريق أبد الآباد و مفارقا هذه الدار الفانية الهالكة باليقين، والآفلة الراحلة، والغدارة المكارة، لاسيما لمثلي ذوي النفوس الأمارة.

1- محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، القاهرة: دار النيل، ط ١ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ص: ٩٢.

2- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٣٧٤ بتصرف يسير.

3- سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٤٥٧.

فــيا ربي الرحيم، ويا ربي الكريم؛ أراني عن قريب وقد لبست أكفاني وركبت تابوتي، وودعــت أحبابــي، وتوجهت إلى باب قبري، فأنادي وأنا على باب رحمتك: الأمان الأمان، يا حنان يا منان، نجّني من خجل العصيان.

آه.. أنــا ملــتف بكفنــي وســاكن في قبري، وقد تركني المشيعون وأنا منتظر عفوك ورحمــتك، مــشاهد بأن لا ملجأ ولا منجى إلا إليك، وأنادي: الأمان الأمان من ضيق المكان، ووحــشة العــصيان، ومن قبح وجه الآثام، يا رحمن يا حنان ويا ديّان، نجني من قيود الذنوب والعصيان.

إلهــي؛ رحمتك ملجئي ووسيلتي، وإليك أرفع بثي وحزني وشكايتي.. يا خالقي الكريم، ويــا ربــي الــرحيم، ويا سيدي ومولاي؛ مخلوقك ومصنوعك وعبدك العاصي العاجز، الغافل الجاهــل العليل الذليل، المسيء المسن الشقي الآبق، قد عاد بعد أربعين عاما إلى بابك، ملتجئا إلــى رحمــتك، معترفا بالذنوب والخطيئات، مبتلى بالأسقام والأوهام، متضرعا إليك، فإن تقبل وتغفــر وتــرحم، فأنت لذلك أهل وأنت أرحم الراحمين، وإلا فأي باب يقصد غير بابك، وأنت الرب المقصود والحق المعبود، ولا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك.

آخر كلامي في الدنيا، وأول كلامي في الآخرة وفي القبر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

المطلب الثالث: الحضور الأخروي:

إن الحــضور الأخروي يعد من أهم معالم الدعوة النورية، وأبرز سماتها، وقد تجلى هذا الحــضور الأخــروي فــي تناول الإمام النورسي بالشرح الواسع، أساليب الدعوة إلى الإيمان بالبعث والحشر والحساب، تناولا نجده في رسائل النور.

فها هو – رحمه الله – يبين سبب غياب الآخرة في حياة الإنسان، قائلا: "إن هذا العصر العجــيب الــذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية، بما كثر عليه من متطلبات الحياة، وضيق علــيه مــن مواردها، وحول حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية، بما ابتلاه من تقليد الناس بعــضهم بعــضا، ومــن التمسك بعادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى، والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. هذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجابا دون الحياة الدنيوية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمرا ثانويا أو ثالثيا بالنسبة له.."[2]

1- اللمعات، مرجع سابق، ص: (١٩٧ – ١٩٨).

2- الملاحق، مرجع سابق، ص: ١٤٥.

ولما كانت رسائل النور تستقي من فيض القرآن الكريم، وتستمد من بحره وترجع إليه، فــلا عجــب أن يجد القارئ لرسائل النور، في كل رسالة يفتحها ما يذكره بالآخرة تصريحا أو تلمــيحا، أو إشارة بأمثلة واقعية من حياته اليومية، فيصير "الكون بسر التوحيد، بمثابة مزرعة تهيئ محاصيل وفيرة جدا لعالم الآخرة ومنازلها، وبمثابة مصنع عظيم يهيئ لوازم لطبقات دار الــسعادة، من أعمال بشرية غنية بمحاصيلها، وبمثابة جهاز تصوير سينمائي دائب عظيم يضم مئات الألوف من أجهزة الالتقاط؛ لالتقاط صور من الدنيا وعرضها مناظر سرمدية لأهل عالم البقاء، ولأهل الشهود في الجنة"[1].

فــضلا عن أنه – رحمه الله – بين في الرسائل كون الآخرة ليست منتهى الدنيا، بل هي موجودة الآن؛ فترسل إليها أعمال الإنسان وأقواله في كل آن، بدلالة الآية الكريمة:" **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِــمُ الطَّــيِّبُ وَالْعَمَــلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**" [فاطر: ١٠]. وبهذا الحضور الأخروي أرشد وأوضح كقــوله: "إن الإيمــان بالله واليوم الآخر أثمن مفتاحين يحلان لروح البشر طلسم الكون ولغزه، ويفتحان أمامها باب السعادة والهناء. وإن توكل الإنسان على خالقه صابرا، والرجاء من رزاقه شــاكرا، أنفــع علاجــين ناجعــين. وإن الإنصات إلى القرآن الكريم، والانقياد لحكمه، وأداء الــصلوات، وترك الكبائر، أغلى زاد للآخرة، وأسطع نور للقبر، وأيسر تذكرة مرور في رحلة الخلود"[2].

ولقد قوّى هذا الحضور الأخروي عزم الإمام النورسي، وشد من أزره، وهو يجاهد من أجل نشر دعوة النور، متحملا مصائب السجن وألوان الأذى التي نزلت به وبطلابه، وبالرسائل نفسها، معلنا – رحمه الله -:"أتحمل كل هذا الحزن والأسى بذلك الإيمان بالآخرة، رغم أنني ما كــنت أتحمل أية إهانة وتحكم من أي أحد مهما كان. إن نور الإيمان بالآخرة وقوته قد منحني صبرا وجلدا وعزاء وتسلية، وصلابة وشوقا للفوز بثواب جهاد عظيم"[3].

ويرســل الإمام النورسي البشري للبيت الأسري، مشيرا إلى انعكاس الحضور الأخروي على هذا البيت النوري؛ "فينور أرجاءه مباشرة ويستضيء؛ لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التــي تــربطهم لا تقــاس عندئذ ضمن زمن قصير جدا، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلــودهم وبقــائهم فــي دار الآخرة والسعادة الأبدية، فيقوم عندئذ كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين"[4].

---

[1]- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ١٥.
[2]- الكلمات، مرجع سابق، ص: ٢٦.
[3]- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٢٨٢.
[4]- نفسه، ص: ٢٨٣.

وهكـــذا؛ فـــإن اهتمام رسائل النور بالحضور الأخروي، يبرز ما في هذا الحضور من طاقة دعوية عظيمة تحيي الإيمان في النفوس، وتنقلها من وهدة الضعف والهوان، إلى قمة القوة الإيمانية السامقة، وذلك بما تتضمنه من مشاهد ومقامات تثير عواطف الخوف والرجاء، وترقق المـــشاعر، وتدعو كل من أخطأ الطريق، أو غفل عن الميثاق الإيماني، أو تناسى سر وجوده، تدعوه إلى الأوبة إلى رحاب الرحمن الرحيم.

فالـــذين يداومون على قراءة رسائل النور لا يبتغون أي هدف دنيوي، بل يبتغون خدمة الإيمان والقرآن فقط ليس غير.

ومن مظاهر خدمة الإيمان جعل الهدف المباشر لرسائل النور هو الآخرة، ولا علاقة له بالدنـــيا إلا بقدر ما ييسر له العمل على تحقيق مقصد الآخرة، وهذا ما يشهد له قول أحد طلاب النور "إن رسائل النور لا تستهدف الدنيا، بل تستهدف السعادة الأخروية الدائمة، وتستهدف نيل رضـــا الله الباقـــي الأزلي، الرحيم ذي الجلال، فما دام مثل هذا الهدف السامي موجودا، فإنني أبرئ رسائل النور، وأنزهها ألف مرة من الوقوع في أمور سفلية محرمة"[1].

المطلب الرابع: التغيير التدريجي والجهاد المعنوي:

فـــإن من أهم معالم الدعوة النورية، أخذها في الاعتبار الزمن والعصر الذي تعيش فيه، واعـــتمادها ســـنة الـــتدرج، واستخدامها الوسائل السلمية، مدركة أن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعـــية، ويؤسس حركة دعوية راشدة، لن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون.

وعلـــى هـــذا الأساس، فإن الدعوة النورية توضح القانون الأساسي للقرآن العظيم؛ أي المبادئ الأساسية الواضحة التي إذا تم تطبيقها في مجتمع، فسوف تعالج ما يعتري المجتمع من أمـــراض اجتماعية واقتصادية وسياسية، وكذلك المشاكل التي تنشأ من محاكاة الغرب وتطبيق مبادئ الفلسفة المادية. وهذه المبادئ تبين طابع المنهج الدعوي النوري؛ فهي مبادئ يمكن لأي فـــرد أن يتبـــناها ويطـــبقها في حياته اليومية، كما تعكس اهتمام الإمام النورسي بإحداث تغيير اجتماعـــي وعمل إصلاح من خلال الجهود الشخصية والتدرج؛ أي من القاع إلى القمة، ويبين خطـــورة الخـــروج عن مثل هذه المبادئ فيقول: "إن المدنية الحاضرة الغربية لسلوكها طريقا مناقـــضا لأسس دساتير السماء، وقيامها بمناهضتها، فقد طفح كيل سيئاتها على حسناتها، وثقلت كفـــة أضـــرارها على فوائدها؛ فلقد اضطرب أمن الناس واطمئنانهم، وأقلقوا وأسنت سعادتهم

1- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٦٠١.

الحقيقـــية، فاخـــتل مـــا هـــو مطلوب من المدنية ومقصود منها؛ حيث قد حلت بسببها نوازع الإســـراف والسفاهة محل بوادر الاقتصاد والقناعة، واستمرئت ميول الكسل والدعة، وهجرت مراعي السعي والعمل، ولقد ألبست هذه المدنية البشرية المضطربة لباس الفقر المدقع، وكستها أثواب الكسل والتقاعس الرهيب.

واســـتنادا إلـــى مـــا قامت به رسائل النور من إيضاح الدستور الذي يخاطب به القرآن الكـــريم في ندائه العلوي: "**كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ**" [الأعراف: ٣١]، وكذلك في قوله تعالى: "**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**" [النجم: ٣٩].

فقد أشارت تلك الرسائل مستضيئة بنور الآيتين المذكورتين إلى أن سعادة حياة البشرية منوطة بالاقتصاد وعدم الإسراف، وعلى إثارة الهمم للسعي والعمل والكد. وأنه بهذين الشرطين يتم التآلف والوئام بين طبقتي البشرية: الخواص والعوام"[1].

إن طابـــع الدعـــوة الـــنورية ونهجها هو الجهاد المعنوي ضد الإلحاد الظالم واللادينية، وإبـــراز حقائق الإيمان بعمل إيجابي متميز، يضع في الحسبان أن الدنيا دار حكمة؛ بمعنى أننا مـــضطرون باتـــباع السنن الإلهية في ترتب الأشياء والأمور، وإلا لا نصل إلى النتيجة قطعا؛ فالسنن الإلهية هي شريعة الله في الوجود، وهي صادرة من صفة الإرادة الإلهية.

"فمـــثلما يترتب وجود الخبز على أعمال تتم في المزرعة والبيدر، والطاحونة، والفرن، فـــإن ترتب الأشياء كذلك يقترن بحكمة التأني والتدرج، ولكن الحريص بسبب حرصه لا يتأنى في حركاته، ولا يراعي الدرجات والمراتب المعنوية الموجودة في ترتب الأشياء. فإما أنه يقفز ويطفر فيسقط، أو يدع إحدى المراتب ناقصة، فلا يرتقي لغايته المقصودة"[2].

المطلب الخامس: التمييز بين الدعوة والسياسة:

يجـــدر بنا أن نفرق أولا بين مضمون الإسلام الذي نسعى إلى إقناع الناس به، ومن ثمَّ إلـــى تطبـــيقه، والذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، من جميع المبادئ والأحكام التي من شأنها أن تهذب حياة الإنسان في حق نفسه، وأن تهذبها في نطاق التعاون مع أخـــيه الإنـــسان، وأن ترعى حقوق الأسرة ونظامها، وأن تبني هيكل المجتمع الإسلامي، وتقيم نظـــام الحكـــم فـــيه، وتنـــسيق العلاقات الإنسانية الصحيحة بين القادة والرعية، وتقيم فيما بين الطرفين نظام الشورى متكاملا، مع ضوابط النصوص الآمرة والناهية.

1- الملاحق، مرجع سابق، ص: (٣٧٧ – ٣٧٨).

2- المكتوبات، مرجع سابق، ص: ٣٥٣.

لابــد أن نفــرق بــين ما أسلفناه، وبين الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الدعاة إلى الله، والمعرّفون بدين الإسلام، والداعون إلى طريق التوحيد، للوصول بالمجتمع إلى رحاب الإسلام، والاصــطباغ بأوامــر الله وأحكامــه. هــذا الطريق الموصل إلى انتشار الإسلام وبسط حكمه وشــرائعه، يجب أن يكون صافيا من شوائب التيارات والمنعرجات السياسية[1]، لأسباب عديدة ذكرها الإمام النورسي؛ منها:

أولا: يقــرر الإمام النورسي، وهو الذي خاض كلا من تجربتي الانخراط في العمل السياسي، والابــتعاد عــنها، أن الــسعي إلى خدمة الإسلام داخل التيارات السياسية، من شأنه أن يضطر صــاحب هــذا السعي إلى التعاون مع بعض تلك التيارات والركون إليها، بل الاندماج فيها في كثير من الأحيان، وذلك كي يتمكن من التصدي لتيارات أخرى، لا تتفق مع الرسالة التي ينادي بها، بل ربما لا تتفق مع النمط السياسي الذي يلعبه ويمارسه؛ ذلك لأن من المستحيل أن يندمج في العمل السياسي ثم يبقى في الوقت ذاته بعيدا عن تلك التيارات المتصارعة.

وهــيهات أن ينسجم الإخلاص لوجه الله وحده في العمل، مع الركون بشكل من أشكال الــتحالف، إلى أي من الجماعات السياسية المحترفة؛ ذلك لأن هذا الركون يستدعي سكوتا عن كثيــر مــن الانحرافات والمحرمات التي قد تصدر عنها، كما يستلزم قدرا كبيرا من المجاملة والمهادنة لها على حساب المصلحة الإسلامية، التي يزعم أنه حارس أمين عليها، وداع مخلص إلــيها، هذا فضلا عن أن مصانعة هذه الأحزاب تؤدي إلى مصادقة حقيقية لأفرادها واستئناس بهــم. ولا بد أن تتراكم من ذلك آثار مظلمة على القلب تبعث فيه القسوة، وتنسيه ما هو بأمس الحاجــة إليه، من غذاء التبتل وزاد الطاعات والقربات إلى الله عز وجل، ولنصغ إلى ما يقوله الإمــام النورســي فــي بيان هذا السبب: "إن أهم سبب لهذا الاجتناب وعدم الاهتمام بالتيارات الجاريــة، هو الإخلاص الذي هو أساس مسلكنا؛ فالإخلاص هو الذي يمنعنا عن ذلك؛ لأن في زمن الغفلة هذا، ولاسيما بالنسبة إلى من يحمل أفكارا موالية لجهة معينة، فإنه يحاول أن يجعل كــل شــيء أداة طــيعة لمــسلكه، بل يجعل حتى دينه وأعماله الأخروية وسائل لذلك المسلك الدنــيوي، بينما الحقائق الإيمانية والخدمة النورية المقدسة تأبى أن تكون وسيلة لأي شيء في الكون، ولا يمكن أن تكون لها غاية إلا رضا الله سبحانه.

1- للمزيد: محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، بيروت: دار الفكر المعاصر، ط٦: (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ص: (١٥٨ – ١٧٥).

وفي الحقيقة إنه من الصعب الحفاظ على سير الإخلاص في خضم الصراعات المتنافرة للتيارات الحالية، ومن العسير الحيلولة دون جعل الدين وسيلة لمكاسب دنيوية؛ لذا فإن أفضل علاج لهذا، هو الاعتماد على العناية الإلهية، وتفويض الأمر إلى توفيق رب العالمين، بدلا من الاعتماد على قوة التيارات السياسية"[1].

ثم إنه – رحمه الله – يجسد هذه الحقيقة التي أبرزها هنا، بتحليل نظري في تجربة واقعية، حيث يقول: "إن أعظم قوة لرسائل النور تجاه معارضيها الكثيرين، هي الإخلاص؛ فالرسائل مثلما لا تكون أداة لأي شيء في الدنيا، لا تهتم أيضا بالتيارات التي تنبني على مشاعر الانحياز والموالاة، ولاسيما التيارات السياسية؛ وذلك لأن عرق الانحياز يفسد الإخلاص، ويغير لون الحقيقة. حتى إن السبب في تركي السياسة منذ ثلاثين سنة، هو أن عالما صالحا قد أثنى بحرارة على منافق يحمل فكرا ينسجم مع فكره السياسي، وفي الوقت نفسه انتقد عالما صالحا يحمل أفكارا تخالف أفكاره انتقادا شديدا حتى وصمه بالفسق"[2].

ثانيا: من المعروف أن الأسلوب السياسي يقوم على التغاضي عن كثير من الأخطاء والانحرافات التي كثيرا ما تتمثل في ظلم الآخرين، أو في إفساد نظام الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية، ابتغاء الوصول إلى هدف معين؛ ولا يشترط لشرعية هذا التغاضي في ميزان النهج السياسي، إلا قناعة أصحاب هذا النهج بهدفهم الذي يسعون إليه، وكثيرا ما يكون هذا الهدف معتمدا في شرعيته على مجرد رؤية سياسية، وقد تكون مرحلية، يتبناها حزب ذو فكر سياسي معين.

فإذا اندمج الداعية إلى الله في خضم التيارات السياسية، فلابد من أن يستسلم لسلطان هذا التغاضي؛ فيغمض العين عن سلسلة إفسادات تتم، بل يبرمج لها، وعن كثير من المظالم تنحط على أبرياء آمنين، وذلك انسجاما مع ما تقتضيه ضرورات المخالفة السياسية، لمن قرر الداعي التعاون معهم على هذا النهج، غير أن بدهيات المبادئ الإسلامية الكبرى تتناقض مع هذا النهج تناقضا حادا؛ إذ هو يتناقض بشكل صارخ مع مبدأ: "**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**" [الأنعام: ١٦٤]. وإذا كان النهج السياسي في معالجة الأمور يأخذ سلطانه دائما من الأهواء البشرية، فإن المنهج الإسلامي المستخلص من كتاب الله وسنة رسوله، يأخذ سلطانه من رحمة الله ولطفه بعباده جميعا، ومن ثمَّ فهو يفضل حماية الأبرياء من الناس، والإبقاء على غراس الإصلاح في

1- الملاحق، مرجع سابق، ص: (٢٤٧ – ٢٤٤).
2- المرجع السابق، ص (٣١٧ – ٣١٨).

المجـــتمع؛ لأن تـــرويع الأبـــرياء، واقـــتلاع غـــرس الصلاح، أوغل وأسرع في نشر الفساد والموبقات والفتن في المجتمع، من التجاوز عن جزئيات المفاسد والانحرافات، ولقد عبّر الإمام النورســـي عن هذا بأدق بيان وأوضحه، عندما أجاب الذين سألوه عن سبب ابتعاده عن استخدام الـــنهج الـــسياسي في الدعوة إلى الله، قائلا: "إن القانون الأساسي للسياسة البشرية هو: يُضحَّى بالأفـــراد من أجل سلامة الأمة، وتفدى الأشخاص حفاظا على الجماعة؛ فجميع الجرائم البشرية التي ارتكبت إلى الآن، إنما ارتكبت بسوء استعمال هذا القانون.. إن الحربين العالميتين قد نشبتا من سوء استعماله، فأبادتا ما توصلت إليه البشرية من رقي منذ ألف سنة، كما سمح الإعراض عـــن هـــذا القانـــون، أو سوء استعماله، بأخذ تسعين بريئا بجريرة عشرة من الجناة، كما سمح بتدمير قصبة كاملة ابتغاء ملاحقة مجرم واحد، لأغراض شخصية مستترة تحت اسم المصلحة العامة.. ولقد وجدت القانون الأساسي للقرآن العظيم النازل من العرش الأعظم، يحذر من هذا الظلم الشنيع قائلا: "**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**" [الأنعام: ١٦٤]، وقائلا: "**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** " [المائدة: ٣٢]. فـــإن هاتـــين الآيتين تعلمان القاعدة الجليلة الآتية: لا يؤخذ أحد بجريمة شخص آخر، ثم إن البريء لا يضحى به حتى من أجل جميع الناس، دون رضاه، ولكن لو ضحى هو بنفسه بإرادته ورضاه فتلك هي مرتبة الشهادة.. فهذه القاعدة الجليلة هي التي أقصتني عن مزج عدالة القرآن بظلم السياسة"[1].

ويـــؤكد على هذا لطلابه، توكيدا قويا قائلا لهم: "إن الداخلين الآن في ساحة السياسة لا يـــستطيع أحـــد مـــنهم أن يحافظ على استقلاليته وإخلاصه؛ لأن تيارا من تياراتها سيجره إليه، ويجعلـــه يعمـــل لحـــسابه، ويستغله في مقاصده الدنيوية، مما يؤدي إلى الإخلال بقدسية عمله وخدمته.. ثم إن أشد أنواع الظلم، مع أشد أنواع الاستبداد قد اصبحا دستورا وقانونا من قوانين الصراع والنزاع المادي في هذا العصر، وهذا يعني أن كثيرا من الأبرياء يذهبون ضحية خطأ فـــرد واحـــد، أو يقع هذا الفرد مغلوبا على أمره؛ عندئذ يتوهم من هجر دينه من أجل دنياه، أو جعل دينه وسيلة لدنياه، أن حقائق القرآن المقدسة، قد تم استغلالها في ساحة الدعاية السياسية.. علـــى أن أفـــراد الأمة بجميع طبقاتها، المعارضين منهم والمؤيدين لهم حصة في تلك الحقائق

1- المرجع السابق، ص: (٣٧٦ – ٣٧٧).

القــرآنية، وهــم بحاجــة إليها.. لذا كان على طلبة النور أن يبقوا محايدين تماما، وكان من الضروري لهم عدم الخوض في السياسة وفي الصراع المادي، وعدم الاشتراك فيه[1]

ثالــثا: إن الــشأن فــي منبر الدعوة إلى الله، أن يطلَّ على الناس كلهم بشتى فئاتهم ومشاربهم ومستوياتهم، من مستوى واحد، وأن تتجه إشعاعات الدعوة إليهم جميعا بموضوعية تامة، ودون أي تحيز أو مصانعة لفئات دون أخرى منهم.

وإن الغيــرة علــى الناس، والشفقة عليهم والحب لهم، هو شأن الرسل والأنبياء وسائر الــربانيين مــن الــدعاة مــن بعدهم؛ فهل يتسنى لمن اقتحم تيارات العمل السياسي، وانجذب بالضرورة إلى بعض المحاور المتصارعة فيها، أن يعطي الناس كلهم من نفسه شعورا متكافئا من الإخلاص والحب لهم جميعا ؟؟

ولمــا كانــت الإجابة عن هذا السؤال واضحة، فإن الدعوة النورية أكدت على أن مهمة الدعوة إلى الله مهمة إنسانية، تتسامى فوق صعيد المنافسات والصراعات السياسية، حيث تسري هذه الدعوة خلال أشعة الإخلاص للناس، لتتغلغل في سائر الأوساط، ولتسري إلى جميع الأفئدة والعقول.

ومــن هذا المستوى الباسق والصافي عن سائر التهم والشوائب استطاع الإمام النورسي أن يــوجه نصائحه، بل أن يدلي بتعليماته إلى سائر رجال الأمة وفصائلها، دون أي تحيز منه إلى أي فئة منهم.

ولقــد جسد طلاب النور، هذه الحقيقة بوضوح مرارا وتكرارا، قائلين: "نحن لسنا أرباب السياسة أبدا، ولا نعير أي اهتمام بالمظاهر الفانية؛ لأننا لا ننظر إلى الدنيا إلا من وجهها الخيّر المــؤدي إلــى رضــا الله.. أجــل، نحن نحمل صفة معارضة، ولكنها معارضة ضد السقوط الأخلاقــي وضد الإلحاد، وهذه المعارضة ناشئة عن اشتراكنا مع القرآن الكريم في شدة توبيخه وصرامة بيانه في هذه المواضيع"[2].

1- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٤٢٤.
2- انظر: دفاع أحمد فيضي، الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٦١٢.

الفصل الثالث: أهم غايات الدعوة النورية وأهدافها

إن وضـــوح الغايـــات والأهداف من الدعوة إلى الله، في أذهان الدعاة، له دور كبير في نجـــاح الدعـــوة في مهماتها أو فشلها؛ من حيث تجسيد هذه الأهداف لمرامي الحقائق الإيمانية، واستمدادها من واقع الإيمان، ونظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان.

ولقـــد اهتم الإمام النورسي بتحديد الغايات، وتوضيح الأهداف والمقاصد الدعوية، وبناء على هذا القول نتناول أهم الغايات والأهداف التي تسعى الدعوة النورية لتحقيقها، ومنها[1]:

المطلب الأول: إنـقاذ الإيمان:

إن الغاية الرئيسية التي سعى الإمام النورسي لتحقيقها، إنقاذ الإيمان وصد الإلحاد؛ فكان رغـــم الـــصعاب المتمـــثلة في المراقبة والملاحقة التي تغادره، يتحين فرص تبليغ هذا الهدف العظـــيم؛ فكـــان يـــتجاذب الحديث مع من وفقوا إلى لقائه، ويخاطبهم حسب مستواهم الفكري والثقافي؛ فلقد كان الزائرون من طبقات الشعب كافة، فينصب حديثه مجملا حول أهمية الإيمان فـــي الوقت الحاضر، وكان يصرح بملء فيه بأن الهدف الأساسي لرسائل النور، تقوية الإيمان ضـــد الإلحاد الذي يهدد الأمة والوطن، "وحين سأله الحاكم في إحدى المحاكم: ما هي مهنتك ؟ أجابه الأستاذ: مهنتي إنقاذ الإيمان، إن إيمان إخوتي في الدين يشتعل ويلتهب"[2].

فهو يعتبر أهم قضية في الوقت الحاضر إنقاذ الإيمان وتقويته، ورسائل النور تؤكد على هذه الغاية؛ لأن حماية الإيمان وإنقاذه، حماية للأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

وإن إنقـــاذ الإيمـــان الذي عمل الإمام النورسي على تحقيقه، هو مرجع العمل الإيجابي البـــناء؛ "فالإيمان الفاعل أقوى من صولجان السياسة، وبرنامج مكثف يسع الحياة كلها؛ وإذ لو كانـــت لنا مائة من الأيدي لما كفت في حمل النور المنبعث من الإيمان، ذلك الإيمان الذي كان وســـيبقى أساس مسلكنا الحاث على الإخلاص وابتغاء مرضاة الله وحده، وهذا هو مصدر قوة النور: فالعناية الإلهية تحمي خدمتنا ما دمنا مخلصين نعمل عملا إيجابيا"[3].

وبالفعـــل؛ فـــإن هذا الإيمان التحقيقي الإيجابي الفاعل، الذي يتحرك به دعاة مخلصون متحابون متساندون، يبتغون رضوان الله والدار الآخرة، ينتج أهدافا تبعية من أهمها ما يلي:

1- تم الاستفادة في هذا الفصل مما ورد في: عمار جيدل، حقيقة مقاصد رسائل النور، القاهرة: دار النيل، ط٢: (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ص: (٢٠١ – ٢١٩).

2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ٣، ص: ٣٩٧.

3- سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٣٦٤.

أولا: إقامـــة الخيـــر وصد الشر: فالإيمان "مصدر قيام الخير، وحائط صد الشر من ولوج القلـــوب والعقـــول؛ فهو الدافع إلى الشكر والعبادة اللتين تعتبران مدار المقاصد الإلهية في بناء قـــصر الكون، ولاسيما الإنسان الذي هو أفضلهم إزاء النعم التي نالوها. إن مدار الاستفادة من الكون وعناصره المادية والمعنوية، الإيمان"[1].

ثانـــيا: إعطاء الحياة معنى: فإن "إنقاذ الإيمان يعطي معنى إيجابيا لكل يوم من أيام العمر التي تمـــضي في السجن الكبير (الدنيا)، أو في السجن الصغير (المعروف)، فيمكن أن يكسب المرء ثـــواب عـــبادة عشرة أيام من عبادة يوم واحد، وأن يحول ساعاته الفانية من حيث النتيجة إلى ســـاعات باقية خالدة، فيكون قضاء بعض سنين في السجن، وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين"[2].

ثالثا: تقوية الإرادة وتثبيت القلوب: "ترمي رسائل النور إلى تثبيت القلوب، وتنشيط عزائم الأتقـــياء والـــصالحين، وتشد على أيديهم، فتزودهم بالقيم والأصول الميسرة لتحقيق ذلك الأمر بيـــسر ووضوح، بل تتجاوز ذلك إلى خدمة كل من يدخلها محررا من أفكار مسبقة، وهو سر فشل أعداء رسائل النور المتسترين، أن يتحملوا تلك الفتوحات النورية"[3].

رابعا: التأصيل العميق للشفقة والرحمة: فإن الإمام النورسي ليؤكد على أن "منهج رسائل الـــنور الذي يعبر عن الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير، ليمنعنا من الوقوع تحت طائلة الاســـتجابة للاســـتفزاز الاجتماعي أو المعرفي، من خلال قصر الاهتمام بالأمور الجزئية على حـــساب الأمـــور الكلية والأساسية؛ نحو اختصار الهم في المزاولة السياسية نقدا وتمحيصا بل وتأسيسا.

ويعطـــي نموذجا عمليا تأكيديا فيبين: "إن وراء أولئك المبتلين بالإلحاد – واستحقوا بذلك العقـــاب – عـــددا مـــن الأطفـــال والمرضى والشيوخ الأبرياء، فإذا نزل بأحد أولئك المبتلين المـــستحقين للعقـــاب كارثة أو مصيبة، فإن أولئك الأبرياء سيحترقون بنارهم دون ذنب جنوه، وكـــذا لأن حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد منعنا بشدة من الاهتمام بالمسائل الجزئية، على حساب معركة المصير، المعبر عنها بقضية حماية المكاسب الإيمانية، والتأسيس لبقائها في المجتمع دون الدخول في معركة قد تعرض البلاد والعباد إلى مالا تحمد عقباه"[4].

1- المكتوبات، مرجع سابق، ص: ٣٠٨.
2- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٥١٩.
3- سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٣٨٣.
4- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٤٠٦ بتصرف يسير.

ومن هنا نجد أن الدعوة النورية تلح على التحليل الذي بموجبه تقدر الأولويات، وأولوية الأولويات حماية الإيمان بتثبيته، وإثباته إن اقتضى الحال.

خامسا: سلوك الطريق الأقصر للإيجابية البناءة: فالإمام النورسي يذهب إلى أن رسائل النور، من اقصر وأهم الطرق لتحقيق إنقاذ الإيمان، وأنها المعجزة المعنوية للقرآن الكريم في هذا العصر؛ فقد كشفت التجارب والأخبار أن لها تأثيرا عظيما في البلدان العربية والباكستان، حتى أن الإمام النورسي عبر عن ارتياحه لذلك، بقوله: "اضطرت روحي إلى بيان ومشاهدة هذه النتيجة العظيمة، وأنا على عتبة القبر"[1].

سادسا: تحقيق الاتحاد والمحبة وإعلاء كلمة الله: فالمؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف، وفاعلية ذلك المسعى تجعل أولئك الخدام مراكز تبليغ تلك الأفكار، وأنموذج العيش بتلك الأفكار من جهة أخرى؛ فعلى الأمة والجمعيات الانتساب إلى زمرة الخدمة، أولئك الذين يمثلون خط الإيمان بأحوالهم قبل مقالهم، أولئك يتلخص مشروعهم في إشاعة المحبة والأخوة بين أفراد الأمة، فيسعفون الأمة بتكوين الاتحاد المحمدي، الذي هو شامل لجميع المؤمنين؛ فهو ليس جمعية ولا حزبا، إذ مركزه وصفه الأول، المجاهدون والشهداء والعلماء الراشدون"[2].

سابعا: المصالحة بين المدرسة الدينية والمدرسة الحديثة: فالإمام النورسي يرى أن المسلك المؤسس على الإيمان كغاية عليا في تطعيم الأمة ضد أمراض الإلحاد، هذا المسلك مدرسة تصالح بين أهل المدرستين الدينية والحديثة، وأهل الزوايا والتكايا، وتجعلهم يتحدون في خدمة ذلك المقصد؛ ذلك أن الإيمان يحدث بينهم الميل عن التنازع، ثم الميل إلى تبادل الأفكار[3].

ثامنا: نيل مرضاة الله: والبرهان العملي على السعي لتحقيق هذا الهدف، ما جاء في مرافعة أحد طلاب النور أمام محكمة (آفيون)، التي قال فيها: "أنتم تجدون رسائل النور أمامكم، وهي منبثقة من الإعجاز المعنوي للقرآن المبين، الذي هو نور إلهي؛ فما دام اكتساب الإيمان، والانتقال بهذا الإيمان في الدنيا إلى سعادة الدار الآخرة، أهم غاية للإنسان، وما دامت رسائل النور تقدم بفيض من القرآن الحقائق الإيمانية، وتقرب مئات الآلاف من قرائها إلى هذا الهدف، فلا مناص أمام عدالتكم السامية وحبكم للحقيقة، إلا فهم الوجه القرآني، الوجه الحقيقي لرسائل

1- الملاحق، مرجع سابق، ص: ٤١٥.
2- انظر: سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ١٠٧.
3- انظر: المرجع السابق، ص: ٥٠٦.

الـــنور، وتقديـــر قيمتها الحقيقية، ومعرفة أن طلاب النور لا يسعون إلا لنيل رضا الله تعالى، وأنه لا هدف لهم سواه"[1].

تاســـعا: التأســـيس للشكر والعبادة: فالإيمان يهدف إلى التأسيس النظري للشكر، مع لفت النظر إلى النماذج التطبيقية المتجلية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام البـــررة، وقد دلت تلك التطبيقات على أن أصفى خلاصة مترشحة من الإيمان بجميع مضامينه وأبعاده الوظيفية، الشكر والعبادة، والحمد والمحبة[2].

عاشرا: تأسيس التواصل الإسلامي والإنساني: فإن الإيمان يؤسس للتواصل بين المؤمنين من جهة، والأسرة الإنسانية من جهة أخرى؛ ذلك أن "الإيمان رابطة قوية في التأسيس المعنوي لأسمى جمعية وأقدسها في الوقت الماضي والحاضر والمستقبل، تلك الجمعية التي تمثل الخدمة الإيمانـــية؛ فجمـــيع الـــذين انخرطوا في سلك الخدمة المؤمنة المضحية، ابتداء من أبسط تلميذ ومنتسب إلى الأستاذ، داخلون في هذه الجمعية؛ فمثلا: إن الأكراد موجودون ويقيمون في إيران وســـوريا وتركيا والعراق، وإذا ما أخذوا بالهوية الإسلامية وتقبلوها، فسيكونون وسيلة للاتحاد الإسلامي، وبذلك يصبحون سببا لتحقيق الوحدة الإسلامية، وليس عنصرا للتجزئة والتفرقة"[3].

حادي عشر: إنقاذ الإنسان، والاستجابة لحاجاته: فالإيمان يهدف إلى إنقاذ الإنسان؛ "إذ لا يمكـــن تصور عدم استجابة العدالة الربانية والحكمة الإلهية لتلك الحاجة العظمى، حاجة البقاء لأســـمى مخلـــوق، وهـــو الإنسان، في حين تستجيبان لأدنى حاجة لأضعف مخلوق، فهل من الممكـــن أن تردا أهم ما يرجوه الإنسان، وأعظم ما يتمناه، وألا تصونا حشمة الربوبية، وتتخلفا عن الإجابة لحقوق العباد ؟!"[4].

ثانـــي عـــشر: القيام بوظيفة الخدمة: فإنقاذ الإيمان يسَّر تحرير مجال الفعل الإنساني بدقة متناهـــية؛ لهذا كان أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي، هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية – أي بما هو موكول إلى الله – والاقتصار على وظيفة الخدمة، بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا[5].

1- الشعاعات، رجع سابق، ص: ٦٠٦.
2- انظر: المرجع السابق، ص: ٥٥٩.
3الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٤، ص: ٢٧٥.
4- الكلمات، مرجع سابق، ص: ٦٩.
5- انظر: سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٤٧٠.

ثالـــث عشر: الحماية من الهلاك: فالـــتعلق بالدين والإيمان به، يحمينا من الهلاك الدنيوي والأخـــروي، ومـــن هنا كانت نصيحة الإمام النورسي لكل إنسان وبخاصة المسلم، قائلا: "أيها المـــسلم؛ لا ترخ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا وكياننا، تجاه الدمار الذي تولده هذه النتيجة المخيفة لتقدم أوربا، بل عض عليه بالنواجذ، واستعصم به بقوة، وإلا فمصيرك الهلاك"[1].

المطلب الثاني: بعث الصلة بين الإيمان والأخلاق

لقد شاع في واقع المسلمين الانفصال بين الأخلاق والإيمان، حتى صارت الصلة بينهما مفقـــودة، وإن مـــن غايـــات الدعوة النورية وأهدافها الكبرى، تجاوز ذلك الانفصال بالتأسيس للتواصل بين الإيمان والأخلاق؛ لذا، فقد جعلت الدعوة النورية الهدف الوحيد والخدمة الوحيدة، هـــي إيفـــاء خدمـــة مقدسة للإسلام والأمة الإسلامية من ناحية الإيمان والأخلاق؛ "فإن جميع المـــوازنات والمقايسات المعقودة في رسائل النور، بين طريق الإيمان والكفر، تبين بيانا قاطعا أن طـــريق الإيمـــان والتوحيد أقصر الطرق وأصوبها وأيسرها، وأكثرها استقامة، بينما طريق الكفـــر والإنكـــار طـــويلة جدا، ذات مشكلات ومخاطر. فلا شك أن هذا الكون الذي يساق في طـــريق ذات استقامة وحكمة، لا يمكن أن تكون فيه حقيقة الشرك والكفر. بينما حقائق الإيمان والتوحـــيد واجـــبة وضرورية في هذا الكون، ضرورة الشمس فيه. وكذا فإن أيسر الطرق في الأخلاق الإنسانية وأنفعها وأقصرها وأسلمها، هي في الصراط المستقيم، وفي الاستقامة"[2]. كما أن "الظهور على المدنيين من منظور الدين، إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه، وبإظهار الإسلام محبوبا وساميا لديهم، وذلك بالامتثال الجميل لأوامره، وإظهار الأخلاق الفاضلة"[3].

المطلب الثالث:تحقيق قوة رابطة الأخوة والمحبة:

إن ما يسببه التحيز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صـــدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلا؛ ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الـــذي يمثل روح الإنسانية الكبرى، فضلا عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر الشخصية، والاجتماعية، والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة.

وإن الإيمـــان بعقـــيدة واحدة، يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحـــدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع؛ فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك

1- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٦٧.
2- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٦٤٩.
3- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٥٣٥.

فـــي طابـــور واحد، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد، بل تشعر بعلاقة أخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة، فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور مـــا يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة، ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى[1].

وتسعى الدعوة النورية إلى تحصيل المحبة والأخوة والتضحية ثم تمثلها، وبهذا يتيسر لها فرصـــة التبلـــيغ العملـــي، والدعـــوة بالقدوة؛ فهي تعمل على تحقيق "التأسيس العملي لجمعية المؤمنين، وتشمل في عضويتها جميع الذين انخرطوا في سلك الخدمة، ابتداء من أبسط منتسب إلى أكبر أستاذ، إنه مسلك مؤسس للاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة[2].

وعلـــى أهمية تحقيق هذه الغاية، أكد الإمام النورسي قائلا: "إن جوهر الحياة الإنسانية، ولاســـيما للأمة الإسلامية، وأساسها هو وجود محبة خالصة بين الأقرباء، ووجود رابطة وثيقة بـــين القـــبائل والطوائـــف، ووجود أخوة معنوية وتعاونية نحو إخوته المؤمنين ضمن القومية الإسلامية، ووجود علاقة فداء نحو قومه وجنسه، ووجود التزام قوي ورابطة قوية لا تهتز مع الحقائـــق القـــرآنية التـــي تنقذ حياته الأبدية.. لذا فإن طلاب النور الحقيقيين يظهرون علاقاتهم المقدسة مع الحقائق القرآنية، ويظهرون ارتباطهم الذي لا ينفصم مع إخوانهم في الحياة الآخرة"[3].

المطلب الرابع: تحصيل الأمن والنظام والحرية:

دفعـــت طبيعة الواقع المتأزم الذي يمر به عالمنا الإسلامي، الإمام النورسي إلى التأكيد على أنه ليس من غايات رسائل النور، ولا من أهداف دعوتها، الاشتغال بالسياسة؛ لأن المعركة تتمـــثل في جهاد معنوي سلمي لإنقاذ الإيمان وحقائقه في نفوس الناس، وتحطيم الكفر المطلق الـــذي يعد أساس الفوضى والاستبداد من جهة، والتأسيس للأمن والنظام والحرية والعدالة من جهة أخرى.

ولقـــد أعلنت الدعوة النورية للمتربصين هذه الحقائق؛ فقالت: "أيها البائسون؛ إن رسائل الـــنور لا علاقـــة لهـــا بالسياسة، بل تقوم بتحطيم الكفر المطلق الذي أسفله الفوضى، وأعلاه

1- المكتوبات، مرجع سابق، ص: ٣٣٩.
2- سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص:١٠٧.
3- الشعاعات، مرجع سابق، ص:٤٦٥.

الاستبداد المطلق، وتفتيته ورده على أعقابه. وتسعى إلى تأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة في هذا البلد[1].

ولقد كانت تصرفات الإمام النورسي تصب في هذا المضمار؛ إذ تأسيسا لمعاني طلب الأمن والحرية والنظام والعدالة، نجده ينأى بنفسه عن أن يكون هدفا للاتهام بالتعلق بالدنيا ومفاتنها، لهذا نجده من منطق الحكمة في الدعوة إلى الله، يتهرب تهربا شديدا وينفر من التعرض للسياسة والحكم، رغم امتلاكه من قوة الحق ما يسمح له بالدفاع عن حقه بجدارة وكفاءة، موضحا أنه ما دام كل شيء زائلا وفانيا، وما دام الأذى ينقلب إلى رحمة، فإنه يفضل الصبر والتوكل على الله وشكره، لأن محاولة الإخلال بصمته وطلاب النور، وإبعادهم بالإكراه عن هدفهم، عن طريق إيقاع الأذى، فلن يستجيبوا لذلك[2].

المطلب الخامس: دفع العلل الاجتماعية المدمرة:

لقد اجتهد الإمام النورسي بكل ما وسعه الجهد، في بيان خطورة العلل الاجتماعية، وآثارها المدمرة، التي تفتك بالمجتمع وتعمد إلى إهلاكه، من هذه العلل على سبيل المثال:

١ - **الحرص وعدم القناعة**: فالحرص يعد من رؤوس البلايا الأخلاقية والاجتماعية، ذلك أنه كان وسيبقى سببا في تضييع كنز العيش الهنيء الرغيد، وتبديد مبعث الراحة في الحياة المنبعث من القناعة، ومن هنا كان الحرص علة الخيبة، ومعدن الخسران والسفالة؛ لأنه يولد ثلاث نتائج:

أولاها: عدم القناعة، الذي يثني الشوق عن السعي وعن العمل، بما يبث في نفس الحريص من الشكوى بدلا من الشكر، قاذفا به إلى أحضان الكسل، فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال، ويبادر بالبحث عما لا مشقة، ولا تكليف فيه، من مال غير مشروع، فيهدر في هذا السبيل عزته وكرامته.

ثانيها: الخيبة والخسران؛ إذ يفوت مقصود الحريص، ويتعرض للاستئثال، ويحرم من التيسير والمعاونة، حتى يكون مصداق القول المشهور "الحريص خائب خاسر".

ثالثهما: إن الحرص يتلف الإخلاص، ويفسد العمل الأخروي، ويفتح دونه بابا للرياء والتصنع، فيكسر عزته، ويريه طريق الاستجداء والاستخزاء[3].

1- المرجع السابق، ص: ٣٣٤.
2- راجع: المرجع السابق، ص: ٣٤٧.
3- انظر: اللمعات، مرجع سابق: ص: (٢٢٠ – ٢٢٢).

٢ - **الحسد والتحاسد**: وكذلك يدفع الإيمان الحسد والمنافسة غير الشريفة، ذلك أن مقتضيات الإيمان أن يتحرر المؤمن من تلك الأمراض؛ إذ ليس في أمور ديننا مثل هذه الأمراض. ويرجع منشأ تلك الأسقام إلى تجاوز أو غفلة عن الأبعاد الوظيفية للإيمان، وما يترتب بالبعد عنها من تهالك على الشهوات، وما ينجر عنها من مناقشات وتسابق، ثم تزاحم ينتهي بأصحابه إلى الحسد. ولما كانت الدنيا ضيقة ومؤقتة، ولا تشبع رغبات الإنسان ومطالبه الكثيرة، وحيث إن المتهالكين على شيء واحد كثيرون، فالنتيجة إذن السقوط في هاوية الحسد والمنافسة. ويبعد خطر تلك الأسقام بالتعلق بالإيمان ومقتضياته، وخاصة التفكير العملي في الآخرة، وما أعدّ الله فيها للمؤمنين[1].

المطلب السادس: الاتحاد بين أهل الإيمان:

إن من غايات الدعوة النورية وأهدافها العليا، العمل على توحيد كلمة المؤمنين، وجمع شملهم لخدمة هدف واحد مؤداه خدمة الإيمان نفسه، وطريقة التأسيس العملي للوحدة الشعورية بين المؤمنين أنفسهم؛ فلا يصح أن يبقى المؤمنون مشتتين في أهدافهم وجهودهم، ولهذا المسعى اثر عظيم في استئصال مرض خطير، معبّر عنه بقولهم: "ما لي وما عليّ، فليفكر غيري".

وعلى هذا، فإن هدف الدعوة النورية، كما يقول الإمام النورسي: "إن قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في الهدف؛ إذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز أيضا التقليد.. ثم يبين هدفه من هذا الاتحاد، وشروطه، فيضيف: إننا نتحدث بدافع محبة الدين وخدمته وذلك على وفق شرطين اثنين:

الشرط الأول: المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية.

الشرط الثاني: انتهاج نهج المحبة، وعدم محاولة إظهار المزايا بانتقاص الآخرين"[2].

المطلب السابع: تحقيق صحوة إسلامية راشدة:

تسعى الدعوة النورية جاهدة إلى إيجاد صحوة راشدة، تتجاوز الخلل في التصورات، وتتجنب الانحراف في الفعل، وتستوعب الواقع بجميع مكوناته المادية والمعنوية، مستمدة من القرآن الدواء؛ "فإن الذي كان يصبوا إليه بديع الزمان منذ نعومة أظفاره، والأمل الذي كان يحدوه وهو في طريقه إلى أنقرة، هو حصول صحوة إسلامية تعم العالم الإسلامي، هذه الروح العظيمة توضحت في مباحثاته مع مئات العلماء في شرقي الأناضول قبل مجيئه إلى إستانبول،

1- المرجع السابق، ص: ٢٣٧.
2- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٥٣٦.

بـــل توضـــح أكثر عند قدومه إليها حتى حيّر السياسيين. ولم تغادره هذه المسؤولية الجسيمة، والمهمـــة الثقيلة، والشوق الدائم قط؛ فكان يأمل أن يكون الإعلان عن الحرية والمشروطية في خدمة الشريعة الغراء، ويكون ذلك تباشير سعادة الأناضول، والعالم الإسلامي قاطبة"[1].

ويـــرى الإمـــام النورســـي أن ما يخدم ذلك الهدف هو التأسيس للحرية، ووضع قوانين أساســـية تـــصونها مـــن عبث العابثين والوصوليين والانتهازيين، وتكون تلك القوانين مصونة بالشريعة الغراء، فالعمل على تكوين وعي بضرورة الحرية، لا يختلف من حيث القيمة والتأثير عن العمل على تحقيق الصحوة نفسها، إذ الخلوص إلى الصحوة يمر ضرورة بالحرية[2].

1- سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ١٨٢.
2- انظر: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٦٩، (٣٩٢ – ٣٩٣)، (٣٩٧ – ٣٩٨)

الفصل الرابع: من قواعد الدعوة النورية وأصولها

إن الدعـــوة الـــنورية فـــي حركتها الدعوية إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالى، تستمد قـــواعدها وأصـــولها من الرسالة الإسلامية نفسها، ولا تخرج في ذلك على مصادرها المعتمدة التي أوضحنا أهمها في الفصل الأول، ومن تلك القواعد والأصول ما نتناوله من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الإيمان التحقيقي:

ذلـــك الإيمان الذي يسبغ على الدعوة النورية طابعا يقينيا عمليا، وبمقدار ما يرسخ هذا الطابـــع اليقينـــي الإيجابـــي في نفوس دعاة النور، تقوى إرادتهم العازمة، وتتضاعف طاقاتهم الفاعلة.

وإن طبيعة الدعوة النورية تكوِّن هذا الطابع المميز في نفوس دعاتها؛ لأنها ليست نتيجة اجـــتهاد معـــين يكون عرضة للخطأ، أو حصيلة تجارب محدودة قد لا تصور الواقع تصويرا كـــاملا، وإنما هي امتداد طبيعي لميراث النبوة الذي اكتمل بالرسالة الخاتمة التي اصطفاها الله سبحانه وتعالى للإنسانية، وبعث بها خاتم رسله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك فإن الإمام النورسي كان دائم التوجيه لطلابه في كثير من المواقف على ضرورة تحقـــق هذه القاعدة، فيقول: "لابد لنا أولا أن نحوّل إيماننا من التقليد إلى التحقيق، نسعى لتقويته وتمتينه"[1] لأن ذلك الإيمان التحقيقي يحول دون تخلي دعاة النور عن وظيفتهم التبليغية بإيجابية وأخلاقـــية عالية، يتحدث بها لسان الحال قبل لسان المقال: "وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء، ولـــيس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضا الإلهي، دون الـــتدخل بمـــا هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتجمل بالصبر، والتقلد بالشكر، تجاه كل ضـــيق ومـــشقة تواجهـــنا، وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"[2].

ويؤكد على واقعية هذه القاعدة وتحققها في طلاب النور، أحد الشهود الأواخر، قائلا: "إن الـــذين يقرؤون رسائل النور، ولاسيما من الشباب الواعي، يكتسبون إيمانا قويا، فيصبح متدينا تدينا لا يهتز، ولا يتوانى عن أية تضحية، ويكون محبا لوطنه. وعندما يوجد إيمان صلد في أي

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ٢، ص: ١٢٣.
2- المرجع السابق، مجلد ٣، ص: ١٠٦.

موضـــع كـــان، فـــلا يكون هناك مجال للسفاهة وللسقوط الأخلاقي، الذي يكون نتيجة طبيعية لبعض الأيدولوجيات الضارة"[1].

المطلب الثاني: الأمل الواثق والاستشراف المستقبلي:

فإن الأمل هو بصيص النور الذي لا تستغني عنه كل الدعوات، وإذا فقدت الدعوة أملها في الفوز وبلوغ الأهداف، فقدت وجودها ومعناها الحقيقي؛ لأن الدعوة إلى مالا أمل في تحقيقه، نـــوع من العبث واللهو، ومن هنا، فإن الدعوة النورية تفتح لدعاة النور أجواء من الأمل تقوي عـــزيمتهم وتزيد من رجائهم، بل هي تبعث الأمل فعلا مستشرفا آفاق المستقبل القادم؛ فها هو الإمـــام النورســـي يحدث زائريه حديث الآمل الواثق من بزوغ النور، وسط ظلمات الأحداث، فيقول: "إن خدمات طلبة رسائل النور لن تنتهي؛ ستأتي حتما إلى تركيا إدارة وحكم يخدم الدين المبين، وسينجح طلبة النور، ويوفقون في تحقيق هذا"[2].

ولم يتوقف عند هذا فحسب، بل بيّن للذين أفزعتهم بداية الأحداث المؤلمة، ما وراء هذه الحـــوادث، وأنها لن تدوم، وأن الحال سيتغير إلى أحسن الأحوال، فيقول: "لا تحزنوا؛ سترون أحـــداثا خطـــرة، وسيحاولون معكم كثيرا؛ فلا تهنوا ولا تحزنوا؛ فإن الحق سيتخذ مجراه. إنهم يـــريدون إلغاء الشريعة، ولكن الشريعة ترقى، ولن تنقطع أبدا؛ فالله صاحبها سيبعث من يدافع عنها ويحفظها، ويحيي الدين من جديد"[3].

كمـــا يبعث الأمل والطمأنينة في نفوس طلابه المسجونين معه، والذين عانوا معه الكثير مـــن الآلام، فـــيقول لهم في السجن: "إنني أبشركم بكل كياني وروحي، إن جميع ما يصيبنا من مـــصائب، وبفـــضل التساند والتكاتف، لا يعمل على زعزعة صفوف الإخوة، بل ستتحول في مجال خدماتنا الإيمانية إلى نعم كبيرة، وتحدث فتحا مبينا لحركة النور من وراء ستار"[4].

المطلب الثالث: الدافع الذاتي للإخلاص:

إذا كـــان للدافـــع الذاتـــي عند الإنسان العادي أثر بليغ في حياته واندفاعاته، فإن طبيعة الدعـــوة الـــنورية تقـــنع طلابها بأن الإخلاص لهذه الحقائق والمفاهيم الإيمانية، والدعوة إليها، والتـــضحية في سبيلها، مكسب شخصي للطالب نفسه، قبل أن يكون مكسبا مثاليا أو اجتماعيا، وأنـــه ربـــح لجـــزاء ونعيم لا حدود له، قبل أن يكون عاطفة مثالية، أو اندفاعا حماسيا، وبذلك

1- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٥٨٩.
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ٣، ص: ٢٨٠.
3- المرجع السابق، مجلد ١، ص: ٤٠.
4- المرجع السابق، مجلد ٤، ص: ٤١.

تستطيع الدعوة النورية أن تجنّد جميع الدوافع الإنسانية لصالح الدعوة إلى الله، والوقوف ضد طوفان الكفر المطلق والإلحاد الفوضوي؛ فلقد تشكلت الشخصية الجماعية للدعوة النورية، من خلال الإخلاص الذي هو نوع من التجديد، أو التأصيل للدين، وكما أن المجدد الذي يأتي على رأس كل قرن لخدمة الدين والإيمان على الوجه المطلوب، فإنه ينبغي أن يكون مجدد الدين في هذا العصر، الذي يعج بهجمات تشنها المنظمات السرية، وشخصيات الضلال الجماعية، يجب أن يكون شخصية جماعية أيضا، وإن هذه الشخصية الجماعية قد تكونت من رسائل النور، التي تشكلت من خلال الإخلاص والتضحية، إخلاص النورسي وطلابه، وتضحياتهم الكبيرة[1].

المطلب الرابع: ارتباط الدعوة بالعلم والعمل:

العلم والدعوة وجهان لحقيقة واحدة، أما العمل فهو شرط لا ينفك عنهما، ولا يمكن فصل هذه الثلاثة بعضها عن بعض؛ فإن عمل الإنسان بما علم تعبير عن توقيره لعلمه، إذ عدم القيام بالعبودية لمن عرف ربه هو عدم توقير له، بل بلاهة وعمى وصمم.

ولقد كان الإمام النورسي جامعا بين الثلاثة جمعا مؤثرا في نفوس من يتعامل معه؛ فأما علمه: فقد كان مجهزا بعلم متميز لحقائق الدين الذي يدعو إليه، مدركا أن غاية العلم إنتاج المعرفة الإلهية والمحبة الإلهية، محذرا من ذلك العلم الذي لا يضرم محبة الله في قلب الإنسان، ولا يلهب ذوقه الروحاني. ويكفينا في ذلك شهادة الشيخ "بخيت المطيعي"، الذي قال عقب حوار له مع الإمام النورسي، لمن حضر من العلماء: "لا يناظر هذا الشاب، ولا أتمكن أن أغلبه"[2].

ولما كان الإسلام نظاما إلهيا يربط العلم بالعمل ربطا محكما؛ ففي إحدى جانبيه الإيمان، والجانب الآخر تحويل هذا الإيمان إلى عمل وفعالية إيجابية يعيشها الداعي، فإن الدعوة النورية برائدها وطلابها جسدت ذلك عمليا، يشهد بذلك الكثيرون؛ فيقول أحدهم: "كان الأستاذ يثير إعجاب الناظر إليه، لأن لسان حاله يطابق لسان قوله؛ ذلك لأن مظهره وملبسه وحركاته لا تشبه الآخرين: إن حال الأستاذ وتلقينه، هو كره أعداء الدين، وحب أهل الإيمان بالله واليوم الآخر والقرآن وقدسيته، والوقوف بوجه أعداء الدين، وعدم الانخراط في صفوفهم. إن لسان حاله يعلن مكانة أهل الدين المشرفة والعالية، وينقشها عميقا في الأذهان.

لم يكن يأخذ هدايا من أحد، كان يعيش فقيرا حقا؛ ففي إحدى الغرف توجد سجادة مفروشة، وقطع من القماش يصلي عليها، وما عدا ذلك فراغ لا شيء فيه. كان يرفض استلام

1- للمزيد: الملاحق، مرجع سابق، ص: (٣٦١ – ٣٦٥).
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ١، ص: ١٤٤.

أي شيء يأتيه من أعيان البلد بأسلوب مهذب ولطيف؛ لأنه لا يرغب في إحداث أية قطيعة مع أحد. كان يعيش بصورة فعلية ما يكتبه في رسائل النور"[1].

المطلب الخامس: معرفة الواقع المعاصر:

فإن من لا يعرف مجريات عصره لا يختلف عمن يعيش تحت الأرض، وإذا حاول بوضعه هذا أن يبلغ شيئا عن الدين والإيمان إلى الآخرين، فسيكون فعله عبثا؛ لأن عجلات الزمن والحوادث ستفقده التأثير عاجلا وآجلا. وبناء على هذه الحقيقة فإن دعوة النور تحركت على أساس الوعي بظروف الواقع ومستوى المخاطبين، والإدراك بمدارك العصر، ويكفي دليلا على ذلك "أن رسائل النور سلاح ماضٍ في هذا العصر، تخاطب مفاهيم هذا الزمان، مظهرة طرزا من الحلول توافق متطلباتها، متأتية من الفيض والإلهام القرآني، الذي يتوجه مباشرة لتقديم مفاهيم القرآن الحكيم بأسلوب عصري يتلاءم مع المتطلبات الحديثة"[2].

المطلب السادس: انفتاح القلب نحو القرآن:

لما كانت الدعوة النورية قائمة على رسائل النور، التي هي دروس للقرآن الكريم بلغة العصر، فلابد أن ينظم الداعي إلى النور، قلبه وضميره وفق القرآن الكريم، ومتناغما معه؛ فيقوم بتطبيق الآيات الكونية الظاهرة في الآفاق والأنفس على الآيات المتلوة، ومن ثمَّ صياغة مركب منها، ويحرص كل الحرص أن يتصف بكامل كيانه، وبجميع أطواره وأحواله باللطف والنزاهة والشفقة والنظام وأمثالها من الصفات التي تجعل الداعية مؤمنا حقا، وبفضل نجاحه في ذلك يوفق في دعوته وإرشاده.

ولقد كان قلب الإمام النورسي منفتحا نحو القرآن، فانعكس ذلك على صفاته التي أضحت إسلامية خالصة، وعلى وسائله وأساليبه، فاستطاع أن يقدم في هذا المجال نماذج رائدة للداعي القرآني.

فها هو أثناء إقامته في إستانبول، يأتي المستشرق الشهير "ألفريد جليوم" إلى جامعة إستانبول؛ ليلقي خمس محاضرات، وقد أثارت القضايا الخلافية التي طرحها المستشرق ردود فعل عدائية من العلماء المحليين؛ فقد أنكر الآيات القرآنية التي تصف "السماوات السبع"، قائلا: " إن علم الفلك قد تقدم وأثبت أنه لا توجد سبع طباق في السماء أو في الفضاء، ولذلك فالآية تناقض العلم. وقد أخبر الطالبان "محسن علوي"، و"ضياء آرون" أستاذهم النورسي عن

1- المرجع السابق، مجلد ٢، ص: (١١٧ – ١١٨).
2- المرجع السابق، مجلد ٣، ص: ٣٥.

المحاضـــرة، فأعـــد رســـالة ذكر فيها بعض أجزاء من رسائل النور. وفي اليوم التالي ذهب الطالبان إلى الجامعة ووزعا نسخا من هذه الرسالة قبل المحاضرة الثانية، وقرئت هذه الرسالة علـــى المستشرق، فسأل عمن كتبها فقيل له: عالم دين اسمه "بديع الزمان"، فاختصر المستشرق محاضرته ذلك اليوم، وغادر البلاد قاطعا زيارته قبل خمسة أيام"[1].

المطلب السابع: استعمال الوسائل المشروعة:

الداعي إلى الله يتحرى بدقة الوسائل والطرق المشروعة، لدى دعوته الناس وتبليغهم؛ إذ لا يسلك إلى هدف مشروع إلا بوسيلة مشروعة لا شبهة في مشروعيتها.

ولما كان هدف الدعوة النورية هو الحق، وطلابها في ذات الوقت أعداء الباطل، فإنهم لم يـــستعملوا الـــباطل الذي هو عدوهم لبلوغ الهدف الحق؛ لأنهم لو صنعوا ذلك – لا قدر الله – يكونون قد كذبوا أنفسهم، وناقضوا جميع ما قاموا به من أعمال. وما أروع ما قاله أحد الشهود الأواخـــر فـــي دفاعـــه أمام محكمة (آفيون): "إن رسائل النور لا تستهدف الدنيا، بل تستهدف الـــسعادة الأخروية الدائمة، وتستهدف نيل رضا الله الباقي الأزلي الرحيم ذي الجلال، الذي لا يشكل الجمال والحسن إلا ظلا خافتا لجماله، ولا تشكل لطائف الجنة جميعا إلا لمعة من حجته سبحانه، فما دام مثل هذا الهدف المقدس، ومثل هذا الهدف السامي موجودا، فإنني أبرئ رسائل النور وأنزهها ألف مرة من أن تقع في أمور سفليه ومحرمة"[2].

ومـــا أبهى ما أكد عليه الإمام النورسي حين قال: "إن مهمة رسائل النور الأساس، هي خدمـــة القـــرآن الكـــريم، والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق، الذي يودي بالحياة الأبدية، ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سما زعافا، وجحيما لا يطاق. وإن منهجها في ذلك، هو إظهـــار الحقائـــق الإيمانية الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي تلزم أشد الفلاسفة والمتـــزندقة تمـــردا، على التسليم بالإيمان؛ لذا فليس من حقنا أن نجعل رسائل النور أداة لأي شيء كان"[3].

1- المرجع السابق، مجلد ٤، ص: ٣١٤.
2- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٦٠١.
3- المرجع السابق نفسه، ص: ٤٠٦.

المطلب الثامن: رسالية الدعوة وتنزهها:

فالداعي إلى الله لا يريد جزاء ولا شكورا من أحد، عوضا عما يؤديه من وظيفته المقدسة، ماديا كان ذلك الأجر أو معنويا؛ لأن طلب الأجر يذهب صفاء الصدق والإخلاص، وحالما يتكدر الصدق والإخلاص تتلاشى قوة التأثير.

لذلك؛ لا يكون داعيا إلى الله ومبلغا عنه سبحانه وتعالى، من يسعى وراء الأجر، ويغرق في حياة مسرفة فارهة؛ لأن الذين لم يجعلوا حياتهم بمستوى السواد الأعظم، ليسوا ممن يسيرون في طريق الرسول الأعظم المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، بل إن أطوار هؤلاء وأقوالهم كذب في كذب، ولم يهتد أحد إلى الصدق بالكذب، ومن لم يهتد إلى الصدق، فلن يكون هاديا لغيره قطعا.

ولنستمع بقلب شهيد، وحس واع، إلى الإمام النورسي الداعية والمرشد النوري، الذي نور الله عقله كقلبه، وقلبه كعقله، إذْ يقول: " إن أهل الضلالة يتهمون العلماء باتخاذهم العلم مغنما، فيها جمونهم ظلما وعدوا بقولهم: إنهم يجعلون العلم والدين وسيلة لكسب معيشتهم. فيجب تكذيب هؤلاء تكذيبا فعليا؛ فنحن مكلفون باتباع الأنبياء عليهم السلام في نشر الحق وتبليغه، وإن القرآن الكريم يذكر الذين نشروا الحق، أنهم أظهروا الاستغناء عن الناس بقولهم: "**إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ**" [يونس: ٧٢]، " **إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ**" [هود: ٢٩]، "**إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ**" [سبأ: ٤٧]، وإن الآية الكريمة: " **اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ**" [يس: ٢١]، تفيد معاني ومغزى عميقا، فيما تخص مسألتنا هذه"[1].

المطلب التاسع: الحياة بالدعوة:

إن أهم قاعدة من قواعد دعوة النور، أن يحيا طالب النور بما يدعو، ويدعو بما يحياه؛ ذلك لأنه على الصراط السوي للمؤمن الحقيقي، والمؤمن الحقيقي هو من بلغ إلى تكامل الظاهر والباطن، فلا تخالف بين الظاهر والباطن في هذا المؤمن.

وبالتالي؛ فإن طلاب الدعوة النورية، يبتعدون تماما عن الحياة الازدواجية؛ لأنها صفة النفاق، ويتنزه الداعي النوري الصادق من مثل هذه الأخلاق المذمومة.

وعلى هذا؛ فالداعي النوري ينظم كل حركاته وتصرفاته وسلوكه وفق حياته الدعوية؛ أي يقوم ويقعد متفكرا بالدعوة النورية إلى الله والتبليغ عنه سبحانه، وإرشاد الآخرين إلى ما عاشه.

1- المكتوبات، مرجع سابق، ص: ١٦.

وإنـــه لقدر إلهي أن تترافق وتتداخل وظيفة الدعوة والعيش بها، والمعاناة من أجلها؛ إذ الأشياء التي تحصل بصعوبة وتعب، تحظى بالاهتمام والعناية. وما أصدق قول الإمام النورسي لطلابـــه: "مع أنني شخص مقصر، فقد نذرت كل حياتي في سبيل سعادة هذه الأمة، وفي سبيل إنقـــاذ إيمانها، ولقد سعيت بكل جهدي للعمل برسائل النور، لكي أضحي بنفسي في سبيل حقيقة افـــتدتها ألوف الأنفس، وهي الحقيقة القرآنية. واستطعت بتوفيق من الله تعالى وفضل منه، أن أتحمل شتى ضروب التعذيب فلم أتقهقر ولم أنسحب"[1].

المطلب العاشر: الصفاء والإخلاص:

لابـــد للداعـــي إلـــى الله أن يحافظ على تواضعه وإنكار ذاته، مهما اعتلى من مقامات ومناصـــب، وأن يحـــافظ على وضعه كما هو في كل زمان ومكان؛ فهو ذلك الإنسان الذي لم يطـــرأ عليه تغيير، فحياته كلها تتسم بالبساطة والفطرية، وقلبه مفعم بالتجرد والبساطة، وعينه مليئة بأنوار البساطة، حتى مسكنه ومحيطه وبيئته لا يشاهد فيها إلا التواضع والبساطة.

وهـــذا مـــا شهد به الكثيرون للإمام النورسي بصفة خاصة وطلاب النور عامة، فيقول أحـــدهم: "كان الأستاذ متواضعا كل التواضع، ولذلك عندما رأيته لأول مرة لم أكن لأعرف أنه عالم من شدة تواضعه"[2].

ويضيف الآخر: "لقد كان يعيش فقيرا حقا"[3].

ومـــع ذلك نجده –رحمه الله – يخاطب نفسه قائلا: "يا "أنا" لك أمور تسعة تعاميت عن ماهيـــتها، وعواقـــبها: أما جسدك؛ فكالثمرة المتزهرة المتزينة صيفا، المنكمشة المتفسخة شتاء، وأما حياتك المادية؛ فانظر إلى جنس الحيوان كيف يسرع فيهم الموت والزوال. وأما إنسانيتك؛ فمترددة بين الانطفاء والاصطفاء والزوال والبقاء. وأما عمرك وحياتك؛ فكقامتك قصيرة معينة الحـــدود لا تقـــدم ولا تؤخر. وأما وجودك؛ فليس ملكا لك، فله مالك، الملك له وأشفق به منك. وأما مصائبك؛ فلا تمر حقيقة لأنها تمر سريعا، بل تحلو لأنها تحول وأما أنت هنا الآن؛ فمسافر ثم مسافر ثم مسافر، والمسافر لا يعلق قلبه بما لا يتعلق به ويفارقه بسرعة.

وأما وجودك؛ فافده لموجده الذي يشتريه بثمن غال، فسارع إلى البيع بل الفداء.

وأما لذائذ الدنيا؛ فقسمتك تأتيك، فلا تطش في طلبها.."[4].

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ٤، ص: ٢٢.
2- نفس المرجع ج١، ص: ٩١.
3- نفس المرجع ج٢، ص: ١١٨.
4- المثنوي العربي، مرجع سابق، ص: (٢٢١ – ٢٢٣).

وهكذا يجسد الإمام النورسي غنى ذاته، الذي لا يزيد فيه ولا ينقص منه تغير الأحوال والأطوار، ورغم كون قبره مجهولا، إلا أن خيام بساطته وفطرته في قلوب الملايين من الناس، تحوي آثار صفائه وإخلاصه.

المطلب الحادي عشر: المثابرة والإصرار على أمر الدعوة:

إن المثابرة والإصرار على أمر الدعوة إلى الله، وسيلة لجلب الرضا الإلهي، وفي الوقت نفسه علامة على إخلاص الداعية، وسر من أسرار قبول ما يبلغه في وجدان المخاطبين. ورحم الله شيخ الإسلام "مصطفى صبري" الذي شهد بمواظبة الإمام النورسي على جعل كلمة التوحيد تستقر في القلوب، وإلحاحه على إنقاذ إيمان الناس، بينما أخطأ غيره، فيقول: "أنت إذن على قيد الحياة يا "سعيد"؛ لقد بقيت أنت في أرض الوطن ثابتا، وداومت على العلم والجهاد ولازلت، بينما أخطأنا نحن، وحرمنا من ذلك يا "سعيد""[1].

ويتأثر أحد السجانين، وتهتز مشاعره، حين يرى إصرار الإمام على دعوته ومواظبته عليها، فيقول: "لقد سمعته ينادي من داخل محبسه: (أريد رسائل النور فحسب، لن أتخلى عن عملي هذا) فتأثرت كثيرا بهذه العزيمة الظاهرة من هذه الجملة القصيرة، وأصابني حزن وألم كبير لما تتلقاه هذه الشخصية العظيمة من ظلم وعسف"[2].

المطلب الثاني عشر: الوعي بقوانين الفطرة:

من الأصول التي تقوم عليها دعوة النور، عدم الاصطدام مع قوانين الفطرة، وضرورة اتخاذ البصيرة أساسا في الدعوة إلى الله؛ لأن الفطرة مستقرة بالآيات التكوينية، ويجب أن تبلغ الدعوة وفق هذه القوانين، أي تؤخذ الخصائص والمزايا التي فطر الإنسان عليها بنظر الاعتبار، ولقد حرص الإمام النورسي على تعليم طلاب النور هذه القاعدة بأكثر من طريقة، قائلا لأحدهم: "يا أخي؛ ليس هناك إنسان لا يمكن أن لا يفتح للإسلام، المهم الدقة المتناهية للذين يخدمون الإسلام؛ فإن الإنسان يشبه قصرا بمائة باب، وحتما هناك باب يدخل منه إلى ذلك الإنسان. لقد أغلق تسعة وتسعون بابا أمام الإسلام من قبل كفار أوربا، ومنافقي آسيا، ولم يبق للإسلام غير باب واحد، وهو "باب الفطرة"، وإذا ما تمكنت من الدخول من خلال ذلك الباب بفضل فراستك، فستنفتح الأبواب الأخرى، ويستطيع الإسلام من غزو وفتح ذلك الإنسان"[3].

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ٢، ص: ١٤٣.
2- نفس المرجع، مجلد ٢، ص: ٩.
3- نفس المرجع، مجلد ٤، ص: ١٣٨.

المطلب الثالث عشر: الميزان الدقيق في العلاقة مع أصحاب المال والسلطة:

تُعلِّـــم الدعـــوة النورية الدعاة إلى الله، أن يقتدوا بسيرة أعظم مرشد على الإطلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتعلموا منه – صلى الله عليه وسلم – الاستغناء عن أصحاب المال والسلطان في المجتمع، وعدم الإعجاب بهم، مع الاستمرار في دعوتهم وإرشادهم.

وهذا ما صنعه الإمام النورسي؛ فإنه لم يكن ليأخذ هدايا من أحد، إذا أصر المهدي يقول له: "إذا لم أدفع ما يقابلها من ثمن تضر بصحتي وتفسد قواعدي"[1].

كمـــا كان يرفض استلام أي شيء يأتيه من أعيان البلد بأسلوب مهذب ولطيف؛ لأنه لا يرغب في إحداث أية قطيعة مع أحد[2].

وفـــي نفـــس الوقت لم يتخل عن واجبه الدعوي نحو هؤلاء الناس؛ فها هو يرشد بعض الساسة قائلا: "أقول لكم بكل وضوح، وبشكل أكيد وقاطع؛ إن هذا البلد وحكوماته ستكون بحاجة ماســـة إلـــى نـــشر رسائل النور وأمثالها في العالم الإسلامي، والعالم بأسره؛ لإبراز مفاهيمها واعتباراتها ومفاخرها التاريخية"[3].

المطلب الرابع عشر: معرفة المدعوّ وأسلوب التفاهم معه:

أولا: معـــرفة المدعـــو: فـــإن الداعي إلى الله يتفقد أحوال المدعوّ عن كثب، ويتصرف تجاه أخطائـــه بـــرحابة صـــدر؛ فيـــتخذ تجاه المؤمن طور المروءة، أما تجاه أهل الكفر والإلحاد، فيتـــصرف بالكياسة والدراية، وبهذه الأساليب يتمكن من التقرب إلى قلب مخاطبه ومنطقه من جهـــة، محبـــبا إلـــيه مـــا يريد تبليغه، ويسوقه إلى القبول من جهة أخرى. وبالفعل كان الإمام النورسي "يكرم زواره من الشخصيات المعروفة على اختلافهم، ويتقبلهم كما هم، يذكر محاسن أعمالهم، ويشجعهم على الاستمرار، سواء القليلة منها أو الكثيرة"[4].

ثانيا: الحذر من النقاش والجدال: فإن الداعي إلى الله حذر جدا أن يؤول الكلام في الحوار إلـــى جدال ونقاش؛ إذ المتكلم في الجدال والنقاش هو "الأنانية"، وهذا الجو من الجدال الذي لا يراد به الوصول إلى الحق، يسلّم زمامه إلى الشيطان. كما أنه في الجدال لا يخطر بالبال دائما رضـــا الله؛ لأن الداعي والمدعو كليهما يكون في حالة متوترة ومشدودة بالأنانية، وفي مثل هذا

1- نفس المرجع، مجلد ٣، ص: ٥٨.
2- نفس المرجع، مجلد ٢، ص: ١١٧.
3- نفس المرجع، مجلد ٣، ص: ٥٦.
4- نفس المرجع، المجلد ٢، ص: ١٢٣.

الجو الذي ليس فيه رضا الله سبحانه، لا تحصل الهداية مهما كان الكلام جيدا؛ حيث الهداية بيد الله وحده، ولا ترد في مواضع ليس فيها رضا الله.

إن فهم هذا الأصل من أصول الدعوة للمخاطب، سمة من سمات حراس الحقيقة، أصحاب الجندية الرسالية النورية، الذين وجه الإمام النورسي وصيته إلى جيل منهم، قائلا: "إنني أضع كل واحد منكم حارسا للنور وحافظا له؛ إذ إن أي واحد منكم إنما هو "سعيد" ووارث لي؛ ستكونون آلافا بدلاً من حارس واحد، وستعتبرون كل رسالة أو مجموعة نورية بمثابة "سعيد" معنوي؛ خذوا منها دروسكم بدلا مني. لا تتضعضعوا، لا قيمة للمصاعب الفانية، ولا موانع أمام محاوراتنا بأي شكل كان.

إن النور كاف وواف لطلاب النور الحقيقيين، فعليهم أيضا أن يكونوا مقتنعين؛ فلا يركزوا أنظارهم إلى منافع مادية أو معنوية، أو اكتساب شرف من غيره.

يجب الابتعاد عن الدخول في مناقشات ومجادلات ومباحثات متحيزة في المسائل الدينية، ويجب تجنب التطرف والتعصب؛ لكي لا يظهر أمام النور معارضون من ذوي الأغراض والنيات السيئة"[1].

ثالثا: الانخلاع من الأنانية: فالأنانية عامل يعيق الهداية، ويزيل بركتها سواء للداعي أو للمدعو؛ لذا فإن الداعي ينخلع من هذا الحس الصغير، بل يقول ما يريد قوله ضمن تواضع وإنكار ذات، وبهذا ينقذ مخاطبه أيضا من فكر مسبق، ومن العناد.

وإن مراعاة هذا الأصل في الدعوة النورية، جعل الكثيرين ممن تعامل مع الإمام النورسي يتعلق به، وقد عبر أحدهم عن ذلك بقوله: "لقد كان الأستاذ شديد التواضع، وواسع القلب، وفسيح الجنان، وكان من شدة تواضعه بحيث بدأت أحس وكأنه لا يعرف الشيء الكثير؛ لأنه كان يكرر ما كنت أعرفه.. لقد زاد من ارتباطنا به شدة تواضعه، وبساطته، وعلو همته، ومحبته واهتمامه بنا"[2].

رابعا: معرفة البناء الفكري للمدعو: لأن من لوازم معرفة المدعو، الإحاطة بمستواه الاجتماعي، وبنائه الثقافي، وهذا أصل مهم جدا من أصول معرفة فن الدعوة والتبليغ؛ فكما أن الدعوة وظيفة، فإن معرفة فن الدعوة وظيفة أخرى. ولقد أجاد الإمام النورسي كلتا الوظيفتين، ويخبرنا عن ذلك أحد الشهود الأواخر قائلا: "إن الأستاذ كان يقابل من هم على مستوى الفلاح

1- نفس المرجع، المجلد ٣، ص: (٧٦ – ٧٧).
2- نفس المرجع، مجلد ٢، ص: ١٠٦.

أو العامل أو الراعي، ويتحدث إليهم على قدر مداركهم، ويتواضع معهم، وينزل إلى مستواهم، ويخاطبهم باللسان الذي يفهمونه. وعندما يجلس إلى أستاذ جامعة، يحاوره بأدق المعلومات العلمية، حتى يخرج متعجبا من غزارة معلوماته عن تاريخ حياة الكرة الأرضية، والمجموعة الشمسية والأفلاك"[1].

خامسا: معرفة ثقافة العصر: وتبعا للأصل السابق، فلا يمكن لمن يجهل ثقافة عصره، ومدى فهمه وأسلوب خطابه، أن يفهّم إنسان عصره شيئا؛ لأن كل شيء في الكون، وكل ما يحدث فيه، لسان وغصن؛ فعلى الداعي إلى الله أن يتعلم هذا اللسان، ويستمسك بهذا الغصن، وإلا عجز عن فهم الآيات التكوينية، وبالتالي يُضرَب عليه الذل والمسكنة.

وما أجمل تلك الشهادة التي تجلي هذا الأصل في فن الدعوة عند الإمام النورسي: "إن الأستاذ يفيض علما، وينشر هذا العلم، وهو يستخدم في خوارق علمه، وفي أكثر المسائل العلمية تعقيدا، منطقا عاليا حيّر أكبر المفكرين وأذهلهم، ويستخدم أسلوبا جذابا رائعا ومشوقا، فياضا بالحرارة، نابضا بالعشق والعواطف الجياشة، وذلك بلغة تعلمها بعد نصف عمره، حتى لتبدو كتاباته وكأنها بحر إيمان، وخزينة توحيد، ومحيط حكمة"[2].

سادسا: مرونة الداعية: فلابد أن يكون الداعية مرنا، ويحافظ على مرونته هذه؛ لأنه ينزل أحيانا في أعماق الوديان، وأحيانا يصعد أعالي المنابر؛ إذ بين مخاطبيه من هو في كلتا النقطتين، وهذا يقتضي أن تكون مساحة ثقافته واسعة، وقد رأينا في الأصل الرابع كيفية تعامل الإمام النورسي مع جميع المستويات، من مستوى الفلاح أو العامل أو الراعي إلى مستوى أستاذ الجامعة، وكان الأستاذ بمرونته العالية "يكلم مخطابيه حسب قابلياتهم ومستوياتهم، كان الجميع يخرجون من عنده برضا تام، وقناعة كاملة"[3].

سابعا: النزول بمنازل المخاطبين: فالداعي الواعي ينزل إلى منازل المخاطبين، ويكلمهم بقدر عقولهم، ويسع جميع الناس بخطابه، كل في موضعه؛ فمع الأطفال كالطفل، ومع الشباب كالشاب، ومع العجوز كالعجوز.

وإن الإمام النورسي حقق ذلك نظريا وعمليا؛ ففي كليات الرسائل النور نطالع رسالة "مرشد الشباب"، ورسالة "مرشد أخوات الآخرة"، ورسالة "مرشد أهل القرآن"، ورسالة "إلى الشيوخ".

1- نفس المرجع، مجلد٣، ص: ١٠٩.
2- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٦١١.
3- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ٢، ص: ٣٧٣.

وفي الواقع العملي مارس ذلك فيما يكلف به المخاطبين؛ "فيكتب رسائل للبعض، ويكلف غيرهم بواجبات مختلفة، عندما يكون مخاطبه موظفا إداريا كبيرا"[1].

ثامـــنا: النظـــر من زاوية العصر: نخلص مما سبق أن تناولناه في الأصول السبعة لمعرفة المدعو وأسلوب التفاهم معه، إلى أنه على الداعية أن ينظر من زاوية عصره الذي يعيش فيه، قـــبل أن يتطـــرق للمـــسائل المرتبطة بالعمل الدعوي؛ فيكون خبيراً بالبناء الروحي للمخاطب، وعالمـــا بالمـــسائل التي انغرست في ذهنه انغراس السهم المسموم، ثم يتكلم بما يريد أن يتكلم ضـــمن هـــذه المعرفة، وذلك كي يلقى القبول الحسن، وينعكس في قلب المخاطب، ويستقر في ذهـــنه؛ فيـــصبح الداعـــي بالنسبة له، كما قال أحد الشهود الأواخر عن الإمام النورسي: "كأنه أخلص صديق، وأقرب رفيق، وأعز صديق، تصرفاته تربط الإنسان به أراد ذلك أم لم يرد غير أنه كان يريدنا أن لا نتعلق به، بل نرتبط بالحقائق القرآنية، وبرسائل النور وكان يسعى لتحقيق ذلك"[2].

1- المرجع السابق، مجلد ٤، ص: ٣٥.
2- المرجع السابق، المجلد ٢، ص: ١٢٠.

الباب الثاني

[من مقومات الداعية]

الفصل الخامس: وظيفة الداعية.

الفصل السادس: من سمات الداعية وأخلاقه.

الفصل السابع: من عدة الداعية.

الفصل الثامن: أسلوب الداعية.

الباب الثاني

(من مقومات الداعية)

إن الداعـــية هو الأصل في حركة الدعوة إلى الله؛ لأنه بممارسته للدعوة، وقدرته على الانطلاق بها، تكون الدعوة ويتحقق التبليغ.

وإن مـــسئوليته تـــنطلق مـــن إحـــساسه بالحياة وهي تتحرك في إطار الحقائق الإيمانية والأخـــلاق الـــربانية التـــي تحملها دعوته، وفي ضوء ذلك لا يمثل المزاج الذاتي للداعية شيئا بالنسبة إليه إلا بقدر ارتباطه بدعوته؛ لأنه يؤمن بأن ما يملكه من وقت وفكر وجهد هو للدعوة، فحسبه من حياته وقوته ومواهبه، أنها تحقق أهداف دعوته وتجسدها في الحياة.

لذا فإن "الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، سعيد المشهور المجدد، ترجمان الحقائق في العـــصر الأخيـــر، معلـــم الإيمان، والأستاذ الوفي للإسلام، صاحب الخلق السامي، والمستوى الرفيع، والوجه الصبوح والسيماء المشفقة.. يكفيه فخرا أنه فرد من الأمة المحمدية، هذه الصفة أبـــرزت عنده النظرة الثاقبة، والحس المسبق، واكتشاف أهمية ومكانة العقل السليم، والتوصل بـــالعلم والفنون والمعرفة عند سلوك طريق الرب الحكيم، والتسلح بهذه الوسائل أساس في نشر دعـــواه، مـــدركا مـــنذ البداية الأوضاع والظروف التي أوجدها هذا العصر، وهو بهذا أصبح الراعي والقائد الذي يدرك ما هو الأفضل والأنسب للمسلمين على مختلف مشاربهم"[1].

فتعالوا نقترب من مقومات هذا الداعية التي نستخلصها مما أدلى به الشهود الأواخر.

الفصل الخامس: وظيفة الداعية

لقـــد أدرك الإمـــام النورســـي أن الدعوة النورية هي قلب الكون، وروح الوجود، وأنها ميـــزان العالم، وصمام أمن وأمان له؛ فتحرق قلبه شوقا وهو يقوم بوظيفته في التبليغ، واشتعل ذهـــنه همـــا بتبعات هذه الوظيفة، سرى في دمه عرق بطولي عارم، دفعه لتحدي قدرات هي أعظـــم مـــن قدراتـــه، وإمكانـــات هي أعظم من إمكاناته، فما هذه الوظيفة التي قام بها الإمام النورسي أحسن قيام ؟

1- المرجع السابق، المجلد ٤، ص: ٦.

المطلب الأول: إنقاذ الإيمان:

حينما سأل الحاكم الإمام النورسي: "ما هي مهنتك ؟ أجابه الأستاذ: إنقاذ الإيمان"[1]، ولقد كـــان – رحمه الله – صادقا في دعواه كل الصدق؛ فهو لم يترك فئة من الناس، إلا واجتهد في إنقـــاذ إيمانها، حتى المحكوم عليهم بالإعدام في قضايا جنائية، ولم يكن هذا ديدنه وحده، وإنما تعلـــم مـــنه طلابه الدرس عمليا، وترجموه واقعيا، ويعبر عن ذلك أحدهم بقوله: "أصبحنا سببا لإنقـــاذ الكثير من السجناء من بؤسهم؛ فوجدوا الخلاص من أدرانهم، وشقاوة حياتهم، في قراءة القـــرآن، ومطالعة رسائل النور.. وعندما أخذوهم لتنفيذ حكم الإعدام، كان بعضهم يتلو القرآن، وبعضهم الآخر يقرأ الأدعية والأوراد، أو على سجادة الصلاة؛ ترى ماذا كان سيحصل لهم لو أخذوهم من مائدة القمار أو من الموبقات"[2].

المطلب الثاني: المرابطة في خدمة حقائق الإيمان والدفاع عن القرآن:

لقد جعل الإمام النورسي جميع العلوم المتنوعة المخزونة في ذهنه، مدارج للوصول إلى إدراك معانـــي القـــرآن الكريم وإثبات حقائقه، وأصبحت المعجزة المعنوية للقرآن الكريم دليلا ومرشدا وأستاذا له، حتى أنه أعلن لمن حوله: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها"[3].

وبـــرّ الإمام النورسي بقسمه، ويشهد بذلك الكثيرون؛ فقال أحدهم: "بينما كان قائد القوات المـــتطوعة في الحرب العالمية الأولى، الأستاذ بديع الزمان، يحارب وبيده السلاح على رؤوس الجـــبال المكسوة بالثلوج تجاه الروس، كان يكتب تفسيره "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"؛ لـــيقدمه إلـــى طلابـــه القادمين في المستقبل، كي يخوضوا غمار المحاربة المعنوية والفكرية والعلمية، تجاه الكفر والضلال"[4].

بـــل كـــان لا يحـــب أن يعرَّف تعريفا غير كونه "دلالاً في محل جواهر القرآن الكريم، وخادما فيه، ومنشغلا بإعلان نور القرآن"[5].

وفي مرابطته – رحمه الله – لم يكن يعمل لنفسه أو لجاه أو لمنصب، أو ليرتاح ويعيش برفاه، "وإنما لإنقاذ الإيمان من الدرن الذي أصيب به، وتصفية الشبهات والشكوك، ويجاهد في سبيل التوحد والتكاتف، ويمتنع عن الدخول في مواضع الخلافات وإثارة التفرقة، وكل ما يضر

1- نفس المرجع، مجلد ٣، ص: ٣٩٧.
2- نفس المرجع، المجلد ٢، ص: ٧٥.
3- سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٦٦.
4- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ١، ص: ٥٠.
5- نفسه، مجلد ٢، ص: ٦.

بالـــتآزر؛ لـــذا كان لا يدخل في التفرعات التي تخرج عن ما يتفق عليه المؤمنون من أصول مشتركة لا يختلفون عليها"[1].

ومن هنا، حرص كل الحرص على التأكيد في كل موقف دعوي على الوظيفة الرئيسية لـــه، ولطلابه، قائلا: "إخواني؛ إن وظيفتنا هي خدمة الإيمان والقرآن الكريم بإخلاص تام، أما توفيقـــنا ونجاحـــنا فـــي العمل وإقبال الناس إلينا، ودفع المعارضين عنا، فهو موكول إلى الله ســـبحانه؛ فـــنحن لا نـــتدخل فـــي هذه الأمور، حتى ولو غلبنا، فلا ينقصنا هذا شيئا من قوتنا المعنوية، ولا يقعد عن خدماتنا؛ فعلينا الثقة والاطمئنان والقناعة انطلاقا من هذه النقطة"[2].

المطلب الثالث: بناء الأسس المتينة:

مـــن أولويات الداعية إلى الله، البدء ببناء الأسس المتينة، والنزول بالتدريج إلى الفروع. ولهـــذا فـــإن الإمـــام النورســـي يرى أن أكبر حقيقة في الدنيا هي حقيقة الإيمان، وأن القضايا الإيمانية لها الأولوية في التبليغ. ولأجل ترسيخ هذه الأسس، يطلب من طلابه أن يذكروه – إذا أحسوا غموضا في حديثه – بتبسيط هذه الأسس، فيقول: "إن مواعظي غير مفهومة غالبا؛ لأن غايتـــي إصـــلاح الأسس التي يبنى عليها الإيمان، فإذا أصبح الأساس صلبا قويا، فلا يؤثر فيه مؤثـــر بعـــد، حتى الزلازل.. فليجلس أحدكم إذن بجانبي، كي يذكرني عندما يصبح الموضوع غامضا، لأبسطه بسطا، وأشرحه واضحا"[3].

والإمام النورسي في سبيل ترسيخ هذه الأسس، لا يلتفت إلى العوائق والإيذاءات، معلنا: "إن هدفـــنا وبـــرنامجنا، إنقـــاذ أنفسنا أولا، ثم إنقاذ أمتنا من الإعدام الأبدي، والسجن البرزخي الانفرادي المؤبد، ووقاية مواطنينا من حياة الفوضى والسفاهة، ومحافظة أنفسنا، بالحقائق القوية الفـــولاذية الـــواردة فـــي رســـائل النور، من الإلحاد الذي يروم القضاء على حياتنا في الدنيا والآخرة"[4].

المطلب الرابع: تبليغ الدعوة للناس كافة:

لمـــا كانـــت مهمـــة الدعاة إلى الله هي التبليغ فقط، وعلمهم أن قبول هذا التبليغ أو عدم قـــبوله، موكـــول إلى الله تعالى، فإن الإمام النورسي حرص على أن يبلغ دعوة النور لكل من يلقـــاه، أو يستطيع التواصل معه، ولننعم النظر، ونشهد القلب، ونرهف السمع، ونحن نستعرض

1- نفسه، المجلد ٢، ص: ١٢٣.
2- المرجع السابق، المجلد ٣، ص: ١٠٠.
3- نفسه، المجلد ١، ص: ٨٧.
4- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٤٢٨.

بعض المواقف الدعوية البليغة في دلالاتها على نفس الداعية، وإصراره على مواصلة الدعوة النورية في اتجاه الغاية المنشودة.

أولا: دعوته للرعاة: فإن الإمام النورسي كلما مرّ على جماعة من الرعاة يتكلم معهم قائلا: "إذا ما أديتم صلواتكم الخمس، فكأنما جميع ساعات نهاركم عبادة لكم.. إن عملكم خدمة للإنسانية، وإن المنتوج من جهودكم من لبن وجبن ولحم وصوف، يعود إليكم أجرها، وتكتب لكم حسنات، لا يهم من كان المستفيد منها، وتحسب لكم صدقات، ولا تؤذوا هذه الحيوانات؛ فهذه حيوانات صدوقة ومخلصة"[1].

ثانيا: دعوته للغجر: وقف الإمام النورسي في الطريق ينصح بعض الغجر ويقول لهم: "أنتم تقيمون في أماكن متواضعة، لعلمكم أن الدنيا فانية.. أنتم رفقائي في المهنة؛ لأنكم رحالة مثلي.

وبعد هذا الحديث معهم أصبحوا يحترمونه – رحمه الله – ويوقرونه أينما شاهدوه"[2].

ثالثا: دعوته للسائقين: فلقد حرص الإمام النورسي على أن يقول لكل من يقابله من السائقين: "إن خدمة السياقة خدمة للناس، وإذا قمتم بأداء الصلوات المفروضة، أصبحت جهودكم بمثابة عبادة لكم"[3].

رابعا: دعوته للفران: فيحدثنا صاحب الموقف قائلا: "عندما علم أن مهنتي فران، قال لي: إن أهل الأفران يؤدون خدمات عظيمة للناس في مجال تهيئة الغذاء لهم، وسد احتياجاتهم، إن عملهم يعتبر عبادة لهم، إذا ما كانوا يؤدون الصلوات"[4].

خامسا: دعوته لرجال الشرطة: فإن الإمام النورسي لم يدع فرصة من فرص مداهمة رجال الشرطة مسكنه للتفتيش، أو للتحقيق، أو للسجن، أو حتى للزيارة، إلا وانتهزها ناصحا لهم، بمثل قوله: "أنا أقول إن التزام رجال الشرطة بالفرائض والتقوى والإيمان، واجتناب الكبائر، أولى من التزام رجالات الدين وأهل التصوف في هذا الزمان؛ فهناك حاجة شديدة إلى وجودهم، وواجباتهم ووظائفهم تقتضي ذلك؛ لكي يستطيعوا أداء مهامهم فيحافظوا على الأمن العام أمام الذين يقومون بتخريب المعنويات"[5].

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٣، ص: ٥٢.
2- نفسه، ص: ١٦٠.
3- نفسه، ص: ٥٨.
4- نفسه، مجلد ٤، ص: ٣٠٦.
5- نفسه، المجلد ٣، ص: ٥٧.

وينـــصح مجمـــوعة مـــن الـــشرطة حالت بينه وبين زيارة مرقد "مولانا جلال الدين الرومـــي"، نـــصيحة مغلفة بالشكر، ومطعمة بالتوجيه غير المباشر الذي هو أبلغ أثرا، فيقول: "إننـــي أود أن أشكركم؛ إن تقبيل اليد عذاب بالنسبة لي، لقد كنتم أنتم من حالوا دون ذلك.. لقد خـــدمت أمـــن واســـتقرار هذا البلد مدة ثمان وعشرين سنة، قضيتها إما في السجون، أو النفي والإبعـــاد والمضايقات، والتعذيب والتنكيل.. أنتم تخدمون أمن هذا الوطن وسلامته من الناحية الماديـــة، أمـــا أنا فأخدمه من الناحية المعنوية؛ فلقد خدمنا نحن بقدر ألف من المدعين والحكام ومدراء الشرطة؛ لذا انظروا إلينا باعتبارنا زملاء في الواجب، ولا تنظروا بعين أخرى"[1].

سادســـا: دعـــوته للمعلمـــين: فمـــا أبهى أنوار كلماته التي توجه بها إلى المعلمين موجها ومرشدا، بقوله النوري: "إنني أنظر إلى المعلمين من أهل الدين في هذه الأيام نظرة الأولياء في الأزمـــان الغابـــرة؛ لأن مهمة التربية كانت معطاة للوالدين قديما، بينما يتولاها المعلمون هذه الأيام.. إن الخيرين من المعلمين هم أفضل الناس، والسيئين منهم هم أسوأ الناس؛ لأن الأطفال الأبـــرياء يأخذون الكثير من معلميهم، فهم أمثال المغناطيس، يجلبون إليهم الصالح والطالح من التـــصرفات.. إن مكـــان المعلم الصالح في قمة المنائر، والسيئ في السافلين، ليس بينهم حالة وسطى، إما في أعلى عليين، أو في أسفل السافلين"[2].

ســـابعا: دعـــوته للـــنواب فـــي عهد الاتحاد والترقي (١٩٢٢م): فعندما لاحظ الإمام النورســـي، وجـــود نـــسبة من السياسيين والنواب يتهاونون في أداء الصلاة، وجه دعوته إليهم قـــائلا: "إن كـــان في طريق تسعة احتمالات للهلاك واحتمال واحد فقط للنجاة، فلا يسلكها إلا مجنون طائش لا يبالي بحياته؛ ففي أداء الفرائض الدينية نجاة بتسع وتسعين بالمائة، علما أنه لا يـــستغرق هذا الأداء إلا ساعة واحدة في اليوم، مقابل ما قد يمكن أن يكون احتمال ضرر واحد فقـــط يـــصيب الدنيا ومن حيث الغفلة والكسل. بينما إهمال الفرائض وتركها فيه احتمال تسع وتـــسعين بالمائـــة مـــن الضرر، مقابل احتمال واحد بالمائة من احتمال النجاة من حيث الغفلة والـــضلالة.. فـــيا تـــرى أي مسوغ، وأي مبرر يمكن ابتداعه في ترك الفرائض الذي يصيب ضرره الدين والدنيا معا ؟ وكيف تسمح حمية الفرد ونخوته بذلك التهاون ؟"[3].

1- نفسه المجلد ٤، ص: ١٠٦.
2- نفسه، المجلد ٣، ص: ٥٣.
3- سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ١٨٥.

ثامـــنا: دعـــوته لرئيس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك: لما وجد الإمام النورسي استهانة مصطفى كمال أتاتورك بالصلاة، قال له محتدا: "پاشا پاشا" إن أعظم حقيقة في الإسلام بعد الإيمان هي الصلاة، والذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود"[1].

تاســـعا: دعوته للسياسيين الديمقراطيين (١٩٥٠م): فإن الإمام النورسي ما فتئ يوضح للـــسياسيين الديمقـــراطيين، طبيعة دعوة النور، ونهج طلاب النور، قائلا لجماعة منهم: "ليس لرســـائل النور وطلبتها أية علاقة بالأمور السياسية، ولا يحملون نية التشكيك بها؛ لأن خدماتنا ليـــست دنيوية بل أخروية.. إن طلبة رسائل النور ليسوا أدوات إلا لإرضاء الله تعالى، لذلك لا يهدفون إلى مشاركة التيارات السياسية؛ لأن الذين يأتون لتلقي الدروس الإيمانية، لا يمكنهم أن ينظروا بعين الانتماء إلى طرف ما؛ لا فرق بين الصديق والعدو في محافل الدروس، في حين أن الـــسياسة تـــستوجب الانـــتماء، وهذا يؤذي المعاني الإيمانية، ويكسر الإخلاص. إن طلاب رســـائل النور رغم تعرضهم لأشد أنواع التعذيب والأذى والضيق، يتحملون ذلك بحلاوة، ولم يـــصبحوا أدوات وآلات لأي شـــيء، ولم يمدوا يدهم ليمسكوا مقابض السياسة. إلا أن رسائل الـــنور وبـــسبب تحطيمها قواعد الكفر المطلق، وما تحته من التمرد والعصيان، وما فوقه من الاستبداد المطلق؛ فإنها على تماس من نوع خاص بالسياسة. لقد ثبت هذا من دوام طرز الحياة لمدة خمسة وعشرين عاما، وما رافقها من دعاوى في المحاكم، إلا أنها لم تستبدل مسألة إيمانية واحدة بكل زخارف الدنيا"[2].

عاشـــرا: دعوته لوزير المعارف والعدل وأركان الدولة: فقد وجه الإمام النورسي رسالة إلـــى الوزيـــر "توفـــيق إيلري"، جاء فيها: "لا وسط بين الكفر والإيمان؛ ففي هذه البلاد وتجاه مكافحـــة الـــشيوعية، فليس هناك غير الإسلام، وليس هناك وسط؛ لأن التقسيم إلى يمين ويسار ووسط، يقتضي ثلاثة مسالك، وهذا يصدق لدى الإنجليز والفرنسيين، ويمكنهم أن يقولوا: اليمين الإسلام، واليسار الشيوعية، والوسط النصرانية. إلا أن الذي يجابه الشيوعية في هذه البلاد ليس إلا الإيمـــان والإسلام؛ فليس هناك دين ومذهب آخر يجابهها، إلا التحلل من الدين والدخول في الـــشيوعية؛ لأن المـــسلم الحقيقـــي لا يتنصر ولا يتهود، بل إذا خلع دينه يكون ملحدا فوضويا إرهابيا.

1- نفسه، ص: ١٨٦.
2- نفسه، المجلد ٣، ص: ٦٠.

وكمـــا أدرك وزير المعارف والعدل هذه الحقيقة، سيدركها بإذن الله سائر الأركان في الحكـــومة حـــق فهمهـــا، فيحاولون الاستناد إلى قوة الحق والحقيقة والقرآن والإيمان، بدلا من اليمـــين واليـــسار، ويـــنقذون بإذنه تعالى هذا الوطن من الكفر المطلق والزندقة، ومن دمارهم الرهيب"[1].

حـــادي عشر: دعوته لرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء: فإن رسالة الإمام النورسي إلـــى "جـــلال بايار" رئيس الجمهورية التركية، و"عدنان مندريس" رئيس الوزراء، تضمنت ما يلـــي: "رجل على شفير القبر جاوز الثمانين، وابتلي بأمراض عديدة، شيخ غريب ضعيف.. لقد ظهر أضرار ومخاطر النعرة القومية والعنصرية في عهد الأمويين، كما فرقت الناس شر فرقة فـــي بدايـــة عهد الحرية وإعلان الدستور؛ حيث تأسست النوادي والتكتلات، كما استغلت آثار النعـــرة القومـــية مجـــددا للتفـــريق بين الإخوة العرب النجباء، وبين الأتراك المجاهدين، فعم الاضطراب، وسلبت راحة الناس.

علما أن الإضرار بالناس بأعمال سلبية هو فطرة القومية والعنصرية التي فطروا عليها. والأتـــراك مـــسلمون فـــي أنحـــاء العالم كافة، فقوميتهم مزجت بالإسلام لا يمكن فصلهم عنه؛ فالتركي يعني المسلم، حتى إن غير المسلم منهم لا يكون تركيا.

وكذلك العرب؛ فإن قوميتهم مزجت بالإسلام أيضا، وينبغي هكذا؛ فقوميتهم الحقيقية هي الإسلام وهو حسبهم ألا إن العنصرية ودعوى القومية خطر عظيم"[2].

ثانـــي عشر: دعوة العصاة والإشفاق عليهم: إن كل من تعامل مع الإمام النورسي، من الشهود الأواخر، يشهدون بأنه – رحمه الله – ما عامل عاصيا بقسوة، وإنما كان يبدي له الشفقة والـــرحمة؛ ففـــي يوم "رأى شخصا في حالة سكر شديدة، فاقترب منه وقال له: يا أخي، تعال واجلـــس جنبي ولنتكلم معا، فجلس السكير إلى جواره.. قال له الإمام: أريد منك أن تعدني على أداء الصلوات الخمس، وصوم شهر واحد في السنة، وأنا أعدك أن أدعو لك طالما أنا على قيد الحـــياة. هـــنا أخـــذ السكير ينشج من البكاء. وقال: والله وبالله أقسم إنني أعدك، أعطيك وعدا وكلامـــا بأننـــي ســـأذهب وأغتسل اليوم، وأقوم لأتسحر هذه الليلة، ويكفي أن تدعو لي. ولكي أتخلص من هذا الوضع المزري، فلن أترك صلواتي ولا صومي"[3].

1- نفسه، ص: ٦١.
2- الملاحق، مرجع سابق، ص: ٤١٥.
3- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ٣، ص: ٢١٠.

بـــل إنه – رحمه الله – كان أستاذ المعنويات العالية في دعوته للعصاة؛ يقول أحدهم: "قال لي يوما: هناك شكاوى بحقك. تلعب القمار، وتشرب الخمر، وتحضر حفلات الرقص، هل كل هذا صحيح ؟ أجبته: نعم؛ صحيح كل هذا، يا استاذي.

قـــال: لـــن أستطيع أن أقول لك لا تفعل؛ أقول من الأفضل ألا تفعل. إذا ما قلت لك: لا تفعل، أتحمل تبعات قولي يوم الحساب يوم الحشر، وهذا تدخل بين العبد وربه"[1].

ثالث عشر: دعوة المخالف في المذهب الديني: فقـــد قال لمعلم من الطائفة العلوية، برأفة ورقـــة: "أنـــتم لا تحترمون الإمام عليا؛ فلقد كان سيدنا علي يصلي صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء. وإذا كنتم تحبون الإمام عليا، قوموا بأداء صلواتكم"[2].

رابع عشر: دعوة الآخر الديني: فقد تحدث الإمام النورسي مع بطريرك الروم الأرثوذكسي الأكبـــر "أثيـــنا غوراس"، "وقال له: أنتم إذا ما اعترفتم بأن القرآن كتاب الله، وعملتم بمقتضى الدين المسيحي الحقيقي، لأصبحتم من أهل النجاة. فيجيبه البطريرك: أنا أقبل بهذا"[3].

1- المرجع السابق، المجلد ٤، ص: ٢١٤.
2- نفسه، المجلد ٣، ص: ٦٤.
3- نفسه، مجلد ٤، ص: ١٦٥.

الفصل السادس: من سمات الداعية وأخلاقه

بمـــا أن الإمام النورسي قد عاش حياته للدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه، فإن كلامه يـــصدر محملا بألطاف من الشفقة والرحمة بأولئك الغافلين عن درب الإيمان، وينطق بالصدق الذي يفتح القلوب والعقول، ويشرق بشمس الأمل والثقة في تأييد الله لعباده المؤمنين، ومن هنا استطاع أن يحقق في نفسه سمات متميزة، وأخلاق يشهد لعظمتها العدو والصديق.

المطلب الأول: أهلية التصدر للدعوة:

فإن حمل أمانة الدعوة إلى الله يتطلب من المنتصبين لحمل هذه الأمانة أمرين:

أولا: جـــودة المعـــرفة بأصول الإسلام وفروعه: تلك الجودة التي تمكنهم من نقل حقائق الإيمـــان والإســـلام إلـــى الناس، فيعلم المدعوون أن الإسلام صلة قائمة تربط الإنسان بربه، وتوجهه في شؤون حياته كلها.

والإمـــام النورسي تمكن في شبابه المبكر من إكمال المواد المقررة حسب منهج العلماء العثمانيـــين فـــي ذلك الوقت، واستوعب ما يقرب من تسعين كتابا من أمهات الكتب في العلوم الدينية واللغوية وعلم الكلام.

ولمـــا وقـــف على كون علوم المدنية الحاضرة ضرورية أيضا لتبليغ دعوة الإسلام إلى إدراك العـــصر، قـــام بجهـــده الشخـــصي بدراســـة الأحياء والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا، والرياضيات وعلم الفلك، والتاريخ والجغرافيا والفلسفة[1].

ثانـــيا: الروح المفعمة بالحق والنشاط والأمل واليقظة: فمهمة الداعي إلى الله أن يرمق الحـــياة بعـــين ناقـــدة وبـــصر حديد، حتى إذا رأى فتورا نفخ فيه من روحه ليقوى، وإذا رأى انحـــرافا صاح به ليستقيم، إنه في مجتمعه متحرك من تلقاء نفسه للتحذير والتنبيه، كلما عرض لحقائق الإيمان وتعاليم الإسلام ما يعكر صفوها، ويعوق انطلاقها.

وإن الإمـــام النورســـي بعينه الناقدة، وبصره الواعي، وبصيرته النورانية النافذة، أدرك الخطـــر حينما وصل أنقرة، ورأى عن كثب غزو العقلية الأوربية، وضعف الاعتقاد والتمسك بالإسلام، فأعلن: "إنه لا يؤلمني سوى المخاطر المحيطة بالإسلام؛ إذ كانت المخاطر سابقا تأتي مـــن الخـــارج، وكانت مقاومتها يسيرة. أما الآن، فإنها تأتي من الداخل حيث دبت الديدان في الجـــسد فتعسرت المقاومة. إنني أخشى ألا تتحمل بنية المجتمع هذا الداء الوبيل، لأنه لا يحس

1- سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: (٦٢، ٦٣).

بالعــدو، ويظن من يقطع شريانه ويمص دمه صديقا له. وإذا عميت بصيرة المجتمع إلى هذا الحد، فقلعة الإيمان إذن في خطر، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يؤلمني.

إنني أري الرؤوس الكبيرة سادرة في الغفلة؛ فقلعة الإيمان لا تستند بأعمدة الكفر النخرة، ولهــذا أبــذل كل جهدي وسعيي في الإيمان وحده. إنني اترنم بجوهر حياة المجتمع، وبوجوده المعــنوي، وبــوجدانه وإيمانــه، وقد حصرت انشغالي في أساس التوحيد والإيمان الذي أسسه القرآن؛ إذْ إن العمود الرئيس لمجتمع الإسلام هو هذا، فإذا تزلزل ضاع المجتمع"[1].

المطلب الثاني: الصلة بالله وعمق العالم الروحي:

فمــن البدهــيات أن قوة الصلة بالله والعمق الروحي للمسلم بصفة عامة وللدعاة بصفة خاصــة، هــي الدعامــة الأولى في أخلاق الدعاة؛ فالصلة الإلهية روح ينفث الحياة، وينبض بالحــركة والقــوة، ويــشيع الضوء والدفء. وبقدر العمق الروحي للداعي، ينعكس قوله على الآخــرين؛ فكلما اقترب إلى المولى عز وجل، قرب المولى إليه حتى يكون بصره التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها؛ فيكون الله سبحانه وتعالى أساس كل حركة له، بمعنى أن حركاته كلها تجري في ظل تأييد الله سبحانه وتعالى.

وبهــذا الخلق العظيم عاش الإمام النورسي معتزا بنسبته إلى الله، لا يهون ولا يهن، ولا يعــدل بدعوته إلى الله والتبليغ عنه حقائق الإيمان والإسلام شيئا، لذلك كان أكبر من الحياة وما فــيها، وفي هذا المضمار تكفينا شهادة أحد معاصريه من المفكرين الأتراك إذ يقول: "إن "سعيد الــنور" شيخ كبير السن وذو حفظ عظيم، يلتف حوله الناس من عمر ثماني سنوات إلى ثمانين ســنة؛ أعمــارهم وعقولهم وأشغالهم شتى، لكنهم يجتمعون على شيء واحد: الإيمان بالله رب العالمين، برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وبكتابه العظيم، ونرى كل واحد منهم كمن وجد شــيئا بعــد أن ضيعه. كأن القرآن يتنزل طريا، حينما تطلع على "سعيد النور" وطلابه؛ تحس بنفــسك فــي خيــر القرون، وجوههم نور، باطنهم نور، ظاهرهم نور، وكلامهم في حضور واطمئنان.. ما أعظم السعادة في ربط الآصرة بخالق الكون العلي القدوس الدائم الحاضر الناظر ! وما أجمل السير في سبيله ! بل عشق سبيله حتى الوله !.

"ســعيد الــنور" شيخ عاصر ثلاثة عهود، وخبر حوادث الزمان.. عهود زاخرة بالتغيير والانقــلاب والانهدام و ما من شيء إلا وأصابه الهدم، غير رجل واحد ظل منتصبا، رجل قدم إلــى إستانبول من شواهق الشرق، من حيث تشرق الشمس، يحمل إيمانا راسخا كالطود، جعل

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٤، ص: (٤٩ – ٥٣).

هذا الرجل صدره المفعم بالإيمان سدا منيعا أمام أشرار العهود الثلاثة، ولم يفتأ يدعو إلى الله، ويدعو إلى الرسول، ولا إلى شيء إلا الله والرسول.

رأســـه شـــامخ كقمة جبل "آرارات" لم يطأطئه ظالم، ولم يغلبه عالم، صلب كالصخور، إرادة قـــوية عجيـــبة، ذكاء كالبرق، هذا هو "سعيد النور".. لم تثن المحاكم العسكرية والمدنية والانقلابـــات والـــثورات، ومنـــصات الإعـــدام المنصوبة له، وأوامر النفي والتغريب، رجل المعـــنويات العظيم عن طريقه.. قاوم كل ذلك بقوة وشجاعة لا نهاية لهما، نابعتان من الإيمان بقول الله تعالى في القرآن الكريم: "**وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**" [آل عمران: ١٣٩] فكأن كلام الله هذا تجلى في "سعيد النور"[1].

المطلب الثالث: الإخلاص التام:

فـــإن روح الدين، ولباب العبادة، وأساس أي داع، الإخلاص الذي هو فريضة على كل عابد وهو في محرابه الخاص، بينما بالنسبة للداعي فهو فريضة آكدة، وعقدة أوثق، وإن اتساع نطاق العمل، واشتباكه مع أحوال الناس، يجعل الداعية أحرص على استدامة ذكر الله ومطالعة وجهه، حتى لا يضل الغاية، ولا يحيد عن النهج.

وإن طـــريق الـــنور ودعوة النور هو طريق الإخلاص، الذي تناوله الإمام النورسي في رســـائل النور، ومع كثرة هذا التناول أفرد له رسالة مستقلة "رسالة الإخلاص"، التي كتب في مستهلها: "يجب أن تقرأ كل خمسة عشر يوما على الأقل"[2].

ولهـــذا أكد الإمام النورسي على أن "طلاب رسائل النور الحقيقيين يرون خدمة الإيمان فـــوق كـــل شـــيء، فحتـــى لو مُنحوا مرتبة القطبية يفضلون عليها خدمة الإيمان، حفاظا على الإخلاص"[3].

ولقـــد عمد الإمام في تربيته لطلاب النور إلى جعل الإخلاص غاية الغايات في نفوسهم وعقـــولهم، ويبين ذلك لأحدهم بقوله: "أخي العزيز الفطن؛ نحن نهرب هروبا من احترام الناس إيانـــا وتوقيـــرهم لـــنا، وحسن ظنهم بنا، وإكرامهم لنا، وإعجابهم بنا، وذلك بمقتضى مسلكنا.. فاللهاث وراء الشهرة التي هي رياء وعجب، ودخول التاريخ بفخر وبهاء، وهو عجب ذو فتنة،

1- المرجع السابق، ص: ٦٠.
2- اللمعات، مرجع سابق، ص: ٢٢٥.
3- الملاحق، مرجع سابق، ص: ٢١٨.

وحـــب الظهور وكسب إعجاب الناس، كل ذلك مناف ومخالف للإخلاص الذي هو أساس من أسس مسلك النور وطريقه"[1].

ويزيد – رحمه الله – الأمر توضيحا وترسيخا، فيقول: "بل قد جرحت أكثر من مائة مرة مشاعر طلاب النور الذين يحملون حسن ظن مفرط بشخصي.. فأنا لست المالك لبضاعة النور، بل لست إلا دلالاً ضعيفا بسيطا في حانوت مجوهرات القرآن"[2].

ويمـــتد إخلاص الإمام النورسي إلى ما بعد الوفاة، وكم من شاهد يذكر تكراره لوصيته التـــي قـــال فيها: "لقد طلبت من ربي إطالة عمري، والحمد لله رأيت كل ما تمنيته، وأرجو أن يبقـــى مكـــان وموقـــع قبري مخفيا وسرا لا يعرفه سوى اثنين أو ثلاثة من طلبتي؛ فكما كانت الهـــدايا التـــي بـــدون مقابل تؤذيني في الحياة الدنيا، فإن هناك أحوالا تصيب فيها العين، وقد أعطيت هذه العلة لأجل الإخلاص الكامل والتام لرسائل النور؛ ذلك لأن الرياء متستر هذه الأيام تحت ستار الشهرة والشرف.. يلزم ترك الأنانية كليا بالتوسل والإخلاص التام"[3].

المطلب الرابع: الصبر الجميل:

فـــإن أعظـــم مقـــياس للقـــوة والقـــدرة في طبيعة الداعي، هو الصبر وتحمل المشقات والابـــتلاءات، وإن أصـــالة الداعي تتجلى مشرقة في المحنة وآلامها، وما أجمل توجيه الإمام النورسي في قوله: "وما دمنا نعمل من أجل حقيقة هي من أهم الحقائق وأجلها، وأشدها رسوخا وثـــبوتا، ولا يمكـــن تقييمها أو تقديرها بأية قيمة مادية مهما كانت، ويهون بذل النفس والروح والـــصديق والحبيب، بل الدنيا بأسرها في سبيل تحققها، فلابد إذن من أن نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الويلات والمحن التي قد تنزل بنا، وأن نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء"[4].

وعن كون الإمام النورسي نموذجا في الصبر والتحمل، يقول أحد الشهود: "أعطى أفضل مثال للعفة والنزاهة، وصبر على جميع أنواع المكاره والمضايقات، ونذر نفسه لإظهار الحقيقة، وإظهار الأنوار القرآنية والمعارف المحمدية"[5].

1- المرجع السابق، ص: ٢٨٩.
2- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٤٦٨.
3- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٣، ص: ٧٤.
4- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٣٧٢.
5- نفسه، ص: ٦٠٩.

المطلب الخامس: الشجاعة:

إذا لم يكن الدعاة الصالحون من وضوح النية وروعة السلوك، وتألق السيرة، على النحو الرائع البارز، فهيهات أن يفوز بهم مبدأ، أو تنجح بهم فضيلة؛ لأن طبيعة الشر عنف المصدر، وحـــدة المسير، ومقتضى ذلك أن يكون الإيمان قادرا على الظهور، قادرا على الحركة، قادرا على المقاومة، شجاعا في تصرفاته جميعا.

ولهـــذا كانت الشجاعة خلقا أصيلا في الإمام النورسي، وشيمة لا تنفك عنه وهو يتقلب بين الناس، ويواجه ما يواجهه من بلايا وتحديات.

وإن مـــدد هـــذه الشجاعة التي صبغت حركاته كلها، ونبعها الدافق، اعتقاده الجازم بأن حقائـــق الإيمان يجب أن تسود، وأن هدى الله الذي عبرت عنه رسائل النور بأسلوب العصر، يجب أن يعلو، وأن طلاب النور ما ينبغي أن تخفت أصواتهم، ولا أن يغلبوا؛ لأن خصومهم في الأرض ليس لهم حظ ومهابة.

هذه الشجاعة التي تحلى بها الإمام، لم تكن قاصرة على ميدان الجهاد المعنوي السلمي، بـــل تجلت من قبل وقت الحرب العالمية الأولى، حتى قيل له إبان الحرب: "يا ملا سعيد؛ ماذا جـــرى لك ؟ فهل أنت أشجع الناس ؟ فلقد انسحبت الحكومة وانهزم الأهالي في حرب "بتليس"، ولـــم تنـــسحب أنـــت، بل ثبت وستون شخصا معك أمام العدو أيما ثبات، وقد أصابتك كل هذه المـــصائب مـــن وراء شـــجاعتك. فابتسم الأستاذ، وقال: قد فدينا أنفسنا لأجل إنقاذ الأبرياء من الناس، وتطهير الوطن من الأعداء؛ فلا أهمية تذكر للمظالم والمعاناة التي قاسيناها لأجل سعادة المسلمين"[1].

وفـــي عـــام (١٩٥٢م) "دعاه مباشرة وكيل وزير التربية الباكستاني "علي أكبر شاه" إلى زيارة باكستان ، ووعده بتخصيص محطة إذاعة ومطبعة تحت تصرفه. فأجابه الأستاذ أمام هذا العـــرض: أخي "علي أكبر شاه"؛ هذه الخدمات يجب أن تؤدى وجها لوجه؛ إن الخدمة لا تؤدى من وراء الستائر، إن العلة الرئيسية والأساسية بدأت من هنا.. حتى ولو كنت في مكة المكرمة لأتيت إلى هنا، إن الخدمة الأصلية تكون هنا، لأن الجبهة هنا"[2].

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ١، ص: (٤٢ – ٤٣).
2- نفسه، المجلد ٣، ص: ٢٤٨.

المطلب السادس: التضحية:

فإن التضحية من السمات الواضحة في شخصية الإمام النورسي، فهو قد وضع التضحية أمام عينيه من البداية، تضحية بكل الأمور المادية والمعنوية التي يتغنى بها الآخرون، تضحية غالية بلا حدود ليتنعم الآخرون، وما أعمق تضحيته ! تلك التي عبر عنها بهذا القول البليغ: "لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق سلامة المجتمع؛ فليس في قلبي رغب في الجنة ولا رهب من جهنم، فليكن سعيد، بل ألف سعيد قربانا، ليس في سبيل إيمان المجتمع التركي، بل في سبيل إيمان المجتمع الإسلامي"[1].

ويعبر – رحمه الله – عن نفس المعنى بأسلوب آخر، قائلا: "لي حياتان أعيشهما: حياة معنوية أخروية، وأخرى دنيوية، لازلت ممسكا بهما معا. أنا على استعداد للفداء بهما عندما يقتضي الأمر، ليتجنبني الذين يملكون حياة واحدة"[2].

المطلب السابع: الإيثار والحذر من الأنانية:

لأن طريق الدعوة النورية يقتضي ترك الأنانية، والمحافظة على الإيثار والإخلاص، وبتعبير الإمام النورسي: "إن مسلكنا ينحصر في هذا الوقت في خدمة الحق وحده وترك الأنانية كليا، ولا يحصل بغير ذلك قطعا، وقد اقتنعنا بهذا قناعة تامة. كما أن نفسي الأمارة منذ عشرين سنة، اضطرت إلى الرضوخ إلى هذا المسلك. نحن مكلفون في كل الأحوال بالمحافظة على الإخلاص الذي هو مسلكنا وطريقنا"[3].

المطلب الثامن: الهمة العالية، والغيرة على الدعوة:

فلقد كان الإمام النورسي يؤدي دعوته النورية بهمة عالية في جوٍّ مفعم بالعشق، لدرجة أن الدعوة النورية كانت شوقه الدائم وعشقه لا يبتغى عنها عوضا، وينقل إلى طلاب النور هذه الهمة مع الغيرة على دعوة النور، معلما إياهم بقول واضح: "إخوتي الأعزاء؛ اعلموا يقينا أن الوظيفة التي ينشغل بها طلاب رسائل النور، مسألة أجل وأعظم من أعظم مسائل الكرة الأرضية قاطبة، فلا تفتروا في مهمتكم الباقية، ملتفتين إلى مسائل دنيوية مثيرة للاهتمام، اقرؤوا كثيرا المسألة الرابعة من رسالة الثمرة، كيلا تخور عزائمكم وتضعف قوتكم المعنوية"[4]

1- سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٤٥٧.
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٢، ص: ٦٦.
3- نفسه، مجلد ٤، ص: ٣٣٣.
4- الملاحق، مرجع سابق، ص: ٢٤٧.

ويبـــين لهم ملامح الغيرة المحمودة على تلك الدعوة المباركة تلك الغيرة الإيجابية التي تتطلب الإدراك بأنه: "لابد أن نحصر أوقاتنا وجميع قوتنا واهتمامنا، في وظيفتنا المقدسة، ولابد أن نعـــد كـــل ما هو خارج عنها أمورا لا تعنينا بشيء، فلا نضيع وقتنا بها؛ لأننا نملك النور وحـــده، لا المطـــرقة والصولجان، فلا يبدر منا تعدٍ على حقوق أحد قطعا، ولكن إذا ما اعتدى علينا، نظهر النور ونبينه. فنحن في حالة نوع من دفاع نوراني"[1].

وعـــندما يـــشفق عليه أحد طلابه مما يقوم به من أعمال كثيرة، ويطلب منه أن يستريح قليلا، ويعمل هو مكانه، فيقول له: "أخي؛ إن همتي وغيرتي لا تسمحان لي بالقعود وأنت تعمل أمامـــي؛ فلو عرفت ما في الغيرة والهمة من خير، لكنت تقضي عمرك كله دون أن تخلد إلى الراحة، فما كانت لتفوتك دقيقة فارغة"[2].

المطلب التاسع: الرحمة والشفقة:

فالدعـــوة الـــنورية قامت على الرحمة وانطلقت من الشفقة بكل أبعادها ومدلولاتها، وإن رســـائل النور التي "هي من المعجزات القرآنية، وسلاح ضد أعداء الدين والحركات الإلحادية، تقـــوم بإصـــلاح النفوس والأرواح المتحطمة تحت تأثير الحركات الإلحادية، وبروح معنوية، ودعم إيماني كبير، وإسناد عظيم"[3].

ولمـــا كان القرآن الكريم قد حصر رسالة النبوة الخاتمة، وحدد هدفها بقوله تعالى: "**وَمَا أَرْسَـــلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**" [الأنبياء: ١٠٧]، فإن الإمام النورسي، أوضح بسلوكه العملي قبل القولـــي، أن العالمين لا تقتصر على عالم الإنسان، وإنما تتجاوز إلى العوالم الأخرى جميعها؛ فالمخلوقات على تنوعها عضويا ووظيفة، منشأها وأصلها واحد؛ فهي متجانسة متآخية مترافقة بأصل المنشأ.

ومـــن هـــنا، فـــإن الرحمة والشفقة تشمل كل الكائنات والمخلوقات إضافة إلى الإنسان، فالـــرحمة هـــي أعلى درجات السمو والرقي والتعاطف والحنو والرأفة والإحسان، وهي منبع صفات وخصائص الخير جميعا، وهي غاية الدعوة النورية وقاعدتها في نفس الوقت، كما أنها معـــيار السلوك الراقي عند طلاب النور، ذلك السلوك المثير للاقتداء، والذي يحول دون القسوة

1- نفسه، ص: ٢٤٨.
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ١، ص: ٨٥.
3- نفسه، المجلد ٣، ص: ٣٥.

والجفـــاء؛ فهـــا هو شاهد ممن تأثروا بهذا السلوك في حياة النورسي يقول: "كان الأستاذ شديد الشفقة والرأفة بالأحياء، فلم أره طول حياته، يؤذي حيوانا حتى النمل"[1].

ويـــتعجب من شدة شفقته ورحمته بالحيوان، فيضيف: "عندما نذبح ذبيحة، يقول الأستاذ لنا: ضعوا ما لا تحتاجونه من اللحم في موضع كي تأكله الحيوانات"[2].

ويحدثـــنا آخـــر عـــن هذه الرحمة العالية عند الإمام، فيقول: "كان الأستاذ رحيما شفيقا بالمخلـــوقات جميعا، لا يرضى لنا طرد الذباب من الغرفة إلى الجو البارد في الخارج، ويقول: إن هـــذه الحشرات على وشك الفناء قريبا، لم يبق من أعمارهم الكثير، إنهم أصدقائي في هزيع الليالي"[3].

وما أبلغ الدرس العملي الذي تلقاه أحدهم ! وما أروع تعليم الإمام له ! يقول المتعلم الذي قتل سحلية: قال الأستاذ:

- هل تعرض لك هذا الحيوان ؟، فأجاب: كلا.
- هل أخذ منك شيئا ؟، فأجاب: كلا.
- أأنت ترزق هذا الحيوان ؟، فأجاب: كلا.
- هل تجول هذا الحيوان في أملاكك ؟، فأجاب: كلا.
- أأنت الذي خلقته ؟، فأجاب: كلا.
- من قال لك اقتله ؟! إن في خلق هذه الحيوانات ألفا من الحكم الربانية، أنت يا أخي قد أخطأت في قتل هذا الحيوان"[4].

المطلب العاشر: الأمل والثقة في تأييد الله:

فلقـــد كـــان الأمل باعث العمل على نشر الدعوة النورية عند الإمام النورسي، بل مُولِّد الـــتلذذ بالخدمة الإيمانية، وموقظ الطباع المختلفة؛ لتنشط ببذل المزيد من الجهد لإعلاء حقائق الإيمان.

ومع الأمل تتعانق الثقة في تأييد الله، تلك الثقة التي هي روح التوكل على الله في الدعوة إليه سبحانه. ملأت هذه الثقة كيان الإمام النورسي، حتى أمن في نفسه وعقله ووجدانه من فوت

1- نسه، المجلد ١، ص: ٩٦.
2- نفسه، ص: ٨٧.
3- نفسه، ص: ٢٤٦.
4- نفسه، ص: ٩٣.

ما قدره الله من نصرة دعوة النور، وطلاب النور؛ فظفر – رحمه الله – بروح الرضا مع عين اليقين، ولطف الصبر.

ولقد عمد الإمام النورسي إلى تعميق ذلك في نفوس طلابه، بمثل قوله: "يا أولادي لا تقلقوا أبدا؛ فإن رسائل النور قصمت ظهر أعداء الدين والماسونيين، إن رسائل النور منتصرة دائما"[1].

وكثيرا ما يرسخ هذه السمة باعثا الطمأنينة في نفوس طلابه، قائلا: "يا أخي؛ لا تخافوا أبدا؛ لقد قصم ظهر الكفر، إنني أهنئك، سيشع نور الإسلام بعد الآن إن شاء الله؛ لقد تهدمت الشيوعية واللادينية"[2].

ويضيف – رحمه الله – مؤكدا: "أخي؛ ن خدمة صغيرة في سبيل النور ستعطي نتائج كبيرة، وإن خدمتنا مقدسة، وفي سيل خدمة الإيمان، لا يأخذن منكم التعب والملل والإحباط"[3].

ولنتأمل معالم هذا الأمل الواثق، ولنستشعر أحاسيس الثقة اليقينية في تأييد الله، ولنصغ إلى كلمات الاستبشار المشرقة، في هذا الحوار الذي دار بين الإمام النورسي، وشرطي روسي: "قال الشرطي الروسي: إنني أحار من فرط أملك – رد الأستاذ: وأنا أحار من عقلك ! أيمكن أن تتوقع دوام هذا الشتاء ؟ ! إن لكل شتاء ربيعا، ولكل ليل نهارا.

- قال الشرطي: لقد تفرق المسلمون شذر مذر.

- رد الأستاذ: ذهبوا لكسب العلم؛ فها هو الهندي الذي هو ابن الإسلام الكفء يدرس في إعدادية الإنجليز، وها هو المصري الذي هو ابن الإسلام الذكي يتلقى الدروس في المدرسة الإدارية السياسية للإنجليز، وها هو القفقاسي والتركستاني اللذان هما ابنا الإسلام الشجاعان يتدربان في المدرسة الحربية للروس. فيا هذا؛ إن هؤلاء الأبناء البررة النبلاء، بعدما ينالون شهاداتهم، سيتولى كل منهم قارة من القارات، ويرفعون لواء أبيهم العادل، الإسلام العظيم، خفاقا ليرفرف في آفاق الكمالات، معلنين سر الحكمة الأزلية المقدرة في بني البشر رغم كل شيء"[4].

1- نفسه، مجلد ٣، ص: ٨٢.
2- نفسه، ص: ٣٢٩.
3- نفسه، ص: ٣٤٢.
4- نفسه، المجلد ٤، ص: ٥٠.

المطلب الحادي عشر: التسامح والعفو:

فالإمـــام النورسي كان سمحا في جميع أطواره، عفوا عن قدرة، حليما عن عمق روح، واسع الصدر، صاحب آفاق ممتدة في النظر، وفي فس الوقت ليس عنده أدنى تنازل عن دعوة النور، ولا يقبل المهادنة مطلقا.

فهـــا هـــو يقول لعريف أمسك بتلابيبه: "لو كنت أريد الانتقام لانتقمت خلال ساعتين من الذين يسومونني العذاب، ولكنني لإرضاء الله تعالى أجاهد وأعمل لإنقاذ إيمان هذه الأمة"[1].

بـــل كـــان – رحمه الله – "يمتنع من الدعاء على أعدائه، لما تمتع به من شعور إنساني عـــال، وصـــفة الـــرحمة والشفقة التي تتصف بها شخصيته الإنسانية، بل يدعو ربه أن يكون الإيمان من نصيبهم"[2].

ويبـــرر الإمـــام النورســـي هذا الأمر لمن يستغرب عليه ذلك، فيقول: "لما كانت الشفقة دســـتور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلك رسائل النور، فإنني لا أتجنب التعرض للمجـــرمين الـــذين ظلموني وحدهم، بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم، وذلك لكي لا أتـــسبب فـــي إلحاق الضرر بأي شخص بريء"[3]. وكان كثيرا ما يقول لطلابه بخصوص من آذوهم: "إنني سامحت الذين آذوني، أنتم كذلك سامحوهم"[4].

المطلب الثاني عشر: مداومة العبادة والدعاء:

فلقـــد كانـــت المداومة على العبادة والدعاء، وصفا ملازما للإمام النورسي، لا يقل عن أوصافه الأخرى؛ لأنه لا يترقب تأثير كلامه في المخاطب، ونفوذه إلى قلبه إلا من الله تعالى.

ولقد اهتدى كثيرون بالدعاء والتضرع القلبي، لذا كان الدعاء هو الحصن الحصين الأول والأخير للإمام – رحمه الله – ويؤكد على ذلك ما رواه الشهود الأواخر بأن "حياته كانت تجري ضـــمن نظـــام دقيق يغطي كل أربع وعشرين ساعة من يومه؛ كان دائما يحافظ على تسبيحاته وأذكـــاره الليلية وصلوات التهجد، وينتظر الأسحار وهو منهمك في الذكر والدعاء، وكانت له ســـاعة مـــن الزمن وكأنه يتهجد مع كل ذرات هذا الكون. أما حياته في النهار، فكانت تجري بانتظام بين الحاجات الإنسانية،،القراءة والتصحيح، واستقبال الزوار، والتدريس"[5].

1- نفسه، ص: ٩٠.
2- نفسه، مجلد ٣، ص: ٣٥٣،
3- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٤٣٩.
4- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ٤، ص: ٧٠.
5- نفسه، مجلد ٤، ص: ٢٥.

المطلب الثالث عشر: رهافة الحس:

فـــإن الإمـــام النورســـي أحب الإنسان وأشفق عليه، وحزن لآلامه، وتألم لشقائه؛ فدعاه للارتقاء بفكره ومشاعره وطموحاته إلى معاني الخلود والأبدية، وألا يكون سليب الدنيا بضيقها ومحدوديتها، وحثه على رؤية فساد نفسه، وفساد العالم من حوله، وأن يتبصر في ذاته، لأن هذا التبـــصر هو الخطوة الأولى في تبصره للعالم الواسع، مما يجعل قواه العقلية في حركة دؤوب، ومـــع حركتها تتحرك قواه وتتجدد نحو الأفضل، ويلخص أحد طلابه ذلك بقوله: "لقد كان قلبه الـــرحيم يبكي ألما وشفقة أمام آلام البلد والأمة، وعلى الرغم من كل أنواع الغدر والإهانة التي تعـــرض لهـــا، فإنـــه لم يتخل عن إيفاء وظيفته لإسعاد من حواليه، وعلى الرغم من شيخوخته وبؤســـه، إنـــه بذل جهودا مضنية، وناضل بكل قوة في سبيل الله تعالى، لإنقاذ الناس من غيابة الجهل ومن لجة الإلحاد"[1].

المطلب الرابع عشر: المنطق والواقعية:

فلقد تميز الإمام النورسي بالمنطقية في تقييمه للأحداث، وفي تفهيمه مخاطبيه؛ فهو دائما ينـــزل مـــنازلهم ومـــستوى مـــداركهم، ومـــن ثمَّ يقنعهم بحديثه، وبخاصة أن كلامه وأطواره وتصرفاته منطقية ضمن حدود المعقول والواقع؛ فلقد كان – رحمه الله – "يكلم مخاطبيه حسب قابلـــياتهم ومـــستوياتهم، وكان الجميع يخرجون من عنده برضا تام وقناعة كاملة"[2]. فإذا وجد بعـــضهم قلقا بسبب عدم الفهم الكامل، يطمئنهم قائلا: "إن الرسائل تخاطب الناس كافة، اعتبارا من الإنسان الأمي وإلى مستوى الفلاسفة؛ يكفيكم ما تفهمونه من الحقائق من الأمثال المضروبة؛ فـــإن الذي يدخل بستان فاكهة التفاح يكفيه ما يحصل عليه من متناول يده من الفاكهة، وطوال القامـــة يحـــصلون على التفاح من أعلى الأغصان؛ لا تحزنوا لما لا تستطيعون فهمه، حتى أنا بحاجة إلى رسائل النور"[3].

المطلب الخامس عشر: مراجعة النفس:

فـــإن الوعـــي بالذات، وإدراك معنى الالتزام بالإسلام وحقائق الإيمان، ومحاسبة النفس ومـــراجعة واقعها، من السمات المميزة للإمام النورسي، تلك السمات التي أوقفته وقفة مراجعة متأنية ينتفع بها قلبه وعقله وفكره، بعدما دخل عزلة خرج منها سعيدا الجديد، ولنطالع مراجعته تلـــك مـــن قـــوله: "كـــان سعيد القديم، قبل حوالي خمسين سنة، لزيادة اشتغاله بالعلوم العقلية

1- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٦١١.
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٢، ص: ٣٧٣.
3- نفسه، المجلد ٤، ص: ١٣٤.

والفلـــسفية، يتحرى مسلكا ومدخلا للوصول إلى حقيقة الحقائق، داخلا في عداد الجامعين بين الطـــريقة والحقيقة. وكان لا يكتفي بالحركة القلبية وحدها – كأكثر أهل الطريقة –بل جهد كل الجهـــد أولا لإنقـــاذ عقلـــه وفكره من بعض الأسقام، التي أورثتها إياه مداومة النظر في كتب الفلاسفة.

ثم أراد بعد أن تخلص من هذه الأسقام، أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة، المتوجهين إلى الحقيقة بالعقل والقلب، فرأى أن لكل من أولئك العلماء خاصية جاذبة خاصة به، فحار في ترجيح بعضهم على بعض.

فخطـــر على قلب ذلك السعيد القديم الممخض بالجروح، ما في مكتوبات "الإمام الرباني" من أمره له غيبا: "وحّد القبلة"؛ أي إن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلا، وإن توحيد القبلة إنمـــا يكون بأستاذية القرآن فقط، فشرع بإرشاد من ذلك الأستاذ القدسي، بالسلوك بروحه وقلبه على أغرب وجه، واضطرته نفسه الأمارة بشكوكها وشبهاتها إلى المجاهدة المعنوية والعلمية. وخـــلال ســـلوكه ذلك المسلك، ومعاناته في دفع الشكوك، قطع المقامات وطالع ما فيها، لا كما يفعلـــه أهل الاستغراق مع غض الأبصار، بل كما فعله الإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي، مع فتح أبصار القلب والروح والعقل، فسار فيها – أي في المقامات – ورأى ما فـــيها بتلك الأبصار كلها، منفتحة من غير غض ولا غمض. فحمدا لله على أن وفق على جمع الطـــريقة مـــع الحقيقة بفيض القرآن وإرشاده، حتى بيّن برسائل النور التي ألفها "سعيد الجديد" حقيقة: وفي كل شيء له آية. تدل على أنه واحد.

لقـــد كـــان في سياحته وسلوكه ذلك السلوك في تلك المقامات ساعيا بالقلب تحت نظارة العقـــل، وبالعقل في حماية القلب، كالإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي؛ فبادر إلـــى ضماد جراحات قلبه وروحه، وخلص نفسه من الوساوس والأوهام، وبخلاصه منها انقلب سعيد القديم إلى سعيد الجديد.

وبيّن ذلك المسلك في غضون نصف قرن من الزمان في "رسائل النور" التي لم تقتصر على جهاد النفس والشيطان، بل أصبحت شبيهة بمجموعة كلية واسعة تنقذ الحيارى المحتاجين"[1].

1- المرجع السابق، المجلد ٤، ص: ٨ – ٩.

المطلب السادس عشر: الوعي العلمي، والفقه الشامل:

فلقد كان الإمام النورسي مستبحرا في الكتاب والسنة، دارسا للتاريخ الإسلامي والإنساني معـــا، ملمـــا بقـــسط محتـــرم من علوم الكون والحياة، وبذلك امتلك النظرة الصائبة، والخطوة الـــسديدة، والتفكيـــر الرياضي المنظم، والوعي العلمي الدقيق والمنطقية في فهم المقدمات وما يترتب عليها من نتائج.

هـــذه الحـــصيلة العلمـــية والمعرفية، إضافة إلى العقلية الناقدة البصيرة، أعطى الإمام النورسي وعيا علميا دقيقا، وفقها شاملا عميقا لكل شؤون الحياة، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أولا: فقـــه الـــتعامل مـــع المسائل الاجتماعية: فعند افتتاح جامعة "أرضروم" اهتم الإمام النورســـي بالأمر اهتماما كبيرا، وأظهر في رسالته إلى رئيس الجمهورية التركية، مدى فقهه الواعـــي بالمسائل الاجتماعية، والسبيل إلى إصلاحها، الممتزج بالحكمة الراشدة في الخطاب، وحـــسن التوجـــيه، فيقول: "إن رئيس الجمهورية "جلال بايار"، في خضم هذه المسائل السياسية المهمـــة للغاية، يضع أمور هذه الجامعة الشرقية في المقدمة، ويوافق على صرف ستين مليون ليرة، بشكل مذهل ومثير، على هذه الجامعة، ويصدر قانونا خاصا لتسهيل الأمور المتعلقة بها، ويتولى شخصيا تقديم الخدمات الجليلة والمهمة جدا لهذه الجامعة الإسلامية، مما يمنحه الشرف العظـــيم، معتبـــرا نفـــسه بمثابة أحد أساتذتها، كل هذه الاعتبارات جعلت الأساتذة والأئمة في المنطقة الشرقية يكنون له الشكر والامتنان. وهو كذلك عندما يعطي أهمية خاصة لهذه الجامعة التـــي هـــي بمـــثابة الحجر الأساس، وحصن الإسلام والأمان الأول في الشرق الأوسط، رغم انغماسه في خضم المسائل السياسية الشائكة. فإن هذه المؤسسة سوف تسهم حتما في أداء أجل الخـــدمات للـــوطن والدولة والأمة، وسيكون تدريس العلوم الدينية الأساس في التعليم في هذه الجامعـــة؛ لأن القـــوة التي في الخارج هي لتخريب المعنويات، وأمام هذه التخريبات المعنوية، لابد أن تقف قوة معنوية هائلة، هي بمثابة قنبلة نووية معنوية، لتتمكن من إيقافها عند الحد.

ولمـــا كـــان من ألزم الأمور الوقوف على رأي واستشارة رجل صرف أكثر من خمس وخمسين سنة من عمره في سبيل هذه المسألة، وبكل دقائقها وتفاصيلها ومتابعتها لنتائجها، وكما نعلـــم حتمية الوقوف على رأي واستشارة الجهات في أوربا وأمريكا، يكون من المحتم والمؤكد استشارتي وأخذ رأيي أيضا، وهذا من حقي؛ ننتظر ذلك منكم باسم جميع أهل الحمية في الأمة"[1].

1- المرجع السابق، المجلد ٣، ص: (٥٥ – ٥٧).

ثانيا: فقه التعامل مع الواقع السياسي:

لما كانت دراسة الواقع السياسي وفقه التعامل معه، تعين على تشكيل المستقبل في الشكل الـــذي ينسجم مع حقائق الإيمان والإسلام، وتساعد على رسم الدور المأمول للأمة، فإن الإمام النورسي قد ترك لنا تجارب حية رائدة في ذلك المجال المتشابك الشائك، ومن ذلك:

١- **واقعـــية الـــسياسة الـــشرعية**: قال له أحد طلابه: "لنقم نحن بتأسيس حزب ونترأس هذا الحـــزب. فأجابـــه الأستاذ: لو قال لي اليوم رئيس الجمهورية "جلال بايار"، تعال يا سعيد واجلـــس هـــنا، لرفضته بشدة؛ إذا لم تبلغ نسبة المتدينين في مجتمع ٧٠%، فمن الجريمة اســـتلام الإدارة باســـم الإســـلام. إذا لم يكن الموظفون والنواب منكم، لحصل ضرر كبير للإســـلام؛ عليـــنا معاونة "مندريس"ومساعدته بكل قوتنا، لكي لا يرجع حزب الشعب إلى الحكم مرة أخرى. إن خمسة وتسعين بالمائة من حزب الشعب من الأبرياء، الذنب في نسبة الخمسة بالمائة"[1].

٢- **رفـــضه لقيام حزب باسم الإسلام**: فلقد قامت مجموعة من أهل التدين بالشروع في تكوين حزب "الأمة"، لكن الإمام النورسي لم يكن يرغب في حزب "الأمة" أو غيره، خشية التفرقة والتناحر وإحداث الصراعات داخل المجتمع، وقد كتب حول هذا الموضوع قائلا: "إذا كان الهـــدف والأســـاس هو اتحاد الإسلامية والقومية والوطنية الإسلامية، والتي امتزجت فيها مفهوم القومية التركية، مُشكِّلة أمة واحدة، فإن هذا كائن في معنى الديمقراطية، ويتطلب بل ويتوجب الالتحاق بالديمقراطيين المتدينين؛ لقد نشر الغرب وأوربا داء العرقية والعنصرية والقومية بين العالم الإسلامي، لكي يفتت العالم الإسلامي ولما كان هذا الداء يملك الجاذبية والإغـــراء والتـــشويق، فإلـــى جانب أضراره ومخاطره العديدة، يجد كل شعب وأمة فيه الاشتياق والرغبة جزئيا أو كليا"[2].

٣- **الأخـــذ بقاعدة أهون الشرين سياسيا**: فعندما سئل الإمام النورسي: "لمن نعطي أصواتنا يا أســـتاذ ؟ أجاب: الديمقراطيون يقطعون الإصبع، أما حزب الشعب الجمهوري فيقطع اليد، وطلبة النور يصوتون للديمقراطيين باعتبارهم أهون الشرين"[3].

1- نفسه، ص: ٢٥٠.
2- المرجع السابق، المجلد ٤، ص: ٣٧.
3- نفسه، المجلد ٣، ص: ٦٢.

٤- **إبطال المكائد السياسية**: فلقد قال الإمام النورسي لأحد الشهود الأواخر: "يا أخي، إن أهل الضلالة يقصدون إحداث الفرقة بيننا وبين حكومة الديمقراطيين؛ فلو جاؤوا إليّ الآن – يقصد الديمقراطيين – لمددت لهم ذراعي لتكبيلهما دون تردد"[1].

٥- **استثمار جهود المخالف سياسيا**: فعندما حضر إلى الإمام النورسي نائب من حزب الشعب الجمهوري، مبديا استعداده الانسحاب من الحزب لو طلب منه الإمام ذلك، إلا أن الإمام النورسي طلب منه قائلا:"كلا، لا تنسحب، وقف مانعا أمام أعداء الدين من نواب حزب الشعب، وقم بالدفاع عنا هناك"[2].

٦- **عدم إيذاء مشاعر الآخر السياسي**: فلقد كان الإمام النورسي يقول لأفراد حزب الشعب الجمهوري الذي يأتون إليه: "ليس لكم ذنب يما يحصل، إنما يتحمل رؤساء الحزب مسؤولية تبعات الجرائم والمآسي التي ارتكبوها"[3].

ثالثا: فقه المصلحة:

المصلحة هي الوسيلة للصلاح، أو الأمر المفيد والصالح والخير. والمصلحة باعتبارها مصدرا للاجتهاد، وردت في عهود الإسلام الأولى حينما ورد القياس والرأي، وهي في مجال الدعوة إلى الله مصدر من المصادر التبعية المستقلة من مصادر الأدلة الشرعية؛ حيث إن المصلحة مصدر يحقق فائدة العباد، ويتحرى في خيرهم وصلاحهم، فمقامها مهم في الحياة الدينية، وأهم في حياة الدعوة إلى الله.

وإن الحق تبارك وتعالى، أنزل الأحكام لحماية الدين، والنفس والمال والعقل والنسل، وبهذا يتم الاحتجاج للمصلحة في أصول الفقه.

ولقد أولى الإمام النورسي "المصلحة" عناية خاصة، تجسدت في العديد من المواقف، منها قوله لمن أنكر عليه عدم إطلاق اللحية: "إن إطلاق اللحية سنة نبوية، وليست خاصة بالعلماء، وقد نشأت عديم اللحية في وسط أناس تسعين بالمائة منهم لا يطلقون لحاهم. هذا وإن الأعداء يغيرون علينا دائما، وقد حلقوا لحى بعض أحبائي؛ فأدركت عندها حكمة عدم إطلاق اللحية، وإنه عناية ربانية؛ إذ لو كنت مطلقاً اللحية وحلقت، لكانت رسائل النور تتضرر ضرراً بالغاً، حيث كنت لا أتحمل ذلك فأموت"[4].

1- نفسه، المجلد ٤، ص: ٣٥١.
2- نفسه، المجلد ٣، ص: ٦٣.
3- نفسه، ص: ٦٣.
4- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٣، ص: ٦٥.

ومـــن هذا الموقف نلاحظ مراعاة الإمام النورسي للمقاصد والمصلحة؛ فإطلاق اللحية من تحسينيات حفظ الدين، بينما سلامة الدعوة أمر حاجي، وكذلك سلامة النفس أمر ضروري، فتقدم الضروري والحاجي على التحسيني عند التعارض بينها.

رابعـــا: فقه التجديد في الحركة بالدعوة: فمـــن المعروف أن الحركة بالدعوة تعني القدرة على الاختلاط بالناس بتحرك إيجابي، وعمل تنفيذي يجسد محبة الناس، وحب خدمتهم، والقدرة على التأثير فيهم، وجذبهم نحو الخدمة الإيمانية.

وهذه الحركة بالحقائق الإيمانية والأخلاق الربانية جسدها الإمام النورسي وطلاب النور نمـــاذج حـــية، تعطي صورة صادقة للدعوة والحركة ضد الجمود، ومع التجديد الملائم للمكان والزمان، وهذا ما صنعه الإمام النورسي بعد عام (١٩٥٣)، كما يقص أحد الشهود قائلا: "يدخل الأستاذ في مرحلة جديدة، يغير من قواعده التي لم يكن من قبل يقبل بتغييرها؛ فلقد حدث تغيير مهـــم في طرز معيشة الأستاذ؛ باشرنا بدراسة رسائل النور جماعة، وبدأت الساعات الصباحية مـــن الـــدروس، وظهرت على الأستاذ حال من التحرك، ووافق على القيام بطبع رسائل النور بالحروف الجديدة (اللاتينية)، وعلى الآلة الطابعة أولا، ثم جهاز الاستنساخ"[1].

خامـــسا: فقه درء الفتن: فبناء على قاعدة دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة، وإذا عمت الـــبلوى وجـــب التيسير، نجد الإمام النورسي يحرص على إغلاق أي منفذ تنفذ منه الفتنة، من ذلك:

١- "قال له الأخ طاهري يوما: اليوم عيد في البلاد العربية. فأجابه الأستاذ ومؤشرا إلى التقويم المعلق: إنني أعتمد وأعمل طبقا لما يجري في تركيا، وإنني إذا عملت حسب تقاويم الدول الأخرى، فقد فتحت إذن بابا للفتنة، أو أصبحت أنا وسيلة لها"[2].

٢- "قـــال لأحـــد المنتقدين لشخص مسلم: إن إيمان الإنسان مثل جبل أحد، وسيئاته مثل أحجار الحـــصى، فمهما كانت سيئات الإنسان وقصوره، ينظر إلى إيمانه إن كان مؤمنا، ولا ينظر إلى أخطائه، وينتقد لأجلها"[3].

٣- حـــدث مرة خصام بين اثنين من أئمة المساجد، وعندما سمع الإمام النورسي الخبر، "ذهب إلـــى أحدهما، وقال له: سمعت بحصول نزاع بينك وبين الحافظ كوننلي، وإنه حافظ حقيقي للقرآن، سأذهب وأعتذر منه بالنيابة عنك.

1- المرجع السابق، ص: ٣٢.
2- نفسه، ص: ٣٨.
3- نفسه، ص: ٢١١.

وهنا أخذ الحافظ نوري بالبكاء، وقال: يا أستاذي لا داعي لذهابكم أنتم، أنا سأذهب إليه وأصالحه، وهكذا تم إصلاح ذات البين"[1].

سادسا: فقه الواقع بكل مكوناته: فإن الفقيه الكامل ليس ذلك الذي يفقه النص وحده، وإنما مـــن يفقه مع النص الواقع بكل جوانبه، وهذا كان حال الإمام النورسي في العديد من المواقف التي ذكرها الشهود الأواخر، ومنها:

١- **أزمـــة العقـــل المسلم**: فإن ما يؤكد قمة إدراكه ومحاكمته للأمور، قوله للعديد من طلابه: "إنني لا أتهم قلوبكم، وإنما أتهم عقولكم"[2].

٢- **فقـــه التعامل مع المكائد**: فقد نبه الإمام النورسي طلابه في أكثر من مناسبة إلى ما ينبغي التـــزود بـــه للـــتعامل مـــع كيد الكائدين، ومكائد المتربصين، فيقول لهم: "الآن، لا يكفي الإخـــلاص الكبيـــر المطلق، ولا الصدق الكامل، ولا حتى التضحية التامة؛ بل يجب أخذ الحذر التام تجاه هؤلاء الأشخاص الذين هم مثال الشياطين"[3].

٣- **إدراك فريـــضة الوقت**: فلقد بيّن لطلابه حقيقة مهمة ترتبط بالزمن الذي يعيشه الناس، وما يقتضيه من وجود شخصية معنوية جامعة، قائلا لهم: "هذا الوقت، هو زمن الجماعة، وليس زمـــن الأشخاص، ومهما كان الشخص على درجة عالية من الذكاء والدهاء، وإذا لم يكن فردا ضمن جماعة، فإن مصيره الخسارة والمغلوبية أمام الشخصية المعنوية للجماعة"[4].

٤- **الـــتعامل مع المناسبات القومية**: "خرج للتنزه يوم "نوروز"، وفي الحقول قال لطلابه: هذا يوم عيد المخلوقات. ثم قام بإطعام الكلاب السائبة قطعا من الخبز وهو يقول: إن الربيع هو عيد المخلوقات، لنشارك نحن أيضا المخلوقات في عيدهم"[5].

٥- **واقـــع الأكـــراد**: فيرشـــد الإمام النورسي إلى كيفية استثمار هذا الواقع قائلا: "إن الأكراد موجـــودون ويقيمون في إيران والعراق وسوريا وتركيا، وإذا ما أخذوا بالهوية الإسلامية وتقـــبلوها، فـــسيكونون وســـيلة للاتحـــاد الإسلامي، وبذلك يصبحون سببا لتحقيق الوحدة الإسلامية، وليس عنصرا للتجزئة والتفرقة"[6].

1- نفسه، ص: ٢١٢.
2- المرجع السابق، المجلد ٤، ص: I.
3- نفسه، ص: ٧.
4- نفسه، ص:٥٢.
5- نفسه، ص: ٢٧٣.
6- نفسه، ص: ٢٥٧.

٦- **واقـــع المرأة المتفرنجة**: فإن الإمام النورسي لخّص توصيفه لعلة هذا الواقع بقوله: "إن الـــرجال هم المذنبون الحقيقيون في خروج النساء بهذه الأوضاع الفاضحة؛ لأنهم يتعاملون معهـــن بمنتهـــى التساهل والتدليل والتسيب، وهذا ما يؤدي إلى تحكمهن والتصرف بحرية مطلقة، وعمل ما يشان"[1].

٧- **أولـــوية الأمـــن والاســـتقرار**: فإن الإمام النورسي، هذا الرجل الذي لم يحن رأسه لأكبر الجـــبارين الفـــراعنة العـــتاه، محتفظا بالعزة الإسلامية، نراه من أجل الحفاظ على الأمن والاســـتقرار الداخلـــي، يلين ويصبر أمام رجل الشرطة العادي، ويبدي الاحترام؛ لكي لا يكون سببا في إثارة القلاقل، وانتشار الفوضى في أرجاء الوطن، قائلا: "إن التوسل بإخلال الأمن الداخلي يتسبب في وقوع الأذى على تسعين بالمائة من الناس، بسبب الجناة الذين لا يتجاوز نسبتهم عشرة بالمائة؛ لذا على قراء رسائل النور الحفاظ على الأمن وليس الإثارة"[2].

ســـابعا: **فقـــه التآلف وقواعده**: لما كان تحقيق التآلف بين المسلمين عامة، وطلاب النور خاصـــة، يصنع منهم نسيجا واحدا متسقا ملائما، قادرا على مواجهة متغيرات الحياة، والتعامل معهـــا أحسن ما يكون التعامل، فإن الإمام النورسي أولى هذا الجانب اهتماما عمليا، يتجلى فيما وضـــعه من قواعد تحققه، تلك القواعد تمثل ترجمة رائعة لفقه الإمام العملي الشامل، وسنرى بعض جوانبه فيما يلي:

١- إذا قـــيل لـــه: "إن فلانـــا يقـــول كذا.. يبادر قائلا: لقد أخطأتم في الفهم؛ إن ذلك الشخص صـــديقي، وصـــديق رسائل النور، ولن يقول مثل هذا الكلام و أنت تسبب في الفرقة بيني وبين أخي"[3]

٢- حـــرص الإمـــام النورسي على أن لا يدخل في مواضع الخلافات وإثارة التفرقة، وكل ما يـــضر بالتآزر، ويجاهد بكل ما يستطيع في سبيل التوحد والتكاتف؛ لذا كان لا يخوض في التفرعات التي تخرج عن ما يتفق عليه المؤمنون من أصول مشتركة لا يختلفون عليها"[4].

٣- قـــال أحد طلاب النور للإمام النورسي: "يا أستاذي؛ إنني لا أفهم أمرا، الا وهو أن بعض علمـــاء الدين المؤمنين يعادوننا. فقال الإمام: يا أخي، إنهم لا يفهموننا ويظنوننا نريد موقعا

1- نفسه، ص: ٢٧٣.
2- نفسه، المجل ٣، ص: ٦٨.
3- نفسه، ص: ١٠٤،
4- انظر: المرجع نفسه، المجلد ٢، ص: ١٢٣.

معنويا، إنني أدعو لهم بالخير، أما الاعتراضات الموجهة إلينا من أحبابنا، فهي تقودنا نحو التيقظ والانتباه"[1].

٤- عــندما أرسل شيخ الإسلام "مصطفى صبري" كتابا له، آملا من الإمام النورسي أن يجعله ضمن كليات رسائل النور، قال الإمام لمن جاء بالكتاب ومن معه: "لقد أرسل شيخ الإسلام "مصطفى صبري" من مصر أحد كتبه، ولكن لا يمكن نشره ضمن مجموعة كليات رسائل الــنور، رغــم طلبه ذلك، لأن هناك نقاط اختلافات عديدة ضمن كتابه، وإنما سمة رسائل الــنور هــي الاتفاق، ولا مكان فيها لنقاط الاختلاف. بلغوا إليه تحياتي الكثيرة، وعلى كل حال فإن كتابه وموقعه على قمة رأسي، قولوا له هذا الكلام تماما وبحذافيره"[2].

٥- وضــع الإمــام النورسي لطلابه قواعد التآلف مبينا ثمارها المرجوة، فقال: "إن الإخلاص والجــلادة التي لديكم، سبب كاف لدفعكم إلى التسامح مع التقصير الذي تجدونه من بعض إخــوتكم، والــستر عليهم رغم الضيق الكبير؛ إن الأخوة الحاصلة من سلسلة رسائل النور حــسنة عظيمة، بحيث تمحو ألف سيئة، وحيث إن العدالة الإلهية يوم الحشر ترجح الحسنة على السيئة، فلهذا يجب التمسك بالعفو والمحبة لنيل الرضا، وإلا أصبحت الحدة والعصبية أمــام ســيئة صغيرة، ظلما على الطرفين – وإن شاء الله – تتعاونون فيما بينكم في مجال المسرات، وتقضون على المصاعب والمحن بشكل كامل. فإن القضاء تماما على المصاعب والضيق لهو سلوى حقيقية:

الأول: قلب الضيق إلى رحمة بحقنا.

الثاني: الرضا والتسليم والفرح أمام عدالة القدر.

الثالث: الفرحة الخاصة من العناية التي خص بها طلبة النور.

الرابع: اللذة من زواله لكونه مؤقتا وليس بالدائم.

الخامس: حسنات هامة.

السادس: عدم التدخل في الأفعال الإلهية.

السابع: أقل ضرر وأدنى درجة من المتاعب والمشقات أمام أشرس الهجمات.

الثامن: أخف ضرر من بين بقية المصابين بالأضرار.

التاسع: الفرح والسرور النابع من الإعلانات الرفيعة النابعة لدى الخروج من الامتحان القاسي.

1- نفسه، المجلد ١، ص ١٧٩.

2- نفسه، المجلد ٣، ص: ١٢٩.

تــسعة مــن السرور المعنوي، لا يماثله أي علاج أو دواء في تسكين الآلام ومعالجة الجروح و وبشكل لا يوصف؛ إنها تسكن آلامنا القاسية"[1].

1- المرجع نفسه، ص: ٩٨.

الفصل السابع: من عدة الداعية

لقد عاش الإمام النورسي وفيا للحق الذي تتضمنه دعوة النور، وظل قائما على أمر هذا الحـــق، يواجه المبطلين أجمعين بهذا الحق الذي يحيا به، ويعيش فيه، ويدعو إليه الناس، غير متهـــيب في ذات الله بطش ذي سلطان؛ فهو – رحمه الله – يعامل ربه قبل أن يعامل عباده أيا كانوا.

والإمام النورسي في حركته بالدعوة إلى حقائق الإيمان، يملك عدة متينة متوازنة مؤثرة فاعلـــة، شاعرا بحيوية الدعوة في أعصابه، وتوهجها في ضميره، وانطلاقها في دمائه؛ تمنعه من الراحة والدعة، وتشغله بها عن نفسه، مندفعا بصدقه وإيمانه بدعوته، التي تصبغ جوارحه ونظراته، وحركاته وإشاراته؛ فينفذ كلامه إلى القلوب محركا العواطف، وباعثا الحياة في الفطر السليمة.

ومـــن خلال ما تناولناه في الفصول السابقة، يمكننا أن نحدد عدة الداعية في حياة الإمام النورسي فيما يلي:

المطلب الأول: العقلية الواقعية التصويرية:

تلـــك العقلية التي تنطلق من الفهم الدقيق القائم على تدبر معاني القرآن الكريم، وإطالة النظر فيها، وترديدها والوقوف عندها، والتغلغل في مراميها ومقاصدها؛ فإن الله عز وجل أنزل كتابه ليتدبر الناس آياته، لا لمجرد أن يتلوه بلا فهم ولا تدبر؛ "**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**" [ص: ٢٩]، "**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**" [محمد: ٢٤].

ولقد ادرك الإمام النورسي أهمية ذلك منذ صباه وشبابه المبكر، وتأكد لديه منذ استجابته لإشـــارة "الإمـــام الربانـــي" الغيبية بتوحيد القبلة، وذلك لأن القرآن وتدبره يعرف المسلم بربه وخالقه، وطريق الوصول إلى رب العالمين، وما أعده الله للمستجيب لنداء القرآن من الكرامة، إذا ما قدم عليه يوم القيامة.

وفـــي المقابـــل؛ فإن هذا التدبر القرآني يعرّفه ما يدعو إليه الشيطان وحزبه، والطريق الموصلة إليه، وما ينتظر المتبع لدعوة الشيطان من الإهانة والعذاب السرمدي. وبالفعل استطاع الإمـــام النورســـي أن يركز جهده وانتباهه في مخاطبة القلب والعقل، عارضا الحقائق الإيمانية والمعانـــي الـــربانية عرضـــا عمليا محسوسا بأسلوب تصويري، يبث الحياة في القلب، وينشر الحركة في العقل، ومن هذه الأساليب والوسائل التي استخدمها لتحقيق ذلك:

أولا: القـــصة والحكايـــة: فالقـــصة تمتاز بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض الأشخاص وحـــركاتهم، وأخلاقهـــم وأفكـــارهم، واتجاهات نفوسهم، وبيئتهم الطبيعية والزمنية، حتى لكأن السامع يراهم رأي العين، ويسمع منهم سمع الأذن، ويعاشرهم ويعيش بينهم.

كما تمتاز الحكاية بأن النفس تميل إليها؛ فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارع"[1].

ومن هنا كانت القصة خير الوسائل التي توسل بها الإمام النورسي لإبلاغ حقائق الإيمان إلـــى أعمـــاق القلوب، مبينا أن "سبب إيراده التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل، رســـائل الـــنور، هـــو تقـــريب المعاني إلى الأذهان من ناحية، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإســـلامية ومدى تناسبها ورصانتها من ناحية أخرى، فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها، والتي تدل عليها كناية. فهي إذن ليست حكايات خيالية وإنما حقائق صادقة"[2].

ونعـــرض – علـــى ســـبيل المثال – مطلع حكاية قصصية من هذه الحكايات، تاركين عرضها لكلمات الإمام النورسي: "إن رمت إيضاح أمر الحشر وبعض شؤون الآخرة على وجه يلائم فهم عامة الناس، فاستمع معي إلى هذه الحكاية القصيرة:

ذهـــب اثـــنان معا إلى مملكة رائعة الجمال و وإذا بهما يريان أن أهلها قد تركوا أبواب بيوتهم وحوانيتهم ومحلاتهم مفتوحة لا يهتمون بحراستها.. فالأموال والنقود في متناول الأيدي دون أن يحمـــيها أحـــد. بـــدأ أحدهما – بما سولت له نفسه – يسرق حينا، ويغصب حينا آخر، مرتكبا كل أنواع الظلم والسفاهة، والأهلون لا يبالون به كثيرا.

فقال له صديقه: ويحك ماذا تفعل ؟ إنك ستنال عقابك، وستلقيني في بلايا ومصائب؛ فهذه الأمـــوال أموال الدولة، وهؤلاء الأهلون قد أصبحوا جنود الدولة أو موظفيها، ويستخدمون هذه الوظائـــف ببزتهم المدنية، ولذلك لم يبالوا بك كثيرا. اعلم أن النظام هنا صارم، فعيون السلطان ورقـــباؤه وهواتفه في كل مكان. أسرع يا صاحبي بالاعتذار وبادر إلى التوسل.. ولكن صاحبه الأبله عاند قائلا: دعني يا صاحبي، فهذه الأموال ليست أموال الدولة، بل هي أموال مشاعة، لا مالك لها، يستطيع كل واحد أن يتصرف فيها كما يشاء، فلا أرى ما يمنعني من الاستفادة منها، أو الانتفاع بهذه الأشياء الجميلة المنثورة أمامي، واعلم أني لا اصدق بما لا تراه عيناي.. وبدأ يتفلسف ويتفوه بما هو من قبيل السفسطة، وهنا بدأت المناقشة الجادة بينهما، وأخذ الحوار يشتد؛

1- للمزيد: البهي الخولي، تذكرة الدعاة، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط٨ (١٩٨٧م)، ص: (٤٤ – ٦٢).
2- الكلمات، مرجع سابق، ص: ٤٧.

إذ ســـأل المغفل: وما السلطان ؟ فأنا لا أعرفه فرد عليه صاحبه: إنك بلا شك تعلم أنه لا قرية بـــلا مختار، ولا إبرة بلا صانع وبلا مالك، ولا حرف بلا كاتب، فكيف يسوغ لك القول: إنه لا حاكم ولا سلطان لهذه المملكة الرائعة المنتظمة المنسقة؟"[1].

ثانـــيا: ضـــرب الأمثال: والمثل قول واضح موجز حكيم، ينتصب صدقه في العقول، فيألفه الـــناس ويجري بينهم؛ فضرب المثل إنما هو تشبيه حالة ما بأقرب الأمثال شبها بها، وأكثرها مماثلـــة لهـــا، وهو تشبيه يحدث في النفس حركة التفات بارعة، يلتفت بها الإنسان من الكلام الجديـــد إلى صورة المثل المأنوس، فيلمح ما بينهما من التشابه أو التطابق، فلا يلبث أن يتلقى الأمـــر الجديـــد بمـــزيد من القبول والارتياح، ويجري ذلك كله في أقل من لمح البصر. وهذه الحركة النفسية البارعة لها ما لسائر الحركات من تجديد وتنشيط[2].

ولذلك، فلا عجب من أن نجد المئات من الأمثال مبثوثة في رسائل النور، ومن ذلك، ما يـــضربه الإمـــام النورسي في حديثه عن الاشتراك في الأعمال الأخروية، فيقول: "ولنفهم هذا بمثال: اشترك خمسة أشخاص في إشعال مصباح زيتي، فوقع على أحدهم إحضار النفط، وعلى الآخر الفتيلة، وعلى الثالث زجاجة المصباح، وعلى الرابع المصباح نفسه، وعلى الأخير علبة الكبريت. فعندما أشعلوا المصباح أصبح كل منهم مالكا لمصباح كامل، فلو كان لكل من أولئك المـــشتركين مرآة كبيرة معلقة بحائط، إذن لأصبح منعكسا في مرآته مصباح كامل، مع ما في الغرفة، من دون تجزؤ أو نقص.

وهكـــذا الأمر في الاشتراك في الأمور الأخروية بسر الإخلاص، والتساند بسر الأخوة، وضـــم المساعي بسر الاتحاد ، إذ سيدخل مجموع أعمال المشتركين، وجميع النور النابع منها، سيدخل بتمامه في دفتر أعمال كل منهم"[3].

ثالـــثا: مقابلـــة الحقائق المغيبة بأحوال دنيانا العملية: فالإمام النورسي حين يتكلم عن الخيـــر والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر، والحشر والحساب، إلى غير ذلك من الحقائق التي ريب فيها وفي وجودها، يعرضها عرضا يلمس بها القلوب لمسا بأن يختار مما يقابلها من أحوال دنيانا العملية، فيعرض الحقيقة وشبهها.

وليس هذا النوع من قبيل ضرب الأمثال، وإن كان هو والأمثال والحكايات والنظر إلى صـــور المعنويات، يمثلون وسائل رئيسية في عرض الحقائق الإيمانية في رسائل النور، إلا أن

1- انظر الحكاية كاملة في: الكلمات، مرجع سابق، ص: (٤٨ – ٥٩).
2- تذكرة الدعاة، مرجع سابق، ص: ٦٦.
3- اللمعات، مرجع سابق، ص: ٢٤٨.

ضـــرب الأمـــثال خاص بتشبيه حال المعنويات بحال تناسبها من الواقع، أما هنا فمقارنة بين أمور واقعة فعلا في عالم لا نراه، وبين أمور شبهها بعض الشبه تقع في عالمنا المنظور، مثل قول الإمام النورسي: "شخص سخي كريم ذو شفقة ورأفة، أعد ضيافة جميلة للفقراء المحتاجين، فبـــسط ضـــيافته الـــضخمة على إحدى سفنه الجوالة، واطلع عليهم وهم يتنعمون بإنعامه تنعما بامتـــنان، تـــرى كم يكون ذلك الشخص الكريم مسرورا فرحا، وكم يبتهج بتنعم هؤلاء الفقراء وتلذذ الجياع منهم، وثنائهم جميعا عليه، يمكنك أن تقيسه بنفسك.

وهكذا فالإنسان الذي لا يملك ملكا حقيقيا لضيافة صغيرة، وليس له من هذه الضيافة إلا إعـــدادها وبـــسطها، إن كـــان يستمتع وينشرح إلى هذا القدر لدى إكرامه الآخرين في ضيافة جـــزئية، فكـــيف بالذي تنطلق له آيات الحمد والشكر، وترفع إليه أكف الثناء والرضا بالدعاء والتضرع من الجن والإنس والأحياء كافة، الذي حملهم في سفينة ربانية جبارة، تلك هي الكرة الأرضية، ويسيّرها فيسيح بهم في عباب فضاء العالم، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، داعيا جمـــيع ذوي الحـــياة إلى تلك الضيافة، التي هي من قبيل فطور بسيط بالنسبة لما بسط في دار الـــبقاء، التـــي كل جنة من جنانه كسفرة مفروشة أمامهم، مشحونة بكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعـــين، أعدها لعباده الذين لا يحصون وهم في منتهى الحاجة، وغاية الشوق إلى لذائذ لا تحد إشباعا للطائف لا تحد، ليتناولوا من تلك الضيافة الحقيقية، وليتنعموا تنعما حقيقيا في زمن خالد أبـــدي. فقـــس بنفسك على هذا ما نعجز عن التعبير عنه من المعاني المقدسة للمحبة، والتعابير المنزهة لنتائج الرحمة المتوجهة إلى الرحمن الرحيم "[1].

رابعـــا: النظـــر إلـــى صـــور المعنويات: فإن الإمام النورسي أبدع في النظر إلى صور المعـــنويات، ونقـــل معانـــيها التجـــريدية، إلى آثارها وأوصافها المحسوسة، ونتائجها وثمارها الملموســـة، فهـــا هو – رحمه الله – يجسد قيمة أداء الصلاة لوقتها، قائلا لطلابه: "لكي ندرك عظمـــة الصلاة وروعتها في وقتها، وكونها معينا لا ينضب، ورأس مال ثمين؛ فلنفكر في هذا المـــسجد العظـــيم الذي يسمى العالم الإسلامي، وقيام المئات من الملايين بالوقوف في الصلاة جماعة، يدعو كل فرد من هذه الجماعة لعموم المصلين؛ يقرأ: "**اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**" ويكون شفيعا للجماعة بأكملها، ويدعو لهم أيضا.

إن الذي لا يشارك في تلك اللحظات، لا يتسلم حصته، وكما أن العسكري الذي لا يحمل صـــحنه، ويذهب لاستلام حصته من الأكل، لا يحصل على نصيبه؛ فإنه لن يستطيع أخذ نصيبه

1- الكلمات، مرجع سابق، ص: (٧٤٤ – ٧٤٥).

مـــن الطعام الذي تم إعداده في المطبخ المعنوي للجماعة الكبرى، بينما الذي يصلي في وقته، ويشارك جيش الجماعة، ويردد "آمين" لدعائهم، يستطيع بلوغ هذا المرام"[1].

خامـــسا: النظـــر فـــي الآفاق: فلقد دأب الإمام النورسي على التأمل في آفاق الكون، وحث طلابـــه علـــى أن ينظروا إلى كل ما أمامهم في الآفاق، نظرتين في نظرة واحدة طويلة؛ نظرة العـــين الباصرة التي ترى الصفحة الخارجية الصماء، ونظرة العين الباطنة البصيرة التي تنظر إلى ما في الآفاق على أنه فعل فاعل، هو الرب الرحمن الرحيم، فترى العين مع القلب والعقل الوجـــود الممتد، كتاب الله المنشور المنظور، وهذه الكائنات العجيبة التي تملؤه هي سطور حية نقرأ فيها قدرته سبحانه وتعالى، وعلمه وحكمته، وكرمه ووده وبره.

كمـــا بين الإمام النورسي أنه من جميل تقدير الله، أنه جعل مطالعة هذا الكتاب ميسورة للعـــالم والجاهل، والقارئ والأمي، فما على الإنسان إلا أن ينظر ويسمع ويحس، ثم يفكر فيما وقـــع علـــيه حسه في إطار نسبته إلى الخالق عز وجل؛ فإن هذا التفكير يشهد في معالم الصنع ودلالاته الكثير من العبر والآثار الدالة على معاني صفاته جل شأنه، فيثير في القلب إحساسات رقـــيقة، وينفـــتح له الملكوت الفياض بالروحانيات، فيهتز القلب وتخشع النفس، وتفيض العين ويـــستنير الطـــبع، ويـــصبح الإنسان قبضة من نور الله عز وجل، موصولا به بمشاعر ساجدة خاشعة، راجية محبة، مفعمة بأسباب الفهم والمعرفة.

هذه المعاني العظيمة وغيرها مبثوثة في رسائل النور، وبخاصة رسالة "التفكر الإيماني الـــرفيع، والمعرفة التوحيدية السامية"، التي يقول – رحمه الله – في مقدمتها: "لقد امتزج قلبي بعقلـــي مـــنذ ثلاثة عشر عاما، ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن المعجز البيان، كقـــوله تعالـــى: "**لَعَلَّكُـــمْ تَتَفَكَّرُونَ**" [البقرة: ٢١٩]، "**لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**" [الأعراف: ١٧٦]، "**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**" [الروم: ٨]، "**لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**" [الروم: ٢١] وأمـــثالها من الآيات التي تحث على التفكر، مثلما يحث عليه حثا عظيما الحديث الشريف، كقوله صلى الله عليه وسلم: "تفكر ساعة خير من عبادة سنة"[2].

ولـــم يـــتوقف الإمام النورسي عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى المسلك العملي مع طلابه؛ "فعـــندما يتجول في المروج الممتدة، يطالع ويتصفح كتاب الكائنات الكبير حوله، ويقول لطلابه أثـــناء الـــتجوال: اقـــرؤوا أنتم كذلك أيها الشباب من هذا الكتاب الأعظم للكون والخلق.. فهذه

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٣، ص: ٥٩.
2- اللمعات، مرجع سابق، ص: ٤٥٦.

حيوانات صدوقة مخلصة.. إن جريهم وعواءهم دليل على صدقهم.. ما شاء الله ! انظروا إلى كمال وجمال هذا الخلق، إنه لا يقل عنكم في جمال الصنع"[1].

سادسا: الالتفات إلى الآثار: فمن الأساليب والوسائل التصويرية العقلية التي مارسها الإمام النورسي، الوقوف على الآثار ومواضع الذكريات، وقوف الحي المنتبه ذي الوجدان المتحرك اليقظ؛ فيناجي الآثار، ويستخبرها ما فعل الليل والنهار، ويكلف خياله أن ينصب سرادق الحياة الماضية وأن يقيم معالمها، ومن خلال استنطاقه للآثار يخاطب طلابه بأن أصحابها مضوا إلى غايتهم، وهم أشد ما يكونون تعلقا بالحياة، وأنهم كما سافروا لا محالة مسافرون، فيحثهم على التزود بتقوى الله، ويحذرهم من ضدها. ففي يوم قال لطلابه وهم بين القبور: "إن شواهد هذه القبور الحجرية توجه لنا التحذير مثل المعلمين، يعطون لنا دروسا وعبرا، وكأن لسان حالهم يقول لنا: ستأتون أنتم أيضا"[2].

المطلب الثاني: الحياة الروحانية الاجتماعية:

فلقد كان الإمام النورسي ذا حياة روحانية عالية، أساسها الإيمان العميق بالله تعالى، والتيقن الجازم التام بعظمة الإسلام، والحرص الجاد على اتباع مسلك النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا الإيمان انعكس عليه انعكاسا إيجابيا تحقيقيا بنّاء؛ فتعلق بالله وتوكل على الله، متيقنا أن الله عز وجل هو المنفرد بالخلق والتدبير، والضرر والنفع، والمنع والعطاء، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وإن الطريق الذي سلكه الإمام النورسي لتحقيق تلك الحياة الروحانية الاجتماعية الربانية، هو أقصر الطرق، بل أقرب الطرق إلى الله تعالى؛ فهو "طريق العجز والفقر والشفقة والتفكر.. نعم إن العجز كالعشق طريق يوصل إلى الله، بل أقرب وأسلم، إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية.

والفقر مثله يوصل إلى اسم الله "الرحمن". وكذلك الشفقة كالعشق موصل إلى الله تعالى، إلا أنه أنفذ منه في السير وأوسع منه مدى، إذ هو يوصل إلى اسم الله "الرحيم".

والتفكر أيضا كالعشق، إلا أنه أغنى منه وأسطع نورا وأرحب سبيلا، إذ هو يوصل السالك إلى اسم الله "الحكيم".

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٣، ص: ٥١.
2- نفسه، ص: ٣٦.

والمقــصود بالعجــز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله سبحانه، وليس إظهاره أمام الناس.

أمــا أوراد هــذا الطريق وأذكاره، فتنحصر في اتباع السنة النبوية، والعمل بالفرائض، ولاسيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبها، وترك الكبائر.

وأما خطوات الطريق، فهي أربع خطوات:

الخطــوة الأولــى: كما تشير إليها الآية الكريمة: "**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ**" [النجم: ٣٢]، وهي: عدم تزكية النفس؛ ذلك لأن الإنسان حسب جبلته، وبمقتضى فطرته، محب لنفسه بالذات، بل لا يحب إلا ذاته في المقدمة، ويضحي بكل شيء من أجل نفسه، ويمدح نفسه مدحا لا يليق إلا بالمعبود وحــده، وينزه شخصه ويبرئ ساحة نفسه، بل لا يقبل التقصير لنفسه أصلا، ويدافع عنها دفاعا قويا بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمده سبحانه وتقديسه إلى نفــسه، فيصيبه وصف الآية الكريمة: "**مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**" [الفرقان: ٤٣] فيعجب بنفسه ويعتد بها؛ فلابد إذن من تزكيتها، فتزكيتها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تزكيتها.

الخطــوة الثانــية: كمــا تلقنه الآية الكريمة من درس: "**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُــسَهُمْ**" [الحــشر: ١٩]، وذلك: أن الإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها، فإذا ما فكر في الموت صــرفه إلــى غيره، وإذا ما رأى الفناء والزوال دفعه إلى الآخرين، وكأنه لا يعنيه بشيء، إذ مقتــضى الــنفس الأمارة أنها تذكر ذاتها في مقام أخذ الأجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدة، بينما تتناســى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف. فتزكيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة هــي: العمل بعكس هذه الحالة، أي عدم النسيان في عين النسيان، أي نسيان النفس في الحظوظ والأجرة، والتفكر فيها عند الخدمات والموت.

الخطــوة الثالثة: هي ما ترشد إليه الآية الكريمة: "**مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَــيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**" [النساء: ٧٩]، وذلك: أن ما تقتضيه النفس دائما أنها تنسب الخير إلى ذاتها، ممــا يــسوقها هــذا إلى الفخر والعجب؛ فعلى المرء في هذه الخطوة أن لا يرى من نفسه إلا القــصور والــنقص والعجز والفقر، وأن يرى كل محاسنه وكمالاته إحسانا من فاطره الجليل، ويتقــبلها نعما منه سبحانه، فيشكر عندئذ بدل الفخر ويحمد بدل المدح والمباهاة؛ فتزكية النفس في هذه المرتبة هي في سر الآية الكريمة: "**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**" [الشمس: ٩]، وهي: أن تعلم أن كمالها في عدم كمالها، وقدرتها في عجزها، وغناها في فقرها إلى الله.

الخطوة الرابعة: هي ما تعلمه الآية الكريمة: "**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**" [القصص: ٨٨]، ذلك: لأن النفس تتوهم نفسها حرة مستقلة بذاتها، لذا تدعي نوعا من الربوبية، وتضمر عصيانا حيال معـــبودها الحق، فبإدراك الحقيقة الآتية ينجو الإنسان من ذلك وهي: كل شيء بحد ذاته وبمعناه الاســـمي: زائـــل، مفقود، حادث، معدوم، إلا أنه في معناه الحرفي، وبجهة قيامه بدور المرآة العاكـــسة لأســـماء الـــصانع الجليل، وباعتبار مهامه ووظائفه: شاهد، مشهود، واجد، موجود. فتزكيتها في هذه الخطوة هي معرفة: أن عدمها في وجودها ووجودها في عدمها، أي إذا رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجودا، فإنها تغرق في ظلمات عدم يسع الكائنات كلها. يعني إذا غفلت عـــن مـــوجدها الحقيقي وهو الله، مغترة بوجودها الشخصي، فإنها تجد نفسها وحيدة غريقة في ظلمات الفراق والعدم غير المتناهية. ولكن عنما تترك الأنانية والغرور ترى نفسها حقا إنها لا شـــيء بالذات، وإنما هي مرآة تعكس تجليات موجدها الحقيقي؛ فتظفر بوجود غير متناه وتربح وجـــود جمـــيع المخلوقات – نعم، من يجد الله فقد وجد كل شيء، فما الموجودات جميعها إلا تجليات أسمائه الحسنى جل جلاله"[1].

وإن هـــذه الـــروحانية التـــي عرضنا جانبا منها، من كلام الإمام النورسي نفسه، ليست روحانية فردية لا تبالي بالمجتمع وأوضاعه، وإنما روحانية اجتماعية في غاية الرقي لدرجة أن الإمـــام النورسي ضحى حتى بآخرته في سبيل تحقيق إيمان المجتمع، أي حرص كل الحرص على رضوان الله وحده دون التفكر بنعيم الجنة، فرضاه سبحانه وتعالى يغني عن كل شيء[2].

المطلب الثالث: الطبيعة الحركية الإيجابية:

فـــإن الإمـــام النورســـي قد اتصل بالحياة اتصالا يتميز بالحركة الإيجابية من أجل نشر الحقائق الإيمانية، وصياغتها أعمالا نافعة، وأوضاعا اجتماعية صالحة؛ "فلم يكن – رحمه الله – يعمـــل لنفـــسه، أو لجاه أو منصب، أو ليرتاح ويعيش برفاه، إنما لإنقاذ الإيمان من الدرن الذي أصيب به، وتصفية الشبهات والشكوك، ويجاهد في سبيل التوحد والتكاتف"[3].

وقد ظهرت هذه الطبيعة الحركية الإيجابية في عدة مظاهر، منها:

أولا: الحركة الدائبة: فلقد انبرى الإمام النورسي في أحلك الظروف؛ إذ أحجم الناس عن ذكر الحقائق الدينية الإيمانية توجسا وخيفة، فشحن – رحمه الله – جموع البشر باليقظة لما أرادوا له الغفلـــة، وأعلن الحرب على الجهل والفقر والتفرق، وزعزع أركان أنواع الأوهام التي جثمت

1- الكلمات، مرجع سابق، ص: (٥٥٨ – ٥٦٠) بتصرف يسير.
2- انظر: سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص: ٤٥٧.
3- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٢، ص: ١٢٣.

على صدر المجتمع، ومارس كفاحا على طول البلاد وعرضها، وليس في خط الدفاع فقط ضد الإلحاد وإنكار الألوهية، وإنما كذلك خنق الباطل والخرافات في إشكالاتها المنغلقة، وأبدى دوما جرأة مدنية سلبت اللباب، إعجابا في إشهار همومنا المزمنة وسبل معالجتها. خاطب بقول ندي وجد صدى في روح كل إنسان، يستوي في ذلك رجل السراي، ورئيس عشيرة في شرق تركيا، والمشيخة الإسلامية، وأركان العسكرية.

فلما خاطبهم شد إليه أنظار الناس من كل صنف، ومع أن جبلته تنفر من ذلك أشد النفور، فإن طبائع شؤونه وأموره استدعت ذلك الالتفات.

نبه الإمام النورسي كل فئة إلى ضرورة كسر الأغلال الآسرة لأفكارنا وأرواحنا، قبل سل السيوف من الأغماد، إن أردنا دوام الجهاد.. وأرشد الأجيال الفتية إلى السبل الموفية إلى الفكر الإسلامي في بشرى "الانبعاث بعد الموت". فكان يخشى ويرتعش فزعا من انقسام جغرافية الوطن وتمزقها وانكماشها، لكنه كان أشد فزعا من أمور تؤدي إلى تلك السلبيات، مثل: ضيق التفكير، وبؤس الأرواح، وتقليد الغرب، والشكلية.

لم يمل الإمام النورسي من الإصرار على القراءة والتفكير والعمل، ولم يكل من السعي لأجل إنقاذ أفراد الشعب من الفردية المتبادلة، وبناء مجتمع مثالي وشعب عامر؛ فكان يلح على "المعارف"، و"التربية والتعليم"، فيحث الضرورة على نشر المعارف والتربية والتعليم في كل مكان وبكل وسيلة.. فينبغي عنده انخراط المدارس والمساجد، والمعسكرات والدروب والمتنزهات، بل حتى السجون، في نفير التعليم العام؛ فبالمعارف وحدها تتحقق الوحدة العقلية والمنطقية؛ فالذين لا يتوحدون عقلا بعقل، ولا ينصهرون على ذلك، يعجزون لا محالة عن السير معا في طريق معين زمنا طويلا، ولا يحفظون تساندهم وتعاضدهم. فينبغي أن يتوحد الوجدان أولا، حتى تتوحد القلوب والأيدي. ووسيلة وحدة كهذه هو ضبط الحياة بضوابط الدين، وتفسير الأمور المتعلقة بالزمان حسب مدارك العصر، مع التقيد بالكتاب والسنة والاجتهادات الصافية للسلف الصالح.

وإن الإمام النورسي يبدو إنسانا بسيطا وعاديا من الناس في مظهره الخارجي لأول وهلة، لكنه يختزن شخصية راسخة قلما تتوافر في غيره، او في كل زمن، من جهة حياته الفكرية وعمله الحركي.

لقد اتصف – رحمه الله – في كل وقت بصفتين ظاهرتين؛ الأولى: صفة كونه رجل وجدان رحيب، ومثال عشق وحماس أصيل، وإنسان شهامة ومروءة عظيمة. والثانية: صفة

كــونه مفكــرا مــتوازنا غايــة التوازن، يتقدم على معاصريه أشواطا في الرأي والبصيرة، وصاحب عقل سليم ينتج خططا وبرامج شاملة[1].

ثانــيا: الحــركة بالدعــوة فــي صميم المجتمع: فإن الحركة بالدعوة النورية عند الإمام النورســي، تعنــي احتضان الإنسان للوجود كله بأصدق وأخلص القرارات، والسير من خلال المعابــر التــي فــي الوجود إلى اللانهاية، ثم إحلال دنيا الإنسان في فلك غاية الخلقة الحقيقية مستخدما الطاقة الكلية لذكائه وإرادته، بالسر والقوة التي اكتسبها من اللا متناهي.

فمــن الطبيعــي أن يكون كل تصرف منه – رحمه الله – عبادة، وكل فكر منه مراقبة، وكــل كــلام له، مناجاة وملحمة معرفة، وكل مشاهدة منه للوجود تطلع وتدقيق، ثم كل مناسبة بأهــل وطنه شفقة رحمانية؛ فلنقترب قليلا من بعض مشاهد حركته في صميم المجتمع، ننقلها عن بعض الشهود الأواخر.

١ - الحركة بين رجال الشرطة والجيش:

قال لأحد أفراد الشرطة: "وظيفة البوليس وظيفة مقدسة جدا؛ فهو يدافع عن المظلومين، ويحفظ أموال الناس وكرامتهم، ولا يترك فرصة لتفشي الظلم"[2].

وتحــدث مــع رجلين من الشرطة قائلا: "نحن ضباط وحراس المعنويات، لا ضرر منا للبلد أو الناس؛ إن الحكومة قلقة تجاهنا بدون داع.

ثــم تحدث لهما عن الإيمان والحقائق القرآنية، وأكرمهما بالحلوى، وأعطاهما نسخا من رسائل النور المخطوطة"[3].

كما كان يرعى الضباط وضباط الصف الذين يأتون لزيارته، ويظهر معهم لطفا ومعاملة خاصــة، ويتحدث إليهم عن حياته وما لاقاه، ويشرح لهم أهداف رسائل النور وغاياتها، ويؤكد كثيرا على دور الجيش، ويعتبر ساعة واحد ة من الضباط أهل الدين والإيمان، معادلا لساعات عديــدة مــن العــبادات، وأن خــدمات الــضابط المؤمن تكافأ بألف مرة، ويعتبر وقوفهم أمام الفوضوية بمثابة الجهاد المادي"[4].

٢ - الحــركة بين المتصوفة: فقد كان يخاطب من يأتون بطلب تدريسهم دروس الطريقة: "إن ســبيل رســائل النور ليس بطريقة، بل هي الحقيقة؛ نبذة من سبل ومسالك الصحابة الكرام –

1- انظر: ونحن نقيم صرح الروح، مرجع سابق، ص (٧٠ – ٧٩).
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ١، ص: ٨١.
3- نفسه، مجلد ٣، ص: ١٥٦.
4- المرجع السابق، مجلد ٤، ص: ٣٨.

رضوان الله عليهم – الآن ليس بزمن الطرق، بل إنقاذ الإيمان. إن رسائل النور – ولله الحمد – قد أدت هذه المهمة في أحلك الظروف، ومستمرة بالقيام بها، وإن دائرة رسائل النور إنما هي دائرة سيدنا علي، وسيدنا الحسن والحسين، والشيخ الكيلاني – رضي الله عنهم جميعا وتلامذتهم في هذا العصر؛ ذلك لأن الإمام علي قد أخبر عن طريق كراماته الغيبية الثلاثة عن رسائل النور، وسيدنا الشيخ الكيلاني – قدس الله سره – أخبر عن رسائل النور إخبارا قويا وشجع مؤلفها. إنني في الحقيقة تلقيت دروسي بشكل ما من "أويس القرني"، وبشكل مباشر من الشيخ الكيلاني، وعن طريق الإمام زين العابدين والحسن والحسين عن الإمام علي – رضي الله عنهم جميعا – لهذا فإن الدائرة التي نخدم ضمنها هي دائرته"[1].

٣ - الحركة بين الأطباء والمعلمين: فقد اعتاد الإمام النورسي حين يلتقي بالأطباء والمعلمين، يقول لهم: "أنا أقدر كثيرا أصحاب اثنتين من المهن؛ إحداهما: الأطباء، والثانية: المعلمين. فإن المعلمين المؤمنين يرسخون الإيمان والإسلام في أذهان الناشئين. والأطباء سلوى المعذبين في أحلك أوقاتهم"[2].

٤ - الحركة بين الأطفال: فحينما يخرج الإمام النورسي يهرع إليه الأطفال ويتزاحمون حوله، فيقول لهم: "أنتم معصومون وأبرياء، ودعاؤكم مقبول. ادعوا لي، إنني أحمل أنواع الأمراض والعلل، لكي أشفى منهم"[3].

٥ - الحركة بين العلماء الرسميين: ففي أحد الأيام يصدر شيخ الإسلام فتوى تثور حولها الشبهات، وعندما يسمع الإمام النورسي بها، "يذهب فورا إلى دار المشيخة ويطلب من حراس البوابة: بلغوا شيخ الإسلام ليأتي إليّ. وهم متعجبون من هذا الموقف في وقت كان لقاء الشيخ يتطلب إجراءات خاصة.

ويشاهد شيخ الإسلام حضور الإمام النورسي من شباك غرفته، ويقول في ارتباك: يظهر أننا أخطأنا في أمر ما.

وينزل إلى الأسفل، ويستقبل الإمام النورسي باحترام مشهود. ثم يشرح له الإمام خطأه ويرشده إلى الفتوى الصحيحة، ويصحح شيخ الإسلام فتواه ويعتذر له"[4].

1- نفسه، المجلد ٣، ص: ٦٤.
2- نفسه، ص: ١٩٠.
3- نفسه، مجلد ٤، ص: ٣١٧.
4- المرجع نفسه، مجلد ١، ص: ١٤٨،

٦ - الحركة نحو الخارج:

- **الـــدول العربية**: فلقد أرسل الإمام النورسي أحد طلبته خصيصا إلى مصر، وبلاد الشام، والعراق لنشر رسائل النور فيها[1].
- **إيـــران**: فلقد كلف أحدهم بالسفر إلى إيران، قائلا له: "قم أنت بضمان إيصال الكتب إلى إيران ليدوم الاتصال مع طلاب النور هناك. وبالفعل سافر، وقابل هناك من ساعده على توصيل الرسائل"[2]
- **الـــيابان**: وأرســـل – رحمـــه الله – مع آخر مجموعة من الرسائل والكتب إلى اليابان، وبالفعل وصل إلى طوكيو وسلمها لمجموعة من المسلمين"[3].
- **باكستان وأوربا**: يحدثنا النورسي عن ذلك فيقول: "أتاني وزير المعارف الباكتساني لأخذ قـــسم مـــن رسائل النور، وقال سأسعى لنشر هذه الرسائل النورية بين تسعين مليونا من المـــسلمين.. وعلـــى الـــرغم من الدعايات المغرضة التي يشيعها المنافقون حولنا، فإن الأنوار تنتشر في أماكن بعيدة كأوربا وآسيا، بل أعلن في ألمانيا عن مجموعة "ذو الفقار" بعد ظهورها مباشرة"[4].

ثالـــثا: تجمـــيع الطلاب لإيجاد الشخصية المعنوية: فلقد أوضح الإمام النورسي أن "هذا الزمان لأهل الحقيقة، زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية، فالـــشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه، ويصمد تجاه الأعاصير. فلأجل الحصول على حوض عظيم، ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته التي هي كقطعة الثلج في ذلك الحوض وإذابـــتها فـــيه، وإلا فـــستذوب حـــتما تلك القطعة من الثلج وتذهب هباء، وتفوت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض أيضا"[5].

ويزيد المسألة توضيحا وتوكيدا فيقول: "سيأتي زمان لا يمكن للقدرات والقوى الشخصية والجـــزئية أن تقـــاوم، وتصد هجمات أعداء رهيبين، فيبحث سعيد بحثا حثيثا عن الذين يملكون خطـــا جـــيدا ليشركهم في خدمته، فيشكلون معا آلاف الأقلام التي تحول تلك الخدمة الشخصية

---

[1]- نفسه، مجلد٣، ص: ١٩٨.
2- نفسه، ص: ٢٥٥.
3- نفسه، ص: ٢٩.
4- الملاحق، مرجع سابق، ص: ٣٤٣.
5- نفسه، ص: ١٦٣.

الجـــزئية إلى خدمة كلية عامة قوية؛ إذ يجتمعون حول تلك البذرة، بذرة النور، اجتماع الماء والهواء والنور، ويمدون تلك الشجرة المعنوية بالعون"[1].

وبالفعـــل استطاع الإمام النورسي أن يوجد هذه الشخصية المعنوية في نواتها الأولى من طلاب النور القريبين منه، والذين كانوا حوله، وتميزوا بالآتي:

١- **حراس الحقيقة والنور**: فإن الإمام النورسي بعدما أعدهم الإعداد المتميز، حملهم الأمانة، أمانة حراسة دعوة النور والحركة بها، وبيّن لهم: "إنني أرى كل واحد منكم حارسا للنور وحافظـــا لـــه؛ إذ إن أي واحـــد منكم إنما هو "سعيد" ووارث لي. ستكونون آلافا بدلا من حـــارس واحد، ستعتبرون كل رسالة أو مجموعة نورية بمثابة "سعيد" معنوي، خذوا منها دروسكم بدلا مني. لا تتضعضعوا، لا قيمة للمصاعب الفانية، لا موانع أمام محاوراتنا بأي شكل كان"[2].

٢- **طـــلاب مضحون**: لأن من قلدهم هذا الوصف أستاذهم الإمام النورسي الذي قال عنهم: "إن طلابـــي الحاليين أكثر تضحية من الذين حاربوا معي، وألقوا بأنفسهم أمام نيران الروس؛ لأن التـــضحية بالعمر كله ليس بالشيء الهين، يذهب الإنسان ويموت شهيدا إذا ألقى بنفسه أمـــام النيران، ولكن ليس من اليسير والهين أن يضحي الإنسان بشكل دائمي ومستمر؛ لذا فـــإن طلابي الحاليين أكثر فداء وتضحية من الطلاب القدماء لـــ "سعيد". ومتى ما ينكشف هذا السر في الشرق، يقوم أبناء بلدي بتقديم خدمات كبيرة لهذا الدين"[3].

٣- **أربـــاب العفة والطهارة**: هذه العفة والطهارة شهد بها أحد السجانين، بعدما شاهدها بنفسه، فـــيقول: "لا يمكـــن لهـــؤلاء الطلاب المجاهدين جهادا معنويا رائعا، أن يكونوا في موقع الخـــصم مـــع الدولة، أو أن يحملوا أفكارا هدامة تجاهها، أو تكون لهم علاقة بأمور غير مستحبة؛ إنهم أناس نظيفون أطهار، ومسلمون مخلصون، هدفهم الوحيد الحضور أمام ربهم بقلـــوب ســـليمة نقـــية، بعيدون عن أكل السحت، مستعدون للمحاسبة عن أعمالهم في هذه الدنـــيا. كانت أيامهم في السجن جميلة؛ تقام صلوات الجماعة، وتقرأ الأدعية، وكأن السجن تحول إلى مسجد، يا ليتني كنت مثلهم وعلى شاكلتهم"[4].

1- نفسه، ص: ٣٦٥.
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، مجلد ٣، ص: ٧٦
3- نفسه، المجلد ٢، ص: ١٢١.
4- نفسه، ص: ١٠.

٤- **طلاب المرحمة**: يوضح هذه السمة أحد الطلاب حين يتحدث عن الرحمة كما تلقاها عمليا مـــن أستاذه، وعايشها معايشة في العديد من المواقف معه، فيقول: "إن من علامات فقدان الرحمة، نسيان قصور الذات وغلبة النفس، والبحث عن قصور الإخوة في الدين، والتجرد مـــن محبتهم والعطف عليهم، والنظر إليهم بنظرة النقد والتقريع. إن أمثال هؤلاء الفاقدين للرحمة ضعفاء وعجزة ولو ظهروا أبطالا. أما الذين يحاسبون أنفسهم، ويبرزون نواقصهم في الوقت الذي يرون نواقص إخوانهم في الدين أمورا صغيرة تافهة، أو حتى لا يرون تلك الـــنواقص، إنمـــا ينالون رحمة الله ومغفرته؛ لأنهم مسلمون حقيقيون، ذوو أخلاق سامية وسجايا ممتازة، ويحملون في صدورهم نياشين انتاسبهم إلى أهل الدين والإيمان، هؤلاء هم الكثرة وإن كانوا قليلي العدد، كبار وإن ظهروا صغارا، أقوياء رغم ضعفهم.

إن من أجمل وأفضل الخلق، إبداء الرأفة والرحمة أثناء الغضب، وإن الذي يزرع بذور الرحمة، سوف يجمع حتما بيادر السعادة والطمأنينة"[1].

٥- **الأمـــناء علـــى استمرار المسيرة**: فإن هؤلاء الطلاب كانوا "أروع نموذج للرجال الأشداء الـــذين لم يعرفوا معنى للتعب، فهم يستحقون أن يتلقوا البشارة بأن الحبر الذي صرفوه في سبيل إعلان شأن الدعوة الإسلامية، يعادل وزنه دما من دماء الشهداء يوم القيامة"[2].

ولقد اتفق جماعة من هؤلاء الطلاب بعد وفاة الإمام النورسي، على الحفاظ على مسيرة الدعوة النورية، متعاهدين على الآتي:

"إن رسائل النور هي ملك الإسلام عموما، وبنفس الطريق والنسق الذي كان الأستاذ يقوم بـــه بنـــشر رسائل النور، يتولى طلبة رسائل النور المهمة تماما؛ رائدهم الإخلاص والتشاور، بعـــيدا عن التدخل في السياسة، ويتحرك الجميع في وجهة رسائل النور ضمن دائرة الإخلاص والأخوة والمشاورة، لا توجد عضوية أو رئيس جماعة أو ما يشابهها"[3].

1- نفسه، المجلد ٣، ص: ١٧.
2- نفسه، المجلد ٢، ص: ٦٧.
3- نفسه، ص: ١٦٢.

الفصل الثامن: أسلوب الداعية

إن أســـلوب الإمام النورسي في الحركة بالدعوة النورية، يخضع للروحانية الاجتماعية، التـــي تتحرك من أجل أن تدخل دعوة النور في كل قلب، وتعيش في كل فكرة، وتنطلق في كل ناحـــية من نواحي الحياة، وبذلك يتحدد أسلوب الحوار في عرض الدعوة النورية، بعقلية الناس الذين تتوجه إليهم الدعوة من أجل الأخذ بأيديهم إلى طريق الهداية وحقائق الإيمان، إلا أن هناك ســـمات عامة للأساليب التي استخدمها الإمام النورسي، وأهمها ثلاثة أساليب تقوم على المنطق العملي، والحس الاجتماعي، والجمع بين الأسلوب العملي والأسلوب القرآني.

المطلب الأول: الأسلوب العملي المفعم بروح المحبة والشفقة:

فإن الإمام النورسي كان حريصا كل الحرص وأشده، على أن يتحرى مراد الله ورضاه في كل حركة من حركاته الدنيوية والأخروية، ويمحص حاله بميزان الأوامر التشريعية، فيرى في كل شيء وحادثة وتبليغ من الحق عز وجل، وسيلة للسمو نحوه تبارك وتعالى.

ولقـــد بلغ – رحمه الله – هذا الأفق لأنه عاش الإسلام، وأحياه في نفسه باعتباره كلا لا يتجـــزأ، وأحب الحقائق الإيمانية من صميم قلبه، فأصبح بإيمانه وحركيته الإيمانية مرآة للحق تعالى في حركاته وسكناته، وكلامه وصمته، وكان في كل تصرفاته وسلوكياته كأنه دلال ينادي بنداءات حرى، ويدعو بدعوات شجية إلى الحق تبارك وتعالى.

ولذا، نجده يسعى إلى تعميق الصلة الروحية بينه وبين جمهور المجتمع، في علاقة محبة وإخلاص، تنبع من روحانيته المنسابة بالطهر، الفياضة بالحب، النابضة بالإنسانية، الممتدة في أعمـــاق النفس؛ فتنعكس بأسلوب عملي على الآخرين رحمة وحبا وسلاما؛ لأن ذلك يعد شرطا أساســـيا للدخول إلى قلوب الناس وضمائرهم وحياتهم؛ فإن الإنسان إذا عاش مشاعر الحب في الآخـــرين، تفاعـــل معهم في شعوره وأفكاره، مما يجعل القناعات تبدأ من الشعور لتنتهي إلى الفكر.

واســـتمع إلـــيه – رحمه الله – وهو يبرز هذه الحقيقة العملية، بقوله: "مع أنني شخص مقـــصر، فقد نذرت كل حياتي في سبيل سعادة هذه الأمة، وفي سبيل إنقاذ إيمانها، ولقد سعيت بكل جهدي للعمل برسائل النور، لكي أضحي بنفسي في سبيل حقيقة افتدتها ألوف الأنفس، وهي الحقيقة القرآنية، واستطعت بتوفيق من الله تعالى، وبفضل منه أن أتحمل شتى ضروب التعذيب، فلم أتقهقر ولم أنسحب"[1].

1- المرجع نفسه، المجلد ٤، ص: ٢٢.

المطلب الثاني: التحرك بالحس الاجتماعي الواعي:

لـــم يقـــف الإمـــام النورســـي عند حد الإحاطة بأحوال المجتمع وأوضاعه الاجتماعية والـــسياسية والاقتصادية، بل تجاوز ذلك إلى ما هو أهم، ألا وهو الحس الاجتماعي الذي تتوفر فيه المشاعر الذكية المرهفة التي تلتصق بالمجتمع؛ لتحس بكل ما في داخله من نوازع ودوافع ومؤثرات، وبكل ما يختفي وراءه من خلفيات، وما يحكمه من روابط وعلاقات، أو يحركه من أوضاع خارجية متنوعة.

وبهـــذا امـــتلك – رحمه الله – الإحساس بالكلمة قبل أن تقال، وبالحركة قبل أن تنطلق، وبالأحداث قبل أن تفرض نفسها على الواقع.

كمـــا أنه أجاد تفسير دلالات الأحداث ووجوهها، فلم يتجمد حكمه على الواقع فيما يطفو علـــى الـــسطح من علامات، بل نفذ إلى أعماق الواقع، فأمسك بجذوره، وأخذ منها الدليل الذي يختفي وراء الأحداث ويحركها من خلال الضباب.

وتبعا لما سبق، فإن الإمام النورسي ركز دعوته النورية على أساس ما يحصل عليه من دلالات، وما ينتهي إليه من استنتاجات، فيتحرك من خلال رؤية واضحة، وخطوات قوية ثابتة، تتـــسم بالانفـــتاح الواعـــي، والابتعاد عن دعوات اليأس، وعقليات السذاجة، ونظرات السخرية والاستهزاء التي ينظر بها الآخرون إليه.

لقـــد أدرك الإمام النورسي مبكرا خطورة فقدان الحس الاجتماعي، وما يترتب عليه من نـــتائج، إدراكـــا أبهر عالما كبيرا كالشيخ "بخيت المطيعي"؛ حينما أجابه بوعي صاحب الحس الاجتماعـــي المدرك لدلالات الواقع، وما تؤدي إليه من نتائج، بقوله: "إن الدولة العثمانية حاملة بدولة أوربائية وستلدها يوما ما، وإن أوربا حاملة بالإسلام وستلده يوما ما"[1].

هـــذا الحـــس الذي يجعله يحدد القوى التي تحكم الساحة وتؤثر فيها، وفي حركة دعوة الـــنور، فيـــتعاون معهـــا أو يبـــتعد عنها، فدفعه هذا الحس في مرحلة "سعيد الثالث" إلى دعم الديمقـــراطيين، وقال لمن هاجم "مندريس" رئيس حكومة الديمقراطيين: "اسكت أنت يا هذا، لا تقل هكذا عن "مندريس"؛ إنه يرغب في أداء خدمات كثيرة، ولكن هناك من يمنعه"[2].

وإن هـــذا الحـــس الـــذي جعل الإمام النورسي قوة تتفاعل مع الواقع، وتدرك متى يحق للفـــرقة المحمدية استلام زمام الحكم، فيقول للمتعجلين: "لكي تأتي الفرقة المحمدية" لتستلم زمام

1- المرجع نفسه، المجلد ١، ص: ١٤٤.
2- المرجع السابق، المجلد ٣، ص: ٢٥٠.

الحكـــم، يجب أن يصبح ستون أو سبعون بالمائة من الشعب من المؤمنين والمتمسكين بالدين بصورة حقيقية"[1].

ولذلك، فلا غرابة من تنبيه الإمام النورسي لطلابه المستمر، على ضرورة تنمية الحس الاجتماعـــي، وبخاصة في المرحلة الأخيرة "سعيد الثالث"، فيقول منبها وموجها: "في مواجهتنا عـــدد مـــن الماسونيين قاموا بعمل عكسي، وكرد فعل قلبوا دفاعاتكم الصادقة ضدكم، وخدعوا هيـــئة المحكمـــة. لذا، فإن التكلم حول هؤلاء، لا يأتي إلا بالضرر الكبير، وقد شاهدتم أنتم ذلك أيضا، كم أعطوا المعاني الخاطئة وحولوا الموضوع ضدنا، حتى إنهم لم يعطوني فرصة للقيام بتقديم دفاعي لكي لا تظهر مؤامرتهم ودسائسهم، ولكي يخدعوا الرأي العام وهيئة المحكمة"[2].

ولتحقيق هذا الحس الاجتماعي، يعطيهم – رحمه الله – الدروس العملية التي تساعد على الارتقاء بحسهم الاجتماعي، فيرشدهم قائلا: "كونوا دائما على حيطة وتيقظ، وتحركوا بتأن؛ فإنه ليس لنا أسرار، وطريقنا معروف، وإننا لا نريد غير خدمة هذا الدين"[3].

ويـــؤكد علـــى نفس الأمر بأكثر من أسلوب، مثل قوله: "التزموا جانب الحذر؛ إنني لا أتهمكـــم، ولكنكم معرضون للغفلة والخديعة. إن الحيطة والحذر مطلوب منكم أكثر من غيركم، وخاصـــة إذا مـــا بقيتم صادقين وملتزمين لطرز حياتي ومبادئي، وتمسكتم بالمضي في طريق رسائل النور"[4].

وعلـــى هـــذا الإحـــساس كـــان الإمام النورسي دائم المراجعة والتقويم لأخطاء طلابه وشـــطحاتهم، ويـــروي أحـــدهم موقفا من هذه المراجعات، فيقول: "كان الأستاذ يقوم بين فترة وأخـــرى بتلقينـــنا دروسا لتقويم أخطائنا وشطحاتنا النفسية، وضعفنا عندما يدرك ما نحن عليه، وفـــي إحدى تلك الدروس قال لنا: الآن لا يكفي الإخلاص الكبير والمطلق، ولا الصدق الكامل، ولا حتى التضحية التامة، يجب أخذ الحذر التام تجاه هؤلاء الأشخاص الذي هم مثال الشياطين"[5].

ولقـــد خشي – رحمه الله – من فقدان الحس الاجتماعي عند طلابه، مما يجعل البعض يـــندفع تحت تأثير المشاعر والانفعالات العاطفية إلى اتخاذ بعض المواقف التي توحي بنصرة الدين، ولكنها تخفي وراءها الأدواء القاتلة التي تدمر الإخلاص، وتزعزع الإيمان في النفوس،

1- نفسه، المجلد ٤، ص: ٩٥.
2- نفسه، المجلد ٢، ص: ٣٥٩.
3- نفسه، المجلد ١، ص: ١٨١.
4- نفسه، المجلد ٣، ص: ٥٧.
5- نفسه، المجلد ٤، ص: ٧.

وتهـــد الوحدة والتساند، وتقسم الناس إلى طوائف يكيد بعضها لبعض، فعبر عن ذلك بأسلوب غيـــر مباشر، في الأيام الأخيرة قبل وفاته، متحدثا إلى من حوله بحرقة وألم: "لقد قاسيت طوال حياتـــي من الآلام والعذاب، وتعرضت إلى مظالم، ولكنني أخفيتها جميعا في صدري. لم أسمح أن يكـــون ديني ومقدساتي آلة بيد السياسيين، كما لم أقبل أن يجعلوا الجواهر الإلهية وأنوارها الـــربانية مـــثل قطع الزجاج الدنيوية، آلة بأيديهم وألعوبة لسياساتهم، ولم أسمح أن تداس تحت الأرجل.. إنهم ينوون إيقاعي في دسائس السياسة ومستنقعها في أواخر عمري، وأنا على أبواب القبر. وا أسفاه !"[1].

وبعـــد وفاته – رحمه الله – يقع بعض الطلاب فيما حذر منه أستاذهم من خطورة غياب الحـــس الاجتماعي في الحركة بالدعوة النورية، والانخداع بدسائس السياسة. فقد شارك بعضهم فـــي تشكيل حزب سياسي، وحينما عرض الأمر على أحد الطلاب الفاقهين الواعين، لم يقدم أية تنازلات تمس حركة دعوة النور، وأخذ يتحرك بين طلاب النور يفهمهم دروس دعوة النور من رســـائل الـــنور فيقول له البعض: "يا أخي؛ أليس هؤلاء مسلمين ؟ أليسوا إخوة لنا ؟ ويجيبهم: هـــؤلاء لم يستطيعوا فهم الأستاذ؛ إنهم يشتتون طلبة النور، دون أن يدركوا أو يعلموا، ويسببون في وقع الضرر الكبير جدا.

إن الـــذين يحاولون بث التفرقة بين طلبة رسائل النور، لا يعرفون دستور رسائل النور، ينظـــرون إليـــنا من خلال السياسة. إن سياستنا تنحصر في عدم تمكين حزب الشعب من الفوز واســـتلام الحكم، مستعملين أصواتنا، وفي نفس الوقت عدم فسح المجال لانقسام الأمة. لقد تلقينا دروســـنا هذه من أستاذنا.. كان الأستاذ لا يلتفت إلا للنور، ويقول إن الثبات والقوة في مسلكنا هذا يأتي بالإخلاص التام، هذا الثبات جعل الإخوة صامدين أمام العديد من المعوقات والمشاكل، بحـــيث اصـــبح الـــشخص البالغ ثلاثين عاما من العمر يتفوق على من هم تجاوزوا الستين أو الـــسبعين من الأولياء. نحن مكلفون باتباع ما سمعناه أو شاهدناه من أستاذنا؛ لنتحاشى فتح سبل جـــيدة، وسيفهمنا أولئك إن شاء الله. إنهم لا يقرؤون الرسائل الأخيرة للأستاذ، وإذا ما قرؤوها فسيدركون ويفهمون مضامينها، وإذا لم يفهموها، فهم إذن لا يريدون فهمها"[2].

1- نفسه، صد: ٣٦٨.
2- نفسه، المجلد ٣، ص: ١١٥.

المطلب الثالث: الجمع بين الأسلوب العملي والأسلوب القرآني:

لمـــا كانـــت رســـائل النور " سلاحا ماضيا في هذا العصر تخاطب مفاهيم هذا الزمان، مظهـــرة طـــرزا من الحلول توافق متطلباتها، متأتية من الفيض والإلهام القرآني، الذي يتوجه مباشـــرة لتقديم مفاهيم القرآن الكريم الحكيم بأسلوب عصري يتلاءم مع المتطلبات الحديثة"[1]، فإن الإمام النورسي اهتم بالأسلوب اهتماما بالغا، لما له من دور في نجاح الدعوة أو فشلها؛ من حـــيث انـــسجامه مع المؤثرات، وابتعاده عن السلبيات،وتجسيده لحقائق الإيمان، ولهذا استمد – رحمه الله – الأسلوب من واقع الإيمان ونظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان، خصائصه المميزة في مرونة الحركة وحيويتها، التي تأخذ لكل موقف ما يناسبه، انطلاقا من مفهوم الحكمة الذي أمرنا به في الدعوة إلى الله "**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**" [النحل: ١٢٥].

وعلـــى هـــذا، فـــإن الإمـــام النورسي تحرك بدعوة النور وفق أسلوب قائم على الجهاد المعـــنوي، الذي سبيله الإقناع القائم على الحصافة، وإحسان العظة والاحتجاج، وأن دعاة النور هـــم أصـــدق الـــناس قليلا، وأشرفهم طريقا، وأن دعاة النور هم أصدق الناس قيلا، وأشرفهم طـــريقا، وأن عملهم المستمد من وحي الله، وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، إنما هو تيسير لأسباب السلامة في الدنيا والآخرة، والعمل على إطفاء الفتن العاجلة والآجلة؛ فهم يعلنون بقوة: "واجبنا ليس إثارة الفوضى والحركات السلبية، نحن اتخذنا شعار العمل الإيجابي البناء، ونجاهد ضد الفوضى والفساد، ونحن حراس معنويون للأمن والنظام"[2].

ويـــؤكدون: "إن مبادئـــنا واضحة صريحة، وردت في رسائل النور، ولم يثبت علينا أية تهمـــة، كالإرهاب أو التوسل إلى إجراءات وفعاليات تخل بالأمن والنظام. لم يصب أي أحد أي ضـــرر كـــان من سعيد النورسي أو من الرسائل، بل بالعكس أصبحنا وسيلة للهداية والالتزام بالمبادئ، وإنقاذ الأنفس الضالة، وتثبيت الحقائق القرآنية في النفوس والأذهان"[3].

ولمـــا كانت دعوة النور في أسلوبها العملي تبني ولا تهدم، وتجمع ولا تفرق، وتضم من علامـــات الخيـــر ما يصلها بأهل الأرض عن طريق المعايشة السلمية، إن لم يكن عن طريق الاقتناع الحر؛ فإن الإمام النورسي أكد بالأسلوب العملي ذاته على تثبيت الأسس الحافظة للحياة الاجتماعية، قائلا: "رسائل النور في نظرتها للحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس

1- نفسه، ص: ٣٥.
2- نفسه، المجلد ٤، ص: ٣٥٧.
3- نفسه، صد: ٣٥٥.

الخمسة وتحترمها احتراما جادا، محافظة بذلك على أمن البلاد؛ (١) الاحترام المتبادل. (٢) الشفقة والرحمة. (٣) الابتعاد عن الحرام. (٤) الحفاظ على الأمن. (٥) نبذ الفوضى والغوغائية.

وإن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاما، أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل، أعضاء نافعين للبلاد والعباد، دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس"[1].

ولقد استخدم الإمام النورسي مع الأسلوب العملي الأسلوب القرآني، الذي يجعل الحياة بكل ما فيها من مشاهد الكون وآياته دليلا على وجود الله، ويطلب من الإنسان أن يدخل إلى داخل نفسه، ويتطلع إلى مرآة ذاته، ويتلفت إلى ما حوله؛ ليخرج من كل واحدة من ذلك الدليل الواضح، وبذلك تنفذ حقائق الإيمان إلى القلب والفكر معا، من النافذة التي تدخل منها إلى الحياة، ليجعل الحياة كلها بما تحتويه من جمال وجلال منطلقا للتفكير، ليجتمع للدليل إشراق الحس وعمق التفكير؛ فلا يشعر الإنسان بأنه يستورد الإيمان وحقائقه من خارج حياته، بل يشعر الإنسان أنه يعيش الإيمان في حركة دائمة تمتد للأعماق، وتستثير الفطرة، وتستلهم الحياة، وتستوحي الفكر. ولنفتح أعيننا، ونرهف أسماعنا، ونشحذ أذهاننا، وننبه أحاسيسنا ونحن نطالع هذه النماذج المستمدة من الأسلوب القرآني، وصاغها الإمام النورسي بقلبه وعقله وروحه: "اعلم، أنك صنعة شعورية بحكمة، حتى كأنك بوضوح الدلالة على صفات الصانع مُجسَّم الحكمة النقاشة، ومتجسَّد العلم المختار، ومُنجمَد القدرة البصيرة بما يليق بك، وثمرة الرحمة السميعة لنداء حاجاتك، ومتصلَّب الفعل المريد لما يريده استعدادك، ومتكاثف الإنعام العليم بمطالبك، وصورة القدر المرسِّم المهندس الخبير بما يناسب بناءك"[2].

"اعلم، أنك مقيد بالتعين، في مقيد بالبدن، بمقيد بالعمر، محدود الحياة في محدود البقاء بمحدود الاقتدار. فحينئذ لابد ن لا تصرف هذا العمر القصير القليل الفاني للفاني حتى يفنى، بل للباقي ليبقى"[3].

"اعلم أيها الإنسان أمامك مسائل عظيمة هائلة، تجبر كل ذي شعور على الاهتمام بها؛ منها: الموت الذي هو فراقك عن كل محبوباتك من الدنيا وما فيها. ومنها السفر إلى أبد الآباد في أهوال دهاشة. ومنها: عجزك الغير المعدود، في فقرك الغير المحدود، في سفر الغير المحصور، في عمر معدود محدود، وهكذا.

1- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٤٠٧.
2- المثنوي العربي النوري، مرجع سابق، ص: ٢٩٩.
3- المرجع نفسه، ص: ٣٠٠.

فمـــا بالك تناسيت عنها – كطير الإبل – أي "النعامة" يخفي رأسه في الرمل، ويغمض عينه لئلا يراه الصياد.. إلى كم تهتم بالقطرات الزائلة، ولا تبالي بالبحور الدهاشة ؟!!"[1].

1- نفسه، ص: ٣٥٢.

الباب الثالث

[من مقومات نجاح الدعوة والداعية]

الفصل التاسع: وضوح المنطلقات والوسائل.

الفصل العاشر: الفكر الراشد والحركة الإيجابية البناءة.

الفصل الحادي عشر: التربية النورية الناجحة.

الباب الثالث

(من مقومات نجاح الدعوة والداعية)

لمـــا كانت نقطة الارتكاز في الدعوة النورية هي الإيمان العميق، ونقطة الانطلاق هي الإســـلام بمـــنهجه المتميز في العبادة والسلوك والأخلاق والتشريع، ونقطة التوجيه هي العدل والإحـــسان، ونقطة النجاح والتوفيق والسداد هي تفويض الأمر إلى الله تعالى، بعد التوكل عليه حق التوكل والأخذ بالأسباب؛ فإننا سنعرض لما نراه من مقومات ساعدت الإمام النورسي على الـــنجاح فـــي التبليغ، والحركة بالدعوة النورية، لنشر حقائق الإيمان، والتوفيق في تأسيس جيل متميز نجح في نشر الدعوة، والحفاظ عليها، مثمرا أروع الثمار.

الفصل التاسع: وضوح المنطلقات والوسائل

إن مـــا حققـــه الإمام النورسي من نجاح عظيم في الحركة بالدعوة النورية، وتوفيق في نشر الحقائق الإيمانية من خلال رسائل النور، وسداد طلابه من بعده فيما قاموا به من أعمال، أثمرت فيما أثمرت إلى انتشار رسائل النور في الكثير من دول العالم، وترجمتها إلى العديد من اللغـــات، وإقامـــة آلاف المـــدارس النورية في تركيا وخارج تركيا؛ كل ذلك وغيره هو نتيجة منطقـــية لإخـــلاص القصد، وصواب الرؤية، ووضوح الغاية المرجوة، وأصالة المصادر التي اعتمدت عليها الدعوة النورية، وتنوع وسائلها في تبليغ الدعوة ونشرها.

المطلب الأول: وضوح الغاية والتضحية من أجلها:

لقـــد كـــان تبليغ دعوة الله وإنقاذ إيمان الناس هو الغاية التي عاش لها الإمام النورسي، معلـــنا: "لي غاية واحدة وهي: إنني في هذا الوقت الذي أتقرب فيه إلى القبر، وفي هذا الوطن الـــذي هـــو بـــلاد إسلامية، نسمع نعيق أبوام البلاشفة، هذا النعيق يهدد أسس الإيمان في العالم الإسلامي، ويشد الشعب ولاسيما الشباب إليه، بعد سلب الإيمان منهم.

إننـــي بكـــل مـــا أملـــك من وجود أجاهد هؤلاء، وأدعو المسلمين وبخاصة الشباب إلى الإيمان، فإننا في جهاد دائم مع هذه المجموعة الملحدة. وسأمثل إن شاء الله في ديوان حضوره ســـبحانه وأنـــا رافع راية هذا الجهاد. وكل عملي ينحصر في هذا، وأخشى ما أخشاه أن يكون الذين يحولون بيني وبين غايتي هذه هم بلاشفة أيضا.

فغايتي المقدسة هي التكاتف والتساند والترابط مع كل من يجاهد أعداء الإيمان هؤلاء. أعطونـــي حريتي وأطلقوا يدي كي أعمل بالتكاتف مع القوى المجاهدة في سبيل إعلان التوحيد وترسيخ الإيمان في هذه البلاد وإصلاح الشباب المتسمم بالشيوعية"[1].

المطلب الثاني: أصالة مصادر الدعوة:

فإن الإمام النورسي صاحب العمق الروحي والحس الإنساني المرهف، عاش عمره كله مـــع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتحرك بدعوته وفق المنهج القرآني وتطبيقاته في المنهج النبوي، ومنهما تعلم أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى علم وكفاءة تعين على التبليغ والتأثير والاســـتفادة مـــن الظـــروف والأحـــوال، ومعـــرفة النفس الإنسانية؛ فاستصحب سيرة الأنبياء والمرســـلين المبـــثوثة في القرآن، وسيرة الصحابة والتابعين الذين تخرجوا من مدرسة النبوة، واستأنس بالتجارب المختلفة، مستمدا خطوط التوجيه في كل ذلك من الأوامر القرآنية الموجهة للأنبياء والعاملين في مجال الدعوة، ومتبعا منهج النبي صلى الله عليه وسلم أوضح اتباع.

المطلب الثالث: تنوع الوسائل:

ولمـــا كانت غاية الإمام النورسي واضحة تمام الوضوح، وهو يضحي بكل ما يملك من أجلهـــا، ومصادره قرآنية ونبوية، فإن اتصاله الوثيق بالله تعالى، بعد إيمانه العميق، أنتجا فهما دقـــيقا لديـــه مفاده: "إن التوسل والتشبث بوسائل مختلفة مثل: التدريس والمحاضرات والندوات والاجـــتماعات وغيرها، يعتبر جميعها واجبات إسلامية لتحقيق التلاحم والالتفات حول الحقائق القرآنية التي تبرزها رسائل النور"[2].

أولا: القدوة الحسنة: فلقد كان إيمان الإمام النورسي وصلاحه وتقواه، وشفقته ورحمته، أبلغ رسالة تدعو الناس إلى الإيمان، وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة، ويجمع عليه القلـــوب؛ لأنه مثل حي متحرك بحقائق الإيمان التي يعتنقها؛ فقد وجد فيه – رحمه الله – الناس "الـــشفقة والـــرحمة والأدب الجـــم والتربية والعلم والعرفان والشجاعة والجسارة والإخلاص، والأخوة والبطولة والتواضع"[3].

وكـــان من شدة تواضعه "بحيث يشعر الجالس معه كأنه لا يعرف الشيء الكثير، وذلك لبساطته وعلو همته واهتمامه بالناس"[4].

1- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٥٤٤.
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٤، ص: ٨.
3- نفسه، المجلد ٣، ص: ٨٠.
4- نفسه، المجلد ٢، ص: ١٠٦.

وإن قوة القدوة المؤثرة في شخصيته – رحمه الله – جعلت بعضهم يعبر عن ذلك قائلا: "كنت أزداد شوقا كلما أصغيت إلى كلامه، ولا أريد أن ينقطع الكلام، وكان هو بإيمانه القوي لا يسع وجوده المادي الصغير، ويؤثر علينا أيما تأثير. هذا الإنسان الوقور يزداد شموخا وعظمة كلما خاض في الكلام؛ فيلقي بأحاديثه الشائقة المفعمة بالانشراح في القلوب"[1].

ويعلـــل الآخر لكونه قدوة، فيقول: "إن السيد بديع الزمان كان شخصية محترمة، يعيش الإسلام أولا مع نفسه، ثم بعد ذلك يتكلم به"[2].

ثانيا: النظام وحسن استثمار الوقت: لما كان النظام وسيلة جيدة وضرورية لحسن استخدام الجهود، وتوجيهها على نحو مثمر في مجال الدعوة إلى الله، وبالتالي فرص النجاح للداعي في بلوغ غايته وهدفه؛ فإن الإمام النورسي حرص على النظام والانتظام الدقيق، مخبرا طلابه: "إن حياتـــي مضت بانتظام. أجل؛ إن حياته كانت تجري ضمن نظام دقيق يغطي كل أربع وعشرين ساعة من يومه"[3].

ويـــروي أحدهم جانبا مما شاهده من حسن استغلال الإمام النورسي لوقته، فيقول: "كان الأســـتاذ لا يـــصرف وقـــته سدى قط؛ فلا أراه إلا قائما يصلي، أو داعيا متضرعا، أو مسبحا ذاكرا، أو متأملا في ملكوت السماء والأرض، فهو حتما منشغل بشغل يهمه"[4].

ثالثا: التعليم والتذكير: فالإمام النورسي، عالم فقيه عميق الوعي، موسوعي العلم مارس منذ الـــبداية التعلـــيم والتذكيـــر من أجل نشر الحقائق الإيمانية، حتى يفتح عيون الناس على أنوار الإيمـــان، ويعـــرّف الجاهلـــين بحقائق الإيمان، ليكون الإيمان واضحا كالشمس، شائعا كالماء والهواء.

فمـــا فتئ – رحمه الله – يذكّر كل من يقابله: "أخي؛ أنا لست إلا دلالاً في محل جواهر القرآن الكريم، وخادما فيه، فأنا منشغل يا أخي بإعلان نور القرآن"[5].

بـــل ويربط طلابه برسائل النور مباشرة مدارسة وتعلما وتذكيرا، قائلا: "إنني أترك لكم معلمـــا وأستاذا مستديما؛ أية رسالة من رسائل النور تقرؤونها، هي أفضل بعشرة أضعاف من اللقاء بي شخصيا"[6].

1- نفسه، المجلد ١، ص: ١٧٨.
2- نفسه، المجلد ٢، ص: ١٦.
3- نفسه، المجلد ٤، ص: ٢٥.
4- نفسه، المجلد ٣، ص: ٤١.
5- نفسه، المجلد ٢، ص: ٦.
6- نسه، المجلد ٤، ص: ٨.

ويــؤكد علـــى طلابـــه القيام بهذه المهمة، مهمة تعليم الناس وتذكيرهم من خلال نشر رسائل النور، فيقول: "إن واجبكم إيصال هذه الرسائل إلى الجميع، حتى الأمي وراعي الجبل"[1].

رابعـــا: الخطابـــة: ولأن الخطابة في ديننا مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الـــدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومـــع المكـــان من بلد إلى بلد؛ فإن الإمام النورسي حقق ذلك منذ شبابه الباكر، وتجسد ذلك في تراثه المحفوظ، وبخاصة خطبته التي ألقاها في الجامع الأموي أمام الآلاف وبحضور ما لا يقل عـــن مائـــة عالم، تلك الخطبة المعروفة بالخطبة الشامية، والتي تمثل برنامجا متكاملا، ودليلا شاملا للخروج بالأمة من أزماتها المختلفة.

خامـــسا: الترغيب والترهيب: الترغيب بالحث على فعل الخير، وأداء الطاعات، والاستقامة على أمر الله.

والترهيب لتكف النفس عن الرذيلة وجلاً مما يعقبها من منغصات، ولتندفع إلى الفضيلة خوفا من مغبة التراخي والتفريط.

ولقـــد استخدم الإمام النورسي الأسلوبين في دعوته العملية استخداما حكيما، يحدثنا عنه أحـــدهم بقـــوله: "كان الأستاذ يتعامل بالمدح والثناء أحيانا، وبالقدح واللوم أحيانا أخرى، وهذا النوع من التعامل يمثل الكمال في الإدارة؛ يوجه كلا حسب قدرته على الخدمة"[2].

سادســـا: الكـــتابة: فلقـــد أبـــدع الإمام النورسي في الكتابة بأسلوب رائع راق غاية الروعة والرقي، وما كليات رسائل النور إلا ترجمانا لهذه الكتابة النورانية الروحانية العقلية الوجدانية، التـــي رســـمت معـــالم الإيمان والإسلام، وصورت حقائقهما، كما يرسمها الفنان القدير، وكما يصورها الشاعر المفتون بالطبيعة وما فيها من حدائق ناضرة، وسماء ضاحية، ونجوم زاهرة.

ســـابعا: اســـتخدام الوســـائط الحديثة: فبالإضـــافة إلى الصحف والمجلات، استفاد الإمام النورسي من الراديو الذي كان من أحدث وسائط العصر وقتها، وقال عنه "الراديو نعمة إلهية، ولكـــي يظهر الإنسان شكره لهذه النعمة الإلهية، يتوجب أن يجعله وسيلة طيبة؛ بالكلمة الطيبة وخاصة ترتيل القرآن الكريم وحقائقه الإيمانية، والدروس الأخلاقية التي يتضمنها والضرورية للإنسان.

1- نفسه، ص: ٢٤٢.
2- نفسه، المجلد٢، ص: ٧٤.

وإذا لـــم تتلق النعمة الشكر بالمقابل، يقع الضرر على الإنسان. وكما أن البشر بحاجة إلـــى الحقيقة، فإنه بحاجة أيضا إلى بعض الترويح وبث الفرح في النفوس، على ألا تزيد نسبته الخمـــس، وإلا فـــسيكون منافيا لأسرار حكمة الهواء، فضلا عن أنه يؤدي إلى الخمول والكسل والسفه، ويسبب في التقصير في أداء الواجبات الأساسية، وينقلب من نعمة كبيرة للبشرية، إلى نقمة عظيمة"[1].

المطلب الرابع: التمييز بين الدعوي والسياسي:

لقد اشتغل الإمام النورسي في مرحلته الأولى "سعيد القديم" بالسياسة اشتغالاً نسبيا، بقصد خدمـــة الـــدين وصيانة المقدسات، لكنه عندما تيقن أن السياسة تنحرف عن الغاية، وتتجه نحو الصراع من أجل المنفعة، وتفتح أبواب الفتنة والاختلاف والتطرف؛ أعلن بوضوح وجزم أنه لا يمكـــن أن يخـــدم القـــرآن والإيمـــان عن طريق عالم السياسة، وأرسل تحذيراته القوية، قائلا: "حـــذار.. حذار.. أيها الأخوة من أن تقذفكم التيارات الدنيوية، ولاسيما السياسية منها، ولاسيما التيارات التي تلفت الأنظار نحو الخارج، إلى التفرقة؛ إذ تجعلكم بعد ذلك عاجزين ضعفاء أمام الفرق الضالة المتحدة.. فحذار أن يجري فيكم حكم ذلك الدستور الشيطاني والعياذ بالله: (الحب في السياسة والبغض في السياسة) بدلا من الدستور الرحماني (الحب في الله والبغض في الله)؛ إذ عـــندها تعـــادون أخـــا لكـــم هو في الحقيقة كالملاك وتولون الحب لرفيق في السياسة وهو كالخناس وتبدون الرضا لظلمه، وتشاركونه في جنايته ضمنا. فحذار حذار من هذا"[2].

ومـــن هـــنا، كان لزاما على الأستاذ أن يميز دعوته تمييزا واضحا لا علاقة له بأدوات الـــسياسة وألاعيـــبها، موضحا: "لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات؛ لعله يخدم الدين والعلم عن طريقها، فذهبت محاولته أدراج الرياح، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مـــشاكل، ومشكوك فيها، وأن التدخل فيها فضول – بالنسبة إليّ – فهي تحول بيني وبين القيام بـــأهم واجب، وهي ذات خطورة، وإن أغلبها خداع وأكاذيب، وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون أن يشعر"[3].

1- نفسه، المجلد ٣، ص: ٩٥.
2- الملاحق، مرجع سابق، ص: ١٥٢.
3- المكتوبات، مرجع سابق، ص: ٧٦.

الفصل العاشر: الفكر الراشد والحركة الإيجابية البناءة

طالعــنا في الفصول السابقة عظمة الإمام النورسي وبراعته، ورأينا قوة إيمانه في نواح عديــدة ومجــالات متــنوعة، وشعرنا شعورا حقيقيا بشغفه الكبير بدعوة النور ورسائل النور، وسمعنا من أقواله مدى تضحيته وعظمة افتدائه دعوته بجميع مواهبه وطاقاته من أجل إبرازها ونشرها، وتلك هي السمة الرئيسية للدعاة المجددين الذين يجري الله على أيديهم الكثير.

وفــي هــذا الفــصل، نجتهد في بيان ملامح الرشد والحركة الإيجابية للدعوة النورية، وإمامهــا النورســي؛ بــدءا بالتشخيص السليم لأصل الداء، والتوصيف الدقيق للعلاج الناجع، والامتداد بالحركة لينجز الأعمال المبهرة بالشورى والأخوة.

المطلب الأول: التشخيص السليم والعلاج الناجع:

عندما لم تحقق نشاطات الإمام النورسي السياسية، النتائج المرجوة للإصلاح الذي يطمح إليه وفق منظور الدين والشريعة مال إلى العزلة متأملا ومتفكرا ومتضرعا إلى الله العلي القدير أن يلهمه الصواب والسداد في معرفة أصل الداء الذي دبّ في أوصال المجتمع، وأعراض هذا الــداء، وانتهــى إلــى أن أصل هذا الداء جهل الخلق بالخالق، وابتعاد العباد عن المعبود الحق الــواحد الأحــد، وعدم تمثلهم للعبودية الكاملة الخالصة لله تعالى؛ فانبرى – رحمه الله – للقيام بوظيفته التجديدية في خدمة الإيمان والقرآن.

أولا: أعــراض الــداء وآثــاره: بما أن الإيمان هو ركيزة الإمام النورسي في فهمه للواقع وتشخيصه للداء وأعراضه فإنه وجد أن من أهم أعراض الداء وآثاره ما يلي:

١- **ضــعف الرابطة الدينية:** فقد أعلن بجرأة واضحة: "ليست هناك رابطة حقيقية وقوية غير الإســلام بين العرب والترك والكرد، والأرناؤوط والجركس واللاز. وإن إهمالا طفيفا في الدين أدى إلى إرساء قواعد ملوك الطوائف، وظهور جاهليات ماتت قبل ثلاثة عشر قرنا، وبالتالي إلى ظهور الفتن والقلاقل"[1].

٢- **غــياب الغايــة الــربانية:** فــإن غياب الغاية الربانية ينتج الأنانية المدمرة، ويوجه الإمام النورسي إلى هذه الحقيقة قائلا: "إن لم تكن للجماعة غاية وهدف، فإن الأنانية تقوى، وإن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نسيت تلك الغاية، أو تنوسيت، تحولت الأذهان إلى أنانيات الأفراد، وحامت حولها"[2].

1- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٥٣٣.
2- الكلمات، مرجع سابق، ص: ٨٥١.

٣- **القومية السلبية**: تلك التي يتولد عنها المزيد من المصائب والأضرار؛ فهي على حد قوله – رحمـــه الله -: "قسم سلبي مشؤوم مضر و يتربى وينمو بابتلاع الآخرين، ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر، وهذا يولد المخاصمة والنزاع"[1].

٤- **العداء والخصام**: فهما لا يتناسبان مع ماهية المؤمن – كما يقول الإمام النورسي – فالعداء والمحـــبة كالـــضياء والظلام لا يجتمعان أبدا؛ فإذا تغلب العداء انقلبت المحبة إلى مداراة وتصنع"[2].

٥- **العناد والحسد والنفاق والشقاق**: لأن ما يسببه التحيز والعناد والحسد من نفاق في أوساط المؤمنـــين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء مرفوض أصلا، ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل حياة البشر الشخصية؛ الاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة"[3].

٦- **الـــضعف والـــذل والهـــوان**: فالتهاون في تطبيق الشعائر الدينية يفضي إلى ضعف الأمة، والضعف يغري العدو فيكم، ويشجعه عليكم، ولا يوقفه عند حده"[4]. وإن كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: "**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**" [الحجرات: ١٠][5].

ثانيا: **العلاج الناجع ولوازمه**: إن أصل هذا العلاج هو الإيمان بالله ربا إلها واحدا لا شريك لـــه، وبالإســـلام ديـــنا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وبالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبكافة حقائق الإيمان، ولكي يثمر هذا الدواء، ويعطي أثره الناجع، ويحقق نفعه الكامل، لابد مما يلي:

١- **الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر**: الذي هو أساس الدعوة إلى الله والتبليغ عنه سبحانه وتعالـــى، وبالتالي فهو أساس صيانة المجتمع وحفظ الأمة، وذلك لأن "الشريعة تربي في روح المسلم الشفقة وعزة الإيمان؛ فلقد اخذ القرآن بيده حقائق الشريعة، كل حقيقة منها عصا موسى (في تلك اليد)، وستسجد له تلك المدنية الساحرة، سجدة تبجيل وإعجاب"[6].

1- المككتوبات، مرجع سابق، ص: ٤١٤.
2- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٤٢٣.
3- المكتوبات، مرجع سابق، ص: ٣٣٩.
4- المثنوي العربي النوري، مرجع سابق، ص: ٢٠٣.
5- المكتوبات، مرجع سابق، ص: ٣٤١.
6- الكلمات، مرجع سابق، ص: ٨٥٧.

ومـــن هـــنا، أوجب على الداعية القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون مرشـــدا حقا، و"المرشد الحق هو من كان هدفه وغايته الاتحاد بضياء القلب ونور الفكر، وكان مـــسلكه المحـــبة، وشـــعاره تـــرك حب الذات والأنانية، وكان مشربه إنكار الذات (المحوية)، وطريقته الحمية الإسلامية"[1].

٢ - **تحقـــيق الـــتكامل المعرفـــي**: فإن تنوير المجتمع بالعلم والمعرفة والعرفان، وتعويده على التفكير المنظم، يحقق التكامل المطلوب للعافية؛ "فلقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم، لأجل أن يـــتكامل بالمعرفة والدعاء؛ لأن كل شيء فيه موجه إلى العلم، ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد"[2].

ومـــع التكامل العلمي والمعرفي، لابد من التكامل العرفاني الداخلي، المعتمد على البناء الروحي وتعميقه؛ "لأن ميل الجسم إلى التوسع لأجل النمو، إن كان داخليا فهو دليل تكامل، بينما إن كـــان مـــن الخارج فهو سبب تمزق الغلاف والجلد؛ إي إنه سبب الهدم والتخريب لا النمو والتوسع"[3].

٣ - **تحقـــيق الحـــرية والـــشورى**: "فالحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أظهرتا السيادة الحقيقـــية لأمتـــنا"[4]، "وإن ما يفتح حظ آسيا وسعد الإسلام هو الشورى والحرية، المشروطتان بتربية الشريعة الغراء"[5].

٤ - **العـــدل والعدالة**: لأن العدل لب معنى الحياة، وقاعدة ترشيد الفطرة، ومقوم صيانة الأمة؛ "فالعدالة المحضة، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية، مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية"[6].

٥ - **الاســـتقلال والاستغناء**: "فإن النور لإلهي في الشريعة الغراء، يمنحها خاصة مميزة، وهي الاستقلال الذي يؤدي إلى الاستغناء"[7].

ولقد عاش الإمام النورسي هذا الاستقلال وذلك الاستغناء عمليا في حياته، ونقل ذلك إلى طلابه، توضيحاً وتعليما وتربية، وكان مما قاله لهم: "تعلمون عدم قبولي للصدقات أو العون من أحـــد، كـــي لا أكـــون وســـيلة في هذا المجال، لذلك أبيع بعض حاجياتي الضرورية وملابسي

1- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: (٤٢٤ – ٤٢٥).
2- الكلمات، مرجع سابق، ص: ٣٥٥.
3- نفسه، ص: ٥٦٤.
4- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٥١٠.
5- نفسه، ص: ٥٧.
6- الكلمات، مرجع سابق، ص: ٨٦٢.
7- نفسه، ص: ٨٥٧.

وأشـــتري بالمـــبالغ التـــي أحـــصل منها مؤلفاتي التي يكتبها الإخوة؛ لئلا تختلط منافع دنيوية بالجهود الخالصة لرسائل النور، ولا تسبب في إحداث الضرر، ولتكون عبرة لبقية الإخوة، ولا تكون الرسائل آلة لأي شيء كان"[1].

المطلب الثاني: الإصرار على الامتداد بالحركة الدعوية:

لقد امتدت نشاطات الدعوة النورية التي قام بها الإمام النورسي، امتدادا لم يعرف حدود الـــزمان أو المكان، أو مستوى الإنسان العلمي أو الاجتماعي، فقد كان يتحرك بدعوة النور في كـــل مكان يحل به، ومع أي فرد يقابله، حتى السجن حوله إلى مدرسة يوسفية للدعوة النورية، وألّف رسائل النور في ظروف قاسية، وأوضاع عصيبة؛ فلنقف وقفات سريعة مع جوانب تجلي هذا الملمح الفكري الحركي الراشد.

أولا: المثابـــرة والإصـــرار: ثابر الإمام النورسي في حركته بالدعوة النورية، وأصر على نـــشرها بكل ما يملك من حياة وجهد ووقت، ويعلن أمام من يحاكمونه في (آفيون): "إننا بعون الله تعالـــى، وبالقوة التي نستمدها من القرآن الكريم، لن نترك الميدان، ولن نهرب، ولو أقاموا الدنيا بأجمعها ضدنا"[2].

ويزيد الأمر توكيدا في نفس الموقف، رافعا صوته: "ألا فلتعلموا جيدا بأنه لو كان لي من الـــرؤوس بعدد ما في رأسي من الشعر، وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحني هذا الـــرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن أتخلى بحال من الأحوال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية أو لا يسعني التخلي عنها"[3].

وكـــم مـــن شاهد يؤكد أن الإمام النورسي "كان رجلا حركيا ومقداما وشجاعا، يتكلم مع الكل بلا استثناء ويشرح دعواه، ولم يكن مستسلما للمسكنة والعجز"[4].

وبالتالـــي، فـــلا غـــرابة حين يقول لطلابه: "لقد أوقفت حياتي لإيجاد الحقائق الإيمانية للقـــرآن، وتقـــديمها إلى المحتاجين؛ لأنها تتضمن ما تبحث عنه البشرية بجميع مكوناتها، من أركـــان الإيمـــان والسعادة التي تفتقدها، مع الأخوة الإسلامية التي تربط كافة المسلمين.. ليس الاتفـــاق مـــع المـــسلمين مـــن أهل الدين فحسب، وإنما المصادقة وترك الخصومات حتى مع النصارى المتدينين، وهذا ما أدعو إليه"[5].

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٣، ص: ٧٧.
2- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٣٤٦. ويزيد
3- المرجع السابق، ص: ٤١٠.
4- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٢، ص: ٢١١.
5- نفسه، المجلد ٣، ص: ٣٥.

ولهـــذا، فـــإن الإمام النورسي "يقابل زواره الذين كانوا على مستويات مختلفة، فيلقنهم حقائق الدين والقرآن، ويحثهم على أداء الخدمة الدينية، إلى جانب واجباتهم الدنيوية والمعاشية. وهكـــذا كان حب الله والعمل في سبيل الدين، يتعاظم عند الجميع، ويصبح الإسلام غاية وهدف ذلك الإنسان"[1].

ثانـــيا: الحركة بالدعوة ونشرها بين النساء: لم يفرق الإمام النورسي في الحركة بالدعوة النورية بين الرجال والنساء، لإيمانه بأن الاعتماد على شق واحد قد يكون عنصر تحطيم لشوكة العمل، بينما تناغم الجهود بين الجميع، عنصر تدعيم وقوة للعمل.

ويظهـــر اهتمام الإمام النورسي بالمرأة والرجل في العمل الدعوي النوري، في مواقف عديدة، منها ذلك الموقف الإنساني الراقي الذي يخبر فيه – رحمه الله – طلابه: "أعلمني حلمي بـــك الذي يعرف بالشيخ الصغير، خبر وفاة رفيقة عمره التي كانت أيضا من طلبة النور، هذا الإنـــسان خـــدم دعـــوة النور هو وزوجته وولده مدة ثماني سنوات في قسطموني، وبكل تفان وإخلاص"[2].

وامـــتد اهـــتمام الإمـــام النورســـي بالمرأة في الدعوة النورية امتدادا يشمل العديد من الجـــوانب؛ فهـــو حريص على استقلال شخصية الفتاة، وتجلى ذلك بوضوح في قوله لإحداهن بشأن ابنتها: "ليتها تتعلم ولا تكون أسيرة للرجل، وتكسب قوتها بنفسها"[3].

وحـــين يعلم بقبوع إحداهن في بيتها، وعدم ممارستها لتعليم الأخريات، يرسل إليها من يقـــول على لسانه: "إنه غاصب منك؛ كيف تنزوين في البيت وهو عينك معلمة، وكلفك بمهمة وواجب التدريس"[4].

يـــضاف إلـــى ما سبق، تقديره – رحمه الله – للمشاعر والأحاسيس، تروي إحداهن عن ذلـــك، فتقول: "كان يقول في حقي: إنها طاهرة القلب، وإنني أقبلك أختا لي في الدنيا والآخرة. وإن دخلت الجنة فلا أتركك، بل آخذ بيديك وأدخلك معي الجنة إن شاء الله"[5].

ولمـــا كـــان هذا هو جانب من وضع المرأة الحركي الدعوي في دعوة النور، فلم يكن مـــستغربا أن تكون إحداهن من الهيئات المجاهدة والمضحية، هي أول امرأة تساق إلى محكمة الجزاء الكبرى بتهمة الدعاية لحركة النور[6].

1- نفسه، المجلد ٤، ص: ٣٥.
2- نفسه، المجلد ٢، ص: ٦٩.
3- نفسه، المجلد ٣، ص: ٣٩٦.
4- نفسه، ص: ٣٩٩.
5- نفسه، المجلد ١، ص: ١٨٥.
6- نفسه، المجلد ٤، ص: ١٢٥.

ثالـــثا: الاهـــتمام بالتواصل مع العلماء الرسميين: لأن هؤلاء العلماء شركاء في القيام بالوظيفة الإيمانية، وإرشاد الناس إلى حقائق الإيمان، ولذلك كانت علاقة الإمام النورسي معهم علاقة تتميز بالإخاء والصفاء، حتى إن أحد هؤلاء العلماء المعروفين قال لطلابه: "أنتم تفهمون جانـــبا واحـــدا من الأستاذ، إن مداركم لا تكاد تدركه؛ إنه إنسان عجيب، عليكم قراءة رسائل الـــنور بـــشكل تفهمونها، إن ما لدى أستاذكم من إمكانات وقابليات، يستطيع معها إدارة شؤون العالم إذا ما وكلت إليه أمورها. إنني أراه بهذا المنظار، بل إنه هكذا في واقع الحال"[1].

رابعـــا: تشجيع الحفاظ للحركة بالقرآن: فهم أصحاب الخطوط الأمامية في مهمة الإرشاد والتبلـــيغ على حد قول الإمام النورسي لأحدهم، "جزاك الله خيرا يا حافظ القرآن الكريم، فأنتم الـــيوم تؤدون وظيفة الإرشاد أكثر من العلماء والواعظين، وأحسن منهم، فليكثركم الله، وليمهد بكم السبيل، ويزيدكم قوة في الصوت والفؤاد. فرتلوا القرآن واجلبوا الناس بأصواتكم؛ ليصغوا إلى كتاب الله، كي تسيل الدموع من الأعين، ويذهب الله بها ران قلوب المسلمين"[2].

خامـــسا: الاهتمام بدور المسجد في حركة الدعوة: هذا الاهتمام بدا واضحا في أولويات حديث الإمام النورسي لمن يأتي لزيارته وينقل ذلك أحد الشهود بقوله: "حينما يزوره الأصدقاء كـــان يكلمهـــم وأول مـــا يبادرهم بالسؤال: هل من مسجد في قريتكم ؟ وأي درس يدرسه أئمة المـــساجد ؟ فـــإذا أجابه الزائر بأنه ليس لديهم مسجد ولا معلم، يتألم كثيرا ويعجب من أمرهم: كيف يعيشون في مكان لا مسجد فيه ولا مرشد ؟"[3].

المطلب الثالث: التزام الحذر والتيقظ:

فالحـــذر عـــند الإمام النورسي هو ضابط أمان لحركة الدعوة، وعامل تأمين لانتشارها وامتدادها، وفن من فنون فقه الواقع، ومظهر من مظاهر الحس الاجتماعي.

وهـــو يعنـــي بـــذلك: التحرز والتيقظ القائم على أساس المعرفة وأخذ الحيطة؛ فالداعي الحركـــي اليقظ يعرف مدى ضرر المكروه المتوقع حصوله، فيسعى بالتحرز ومباشرة الأسباب لمنع وقوعه، أو لدفعه إذا وقع، أو لتقليل أضراره وأذاه.

ولا يـــتوهمن أحد أن الأخذ بالأسباب أسباب الحيطة واليقظة يناقض الثقة بالله، ويخالف التوكل على الله؛ فإن الأسباب والمسببات بيد الله وحده.

1- نفسه، المجلد ٣، ص:١١١.
2- نفسه، المجلد ١، ص: ١٣٤.
3- نفسه، ص: ٩٦.

ولقــد شــدّد الإمــام النورســي على هذا الأمر تشديدا واضحا، فكان مما قاله لطلابه: "التــزموا جانب الحذر، إنني لا أتهمكم، ولكنكم معرضون للغفلة والخديعة؛ إن الحيطة والحذر مطلوب منكم أكثر من غيركم"[1].

بــل إنــه – رحمــه الله – علمهم عمليا، أن من الحيطة والتيقظ والحذر مراعاة الواقع الزماني، والمكاني، والشخصي، وأنه على العاقل أن يكون عارفا بزمانه، مدركا لشأنه، حافظا للسانه، لتستقيم له طريقه، وبالتالي؛ فليس كل ما يعرف يقال، ولا كل ما يقال جاء أوانه، ولا ما جــاء أوانه حضر رجاله، فيقول – رحمه الله -: "لابد من العمل وفق الحديث الشريف (سيروا علــى سير أضعفكم)، ويلزم عدم الخوض في مسائل النزاع، وعدم طرق مسائل القبعة والأذان واســتعمال عناوين الدجال والسفياني مع الغرباء؛ حيث يسبب هذا اتخاذ العلماء وأهل السياسة تجــاه رسائل النور موقف المجابهة والتعدي عليها. فالحذر هو الألزم، والواجب ضبط النفس، حتى إن عدم الأخذ بالحذر ولو جزئيا يؤثر حتى ها هنا.

وإن رســائل الــنور ليست دائرة واحدة، بل لها طبقات كالدوائر المتداخلة؛ فهناك طبقة الأركان والمالكين والخواص والناشرين والطلاب والموالين، وأمثالها من الطبقات.

فمــن لم يكن أهلا للدخول في طبقة الأركان، لا يطرد خارج الدائرة بشرط عدم موالاته لتــيار يخالف رسائل النور، والذي ليست له ميزات الخواص يمكن أن يكون طالبا بشرط عدم الدخــول في مسلك مضاد، والذي يعمل بالبدعة يمكن أن يكون صديقا بشرط عدم موالاته قلبا لها.

ولهــذا لا تخرجوا أحدا من جراء خطأ طفيف خارج الدائرة، لئلا يلتحق بصف الأعداء، ولكن لا يشرك هؤلاء في التدابير الدقيقة التي يتخذها أركان رسائل النور ومالكوها"[2].

المطلب الرابع: إنجاز الأعمال بالأخوة والشورى:

لقــد اســتطاع الإمام النورسي بدعوته النورية، وحركته الربانية الدائبة، أن يحدث أثرا واســعا، داخل تركيا وخارجها، ومع ذلك لم تشغله بوادر النجاح التي رآها في الأعوام الأخيرة مــن حــياته، عمــا ينبغي ترسيخه في نفوس طلابه من ضرورة الحفاظ على أسباب النجاح، وصيانة عوامل الإنجاز، وتدعيم دعائم التوفيق.

1- نفسه، المجلد ٣، ص: ٥٧.
2- الملاحق، مرجع سابق، ص: ٢١٦.

أولا: الإخـــلاص: ويأتـــي في مقدمة هذه الأسباب والعوامل والدعائم، الإخلاص الذي أدرك قيمـــته المهـــتمون من المفكرين العدول، حيث قال أحدهم: "إن بديع الزمان هو فعلا شخصية متميـــزة ومؤثرة، ويمكن التوصل إلى إدراك هذه الحقيقة بالنظر إلى النتائج مع قلة الإمكانات وقحـــط الوســـائل. لقد وفق ونجح في حفر بحار وليس بئرا بمجرد إبر. إن ما قدمه في سبيل الإســـلام والقرآن والإيمان والشريعة وفي سبيل أمة الإسلام، يعتبر مصدر تقدير وامتنان لدى كافة المسلمين وعلى مختلف مشاربهم.

إنني أعتبر أن من أجل الخصائص التي تميز بها الأستاذ، إنجازه كل هذه المنجزات دون الاعتماد على أية مصادر مالية؛ لم يكن يطلب من أي إنسان كان أموالا لأجل تقديم الخدمة، ولم يكـــن يقـــبل حتى ما يعرض عليه دون طلبه. لقد حقق خدمات هائلة بجهازين يدويين بسيطين وبأوراق مشمعة بائسة.

إن مـــا حققـــه جهـــازان يـــدويان، لن يقدر على إنجازه أرقى وأعظم المطابع الحديثة والمـــتطورة؛ وذلـــك لما كان يمتاز به الأستاذ بديع الزمان وطلبته الأبطال من عزم وإخلاص واستقامة وتضحية وصبر وتفان.

إن أحـــد أسس دعوة النور، بل وأولها، هو الإخلاص، إن هذه الكلمة البسيطة من أغزر الخزائن.

إن الإخلاص قوة عظيمة بيد المؤمن لا تغلبه أية قوة أو قدرة، وإن الإخلاص لن يتحقق بالقـــول وباللسان وحده، بل يتوجب تهيئة الوسائل والأسباب والالتزام بها والاستجابة لشروطه والامتناع عن كل ما يؤذيه، وإذا فقد الإخلاص، تنطفئ الهمم والجهود وتذروها الرياح وتعصف بالمنجزات"[1].

ومع الإخلاص، كان الفناء في الإخوان لتحقيق الاتحاد والتساند والالتزام بالشورى.

ثانيا: الفناء في الإخوان: هذا العامل وضعه الإمام النورسي نفسه، لذا فهو الأجدر بالتعريف بـــه، حـــيث يقـــول: "هناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة، أمثال الفناء في الشيخ والفناء في الرسول، وأنا لست صوفيا، ولكن الفناء في الإخوان دستور جميل يناسب مسلكنا ونهجنا تماما؛ أي أن يفنى كل في الآخر، أي ، ينسى كل أخ حسياته النفسانية، ويعيش فكرا مع مزايا إخوانه وفضائلهم؛ حيث إن مسلكنا هو الأخوة في الله، وإن العلاقات التي تربطنا هي الأخوة الحقيقية، ولـــيس علاقة الأب بالابن، ولا علاقة الشيخ مع المريد، وإن كان لابد فمجرد العلاقة بالأستاذ.

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٤، ص (٢٨٥ – ٢٨٦).

ومـــا دام مـــسلكنا هـــو الخليلية فمشربنا إذن هو الخلة، والخلة تقتضي صديقا صدوقا، ورفيقا مضحيا، وأخا شهما غيورا.. وأس الأساس لهذه الخلة هو الإخلاص التام"[1].

ويلخـــص الأمـــر بقوله: "إن سر الأخوة هو إفناء الفرد شخصيته في شخصية إخوانه، وإيثارهم على نفسه"[2].

وبهـــذه المعانـــي السامية تمكن الإمام النورسي من أن يعزز صفوف طلابه، ويجعلهم قادرين على الحركة عمليا بالدعوة النورية، محققين نجاحا متميزا.

ثالـــثا: الاتحاد والتساند: لقد أعطى الإمام النورسي اهتمامه الكبير بتأمين الوحدة بين طلاب النور، وتحقيق التكاتف فيما بينهم، ولم يكن يسمح بأية نزاعات أو خصومة أو تنافس أو تدافع. وكـــان – رحمـــه الله – يلفت أنظار طلابه بضرورة التفكر في الاتحاد والتساند كشرط لصحة التفكير في الخدمة الإيمانية، فيقول لهم: "يا أخي لا تفكر في الخدمة؛ سيجعل الله سبحانه أداءها نـــصيب المخالفـــين والمعارضـــين، إن مـــا يجب عليكم التفكر فيه: الأخوة والمحبة والاتحاد والتساند؛ هذه أكثر ما يجب أن تفكروا فيها، وهي أكثر ما يلزمنا اليوم"[3].

كمـــا كـــان يـــؤكد على أن "طلبة النور الذي يشكلون مع بعضهم البعض كتلة متراصة ومتـــساندة، إنمـــا يكـــسبون القوة والتأييد، ويوجدون نقطة ارتكاز على النطاق الأعم والأوسع لجماعة أهل الإيمان والدين"[4].

رابعا: إقامة الشورى الحقيقية: فإن إقامة الشورى الحقيقية عامل في غاية الأهمية لصيانة الإخاء والاتحاد، وعلى هذا الأساس يحذر الإمام النورسي طلابه من ترك الشورى الشرعية بما يفتح عليهم الكثير من الأضرار، فيقول: "حذار حذار، لا تفسحوا المجال لانتقاد بعضكم البعض الآخر، فيستغل أهل الضلالة اختلاف مشاربكم وعروقكم الضعيفة، وحاجاتكم المعيشية. صونوا آراءكـــم مـــن التشتت بإقامة الشورى الشرعية بينكم، واجعلوا دساتير رسالة الإخلاص نصب أعيـــنكم دائمـــا. وبخـــلاف هذا، فإن اختلافا طفيفا في هذا الوقت يمكن أن يلحق أضرارا بليغة برسائل النور"[5].

وما أجمل الاستعارة التمثيلية التي يسوقها – رحمه الله – لطلابه! ليدركوا أخطر الآفات التـــي تعصف بالشورى وتمسخها، فيقول: "جمعية تشكلت برئاسة "الجهل" أغا، و"العناد" أفندي،

1- اللمعات، مرجع سابق، ص: ٢٤٥.
2- نفسه، ص: ٢٥٠.
3- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٤، ص: ١١١.
4- نفسه، ص: ٥٢.
5- الملاحق، مرجع سابق، ص: ٢١٢.

و"الغـــرض" بـــك، و"الانـــتقام" باشا، و"التقليد" حضرتلي، ومسيو "الثرثرة"، هي جمعية تشوه "الشورى" التي هي منبع سعادتنا وتكدرها"[1].

1- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٨٩.

الفصل الحادي عشر: التربية النورية الناجحة

إذا كـــان علمـــاء التربية الإنسانية قد أكدوا على أن قوام الشخصية الإنسانية ينبني على العقلية الإنسانية والنفسية الإنسانية، وأنه إذا اهتز أحد الجانبين تفقد الشخصية الإنسانية كينونتها وهويـــتها، وأن قـــوام العقلـــية الإنسانية العلوم والتجارب والمعارف والخبرات، وقوام النفسية الإنسانية الفنون والآداب بأنواعها الهادفة؛ فإن الإمام النورسي نجح في تربية أجيال متميزة في أذواقها وفي مناهج تفكيرها، وفي أساليب بيانها ولغتها وخطابها، وفي مكوناتها الشخصية بصفة عامة، محققا بذلك المثالية الواقعية في التربية الجامعة بين العقل والقلب والفكر والوجدان.

وإن المـــتأمل فـــيما سطره الشهود الأواخر، يرى صورا عظيمة لهذه التربية وأصولها وملامحها؛ فلتقترب من بعض هذه الصور، نطالعها، ونستنطقها، ونستشعر ما تحمله من دلائل تربوية رائعة.

المطلب الأول: من أصول التربية النورية:

يخبرنا الشهود الأواخر بأن إرادة الإمام النورسي العازمة، وما يمتلكه من قدرات عقلية ناضـــجة، ومـــا يتمتع به من عظمة روحانية متوثبة، وما اكتسبه من خبرات دينية واجتماعية وكونـــية مبهرة، وإدراكه الواضح للمثل الأعلى الذي يتطلع إليه في إنسان النور، ألا هو الرقي المعـــنوي والرقـــي المـــادي؛ كل ذلك كان له أكبر الأثر في تربيته لطلابه على أصول عملية واضحة، منها:

أولا: ربط الطلاب بالغاية العليا: فمـــن معالم هذه التربية النورانية، وأصولها النورية، جذب الإنـــسان المسلم إلى غاية عليا، هذه الغاية هي الله عز وجل ونيل رضاه، والتلذذ بذكره والتنعم مـــن عـــبادته، والتطلع إلى ما عنده، وهذا الأصل يمثل نقطة البداية ومحور الارتكاز في قبول الطلاب ليكونوا في زمرة النور؛ فكان – رحمه الله – يقول لهم: "إذا كنتم تنتظرون مني منفعة دنيوية، أو تتوقعون شيئا يوم الآخرة.. لا تستطيعون الوقوف معي، فلا تنتظروا مني أي شيء.. أنا أيضا إنسان عاجز ومقصر، وإذا كان تفكيركم وهدفكم رضا الله، فعندئذ أقبلكم عندي"[1].

ولقد أراهم – رحمه الله – عمليا من نفسه، أن هذه الغاية العليا لا تضيق بالراغبين فيها والمتطلعين إليها، وأنها لا تنال بالأماني الفارغة مع القعود والكسل؛ فيحدثنا أحدهم عما رآه من أســـتاذه قـــائلا: "كـــان الأستاذ يتعبد كثيرا، ويختار لعبادته الأماكن العالية والقمم السامقة، ولقد

1- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٢، ص: ١١٩.

شـــاهدت عبادته يوما في جامع "نورشين"؛ رأيته صاعدا فوق الجامع، فارشا سجادته، وغارقا في التأمل والتدبر العميق، والتسبيح الطويل"[1].

ويضيف آخر: "كان الأستاذ لا يصرف وقته سدى قط، فلا أراه إلا قائما يصلي، أو داعيا متضرعا، أو مسبحا ذاكرا، أو متأملا في ملكوت السماوات والأرض"[2].

ولكـــي يكـــسبهم – رحمه الله – عمق الإيمان، والتجرد التام، يُرجع تأثيره التربوي في نفـــوس طلابه، إليهم أنفسهم؛ فحينما يقول له بعضهم: "ماذا عسانا كنا نعمل لو لم نتعرف عليك ونجـــدك ؟ فأجاب بتواضعه المعهود: بل، ماذا كنت سأعمل لو لم أجدكم وأعثر عليكم ؟ إذا ما فرحتم مرة واحدة لتعرفكم بي، فأنا أفرح ألف مرة لأنني عثرت عليكم"[3].

ثانيا: وصل الطلاب بالقرآن والسنة: فمن أهم وسائل التربية الإيمانية الروحانية، والتربية الأخلاقـــية الـــسلوكية، والتربية الفكرية العقلية، الاتصال بكتاب الله القرآن الكريم تلاوة وتأملا وفهما، وفتح منافذ القلب إلى هذه الروح العظيم (القرآن) لتنساب أنواره إلى كيان المسلم، فتزيل أدواءه وظلمـــته، وتبعث فيه الحياة الحقيقية. وكذلك السنة النبوية المطهرة بما تحمله من منهج عملـــي للإنـــسان الكامـــل القدوة، والنبي الخاتم الأسوة، محمد صلى الله عليه وسلم، ولذا، فإن محـــور حـــديث الإمام النورسي لطلابه هو ربطهم بهذين الأصلين ربطا عمليا، فيقول أحدهم: "يـــتحدث لـــنا عن عظمة الإسلام، وحقائق القرآن، وقبل كل شيء عن الإيمان القوي الراسخ، وحـــول عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم، والخدمة القرآنية الجليلة، وعن تمكين الإيمان في القلوب والنفوس"[4].

وآخـــر يدلـــي بشهادة عما تعلمه في هذا من أستاذه، قائلا: "إن رسائل النور قد علمتني وظائفـــي الدينية والإيمانية، وعلمتني أن الإسلام أسمى وأقدس دين، وأنه السبيل الوحيد لسعادة البشرية، وعلمتني أن القرآن هو الأمر الإلهي النازل من رب العالمين سبحانه وتعالى، الحاضر الناظر في كل مكان، وأن الوجود بأجمعه بدءا من الذرات وانتهاء بالمجرات والنجوم هو تحت قدرتـــه وتحت إدارته الأزلية، وعلمتني أن القرآن معجزة إلهية يحيط نظره بكل الحوادث منذ الأزل إلـــى الأبـــد، وأنه أسمى من جميع الكتب، وكتاب معجز من أربعين وجها، وكلام أزلي يبـــشر البـــشرية جمعـــاء بالسعادة الأبدية، فيجعل المشتاقين إليه يشعرون بعظمة المنة عليهم.

1- نفسه، المجلد ١، ص: ١٠٠.
2- نفسه، ص: ٩٦.
3- نفسه، ص: ٢٤٣.
4- نفسه، ص: ١٧٧.

وعلمتنـــي أن الرســـول صلى الله عليه وسلم، المرسل من قبل رب العالمين، كان بكل أحواله أكمـــل الناس جميعا وأصدقهم وأسماهم في نواحي الكمال، وأنه صلى الله عليه وسلم قدم للناس جمـــيعا – بنور الإسلام – أكبر بشرى وأقدس سلوان، وأنه أدار بسلطنته المعنوية خمس أنواع البشرية منذ أربعة عشر قرنا، ويكتب في دفتر حسناته صلى الله عليه وسلم جميع ما كسبته أمته مـــن حسنات، وأنه سبب خلق الكائنات وأنه حبيب الله. وعلمتني أن الآخرة والجنة وجهنم حق وحقيقة وذلك ببراهين وحجج مستقاة من القرآن المعجز"[1].

ثالـــثا: التربية الفكرية الشاملة: ذلك التفكير الذي يحس بظاهرة ما، فيعيها ويحدد إطارها ومجالهـــا، ثـــم يتعرف على تفاصيلها ويكتشف طبيعة العلائق بينها، ثم يكتشف الحكمة الكامنة وراء هذه الظاهرة.

وإن التربية النورية للإمام النورسي لم تكن محصورة في الإطار النظري المجرد، وإنما كانـــت تـــربية عملية للفكر تنطلق من قاعدة التفكر الإيماني؛ من خلال الوقوف على الكونيات وجها لوجه، مما يثير حماس عقل طالب النور للتفكر بالأشياء، وفي استكناه أسرارها وخفاياها، مكـــوّنا بذلك عقله العلمي الاستكشافي الواعي، وفي نفس الوقت موجها سلوكه التربوي العملي إلى جادة الطريق.

وإن العديد من طلاب النور الشهود الأواخر، يشيرون إلى أن الإمام النورسي كان يرتقي بهـــم الـــتلال التـــي تـــشرف على مدينة أسبارطة، ليشاهدوا من فوقها مناظر الفطرة ومشاهد الطبـــيعة؛ ليعلمهم كيف يفكرون في مخلوقات الله، وفق منهج القراءة في كتاب الكون المفتوح أمـــامهم، قـــائلا لهم: "انظروا إلى الكرة الأرضية الطائرة في انجذاب ونشوة، والسائرة في جو الفـــضاء، وتأملـــوا في الشمس المستقرة مع حركتها، والأجرام العلوية المرتبط بعضها ببعض بالجاذبـــة العامـــة، وتدبـــروا في العناصر الكثيرة المرتبط بعضها ببعض بأواصر كيماوية في شـــجرة الخلقـــة، المنتشرة فروعها في الفضاء غير المحدود.. لتتصوروا عظمة الصانع !! أو انظـــروا بمجهـــر عقولكم إلى قطرة ماء، التي تستوعب عالما من الحيوانات، بأن الله على كل شيء قدير"[2].

كمـــا يبين لهم – رحمه الله – أن هذا الكون هو كتاب الله المنظور، المتضمن الأحرف الكونية، والكلمات الربانية، والجمل الصمدانية، الصادرة من الحكيم الخبير، فيقول: "إن التجلي

1- الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٥٩٩.
2- صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٠.

الأعظـــم لاســـم "الحكم" جعل هذا الكون بمثابة كتاب عظيم كتبت في كل صحيفة من صحائفه مـــئات الكـــتب، وأدرجت في كل سطر منه مئات الصفحات، وخطت في كل كلمة منه مئات الأســـطر، وتقـــرأ تحـــت كل حرف منه مئات الكلمات، وحفظ في كل نقطة من نقاطه فهرس مختـــصر صغير يلخص محتويات الكتاب كله.. فهذا الكتاب بصفحاته وأسطره، بل بنقاطه يدل دلالة واضحة ساطعة – بمئات الأوجه – على مصوره وكاتبه، حتى إن مشاهدة الكتاب الكوني العظيم هذا وحدها، كافية الدلالة على وجود كاتبه، بل تسوقنا إلى معرفة وجوده ووحدانيته، بما يفوق دلالة الكتاب على نفسه أضعافا مضاعفة"[1].

ولقـــد انعكست هذه التربية الفكرية الشاملة على الواقع العملي التوجيهي للإمام النورسي تجاه طلابه. ومن ذلك ما يلي:

١- **الـــبعد عـــن النواقص في التفكير**: فبعد نشر "تاريخ الحياة" وردت رسالة من أنقرة تتحدث عن عدم جواز نشر الصور، فما كان من الإمام النورسي إلا أن "ابتسم وطلب قلما، وبالقلم رســـم خطـــا على عنق الصورة، وقال: اكتبوا إلى صاحب الرسالة: لا ضرر منها الآن؛ الإنسان الناقص لا يقدر على العيش، والإنسان النصف لا يعيش"[2].

٢- **التركيـــز علـــى النوعية لا الكمية**: فالإمام النورسي لم يهتم بالكم في تربيته لطلابه، وإنما انـــصب اهـــتمامه على النوعية، من أجل إخراج جماعة من المخلصين المؤمنين بالفكرة، الأقـــوياء فـــي شخـــصياتهم، الواعين لرسالتهم نحو الدعوة النورية، وكثيرا ما كان يقول لطلابه: "إن الكمية خادعة أحيانا، المهم النوعية والكيفية: أنت إذا ما كنت وسيلة وسببا في ارتباط شخصين بدراسة وفهم رسائل النور أثناء حياتك في فترة التلمذة، وبحيث يؤدي ذلك إلى إنقاذ إيمانهم، تكون قد أديت واجبك.. الإخلاص في الكيفية وليس في الكمية، وتلك هي الخدمة"[3].

٣- **فهم القابليات**: فيروي أحدهم كيف تعلم من أستاذه عمليا فهم القابليات، فيقول: "قال الأستاذ لمـــن أخبـــره أنه منزعج من مهنة التعليم: عليك ترك التدريس يا أخي.. بينما قال لغيره: داوم علـــى مهنتك معلما؛ إن الأطفال رأس مال عظيم للمستقبل، وإن حسن تربيتهم واجب علينا.. لا تتخل أبدا عن سلك التعليم"[4].

1- اللمعات، مرجع سابق، ص: ٥٢٨.
2- الشهود الأواخر، مرجع سابق، المجلد ٣، ص: ١٠٤.
3- نفسه، المجلد ٤، ص: ١٣٦.
4- نفسه، ص: ١٨٣.

٤- **فقــه النوازل**: فلقد حرص الإمام النورسي على تعليم طلابه فقه النوازل والتعامل معها؛ مــن ذلــك ما حكاه أحدهم عن أستاذه قائلا: "جاءني أحد طلابي وسألني: هل أرفع الأذان بالــصيغة الجديــدة أم أتــرك مهنتــي ؟.. فكرت بعض الوقت؛ إذا ما ترك الأخ الصادق المخلص مهنته، فسيأتي أحد المنافقين أو الفاسقين ويقوم بأداء هذه الوظيفة، ولجهله سيعتقد أن ما يقوم به هو الحق والصحيح، ويقع في إثم أكبر، وربما سيفقد إيمانه.. ثم خطر على قلبي خاطرة، وقلت له: أنت لا تترك وظيفة المؤذن. إذا ما صعدت المئذنة ردد الأذان مع نفــسك بحيث لا يسمعك أحد غيرك، وبعد الانتهاء من الأذان الحقيقي تردد ما طلبوه منك، وبذلك تكون قد رفعت الأذان ثم ترجمته"[1].

٥- **إدراك حاجة الزمان والمكان**: فالإمام النورسي علم طلابه أن الأعمال والأقوال التي يقوم بها الإنسان، ينبغي أن تكون بسبب واضح يرضي الله رب العالمين، وطبق ذلك على نفسه قائلا: "لم أؤلف بدون سبب أو بدون داع، إنما كنت أؤلف استنادا إلى سبب ودليل، وكتبت بــناء على حاجة، أنتم أيضا تعرفون وتدركون ما تفعلونه، وتسعون فيه.. إن الرسائل هي لطف ومنة من الله لما تقتضيه حاجة الزمن"[2].

ولهــذا يــدرك بفكــره الواعي ضرورة بقائه في تركيا مهما كانت المظالم والآلام التي يعانــيها، لأن في بقائه الاستقرار للبلاد، يقول لطلابه: "يستدعونني من أرجاء العالم الإسلامي ومن باكستان، لو تركنا هذا البلد لانقلبت الأوضاع فيه؛ نحن الذين نحافظ عليه"[3].

٦- **الوعــي الصحي**: يبين أحد الطلاب هذه التربية العملية للوعي الصحي، قائلا: "عندما يرانا الأستاذ نضع أدوات الأكل على الأرض يمتعض قائلا: إن الذي لا يهتم بنفسه لا يقدر على رعايتي وخدمتي... كما كان يعيد غسل الملابس إذا رآنا نلمسها وهي مبتلة لم تجف بعد"[4].

٧- **الوعي البيئي**: هذا الوعي الذي أشاعه الإمام النورسي من خلال رسائله، وحلقات تدريسه، وجــد الاستجابة لدى بعض الناس، ويروي أحدهم عن ذلك بقوله: "قلت لحاكم التحقيق: إن مراعــي منطقتــنا عبارة عن غابات تحرسها حراس الغابة، ومع ذلك كنا نحرق أشجارها بدون سبب، سوى اللهو والعبث، ثم تحترق أشجار معمرة منذ عصور في لحظات وتصبح

1- نفسه، ص: ٣٩٢.
2- نفسه، المجلد ٣، ص: ٦٥.
3- نفسه، المجلد ٤، ص: ٢٤٠.
4- نفسه، المجلد ٣: ص ٥٩.

رمـــادا. قـــرأت في تلك الرسائل عن فوائد الأشجار الكثيرة للحياة وللبيئة، وأن الأشجار أيضا تسبح وتحمد ربها، أصبحنا نحافظ على الأشجار[1].

المطلب الثاني: نموذج حي للتربية النورية:

لقـــد كـــان الإمـــام النورسي حريصا على تأسيس جيل من طلاب النور ليقوموا بواجب الدعوة النورية، وتربيتهم تربية نورانية تُعدُّ كلا منهم ليكون إنسانا صالحا مصلحا لنفسه وغيره، يعبد الله على بصيرة، ويدعو إلى حقائق الإيمان بالحكمة والموعظة الحسنة، ويستثمر ما منحه الله مـــن قـــدرات كامنة ومهارات متنوعة، في سبيل الارتقاء المعنوي بنفسه، والرقي المعنوي والمادي لغيره من أبناء مجتمعه وأمته، بل ولخير الإنسانية وسعادتها.

ونجـــح – رحمه الله – في جعلهم نماذج حية للاستقامة والصدق، والأمانة والإخلاص، والحلم والعفو، والحزم والانضباط، والإيثار والتضحية في سبيل الله؛ حتى أضحوا أناسا تنعكس أســـماء الله الحـــسنى على عيونهم، وتتدفق من بين أيديهم، فيتبعون هداها منجذبين بقوتها إلى تحقيق وظيفتهم الإيمانية بنشر النور، ومن هؤلاء الذين رباهم – رحمه الله – "جيلان جاليشقان" [١٩٢٩ – ١٩٦٣م].

أولا: فراســـة المربـــي: فلقد منح الله عز وجل الإمام النورسي "مهارة التعرف على بواطن الأمور من ملاحظة ظواهرها؛ فعينه تلاحظ السيماء والعلامات. وأذنه تنصت للكلام وتصريحه وتعريـــضه، ومنطوقه ومفهومه، وفحواه وإشارته، ولحنه وإيمائه. أما قلبه: فللعبور والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيه"[2].

هذه الفراسة كانت ثمرة غرس الإيمان الذي غرسه في أرض قلبه – رحمه الله – الطيبة الـــزاكية، وسقى ذلك الغرس بماء الإخلاص والصدق، وحتى لا يذهب بأحد الظن في المبالغة، نتـــرك الحـــديث لـــوالد "جيلان جاليشقان" ليخبرنا هو نفسه عما رآه وعايشه من فراسة الإمام النورســـي بخـــصوص ولده، حيث يقول: "كان ولدي "جيلان" شديد الذكاء لدرجة كبيرة، أكمل دراسته في المدرسة بصورة جيدة، وعندما أتى الأستاذ بديع الزمان إلى أميرداغ، قلت لجيلان: قم لنذهب ونقبل يد أستاذ جاءنا إلى أميرداغ، ونتقبل دعواته.

ذهبـــنا إليه وألقينا عليه السلام.. ثم أشار إلى جيلان: ماذا يقرب منك ؟ قلت: إنه ولدي سيدي.

1- نفسه، المجلد ٤، ص: ١٧٨.

2- انظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص: ٧٠٦، لسان العرب، مرجع سابق، ص ٣٣٧٩.

وعندما سأل ماذا ستصنع بهذا الفتى ؟

أجبـــته: إن له ذكاء شديدا، أريده أن يستمر في الدراسة. قال لي الأستاذ: انظر يا أخي؛ لـــيس لـــي أولاد، أعطنـــي ولدك هذا، ولأنه ذكي ونبيه فليتلق مني دروس الإيمان أولا، وليقم بخدماتي.. ليكمل دراسته الجامعية بعدئذ.

قلت: لك ما تريد يا سيدي. وخصصت جيلان لخدمة الأستاذ منذ ذلك الوقت[1].

ثانيا: الصدق والاستقامة: فإن أول درس تلقاه جيلان الحفاظ التام على الصدق والاستقامة، فالإمـــام النورسي يكرر عليه قوله: "كن مستقيما دائما، لن تكذب أبدا.. يمكن أن يعطوك مليون ليـــرة لتخوننـــي، ولكن يظل اسمك يذكر بسوء.. عش بتصرفاتك وحركاتك على أسس رسائل النور"[2].

ثالـــثا: الـــتطلع إلـــى الآخرة: لقد رضي الإمام النورسي عن جيلان لسرعة تعلمه دروس الإيمان، واستقامته على رسائل النور (وهو ابن الخامسة عشرة من عمره)، لذلك قال عنه: "إن جـــيلان شاب مقتدر وذو كفاءة، ينجز أعمال الدنيا كما ينجز أعمال الآخرة، ولكنني لن أعطيه للدنيا" وقال له: يا جيلان؛ أنت حياتك أخروية، إذا ما أصبحت دنيوية فستكون قصيرة"[3].

رابعـــا: بث روح الرجولة المبكرة: فالإمـــام المربي المقدر لملكات طالبه وتلميذه، يبث في روحه ونفسه الرجولة قائلا له: "يا جيلان؛ أنت من السعداء والمحظوظين، لأنك استلمت مفاتيح الخدمات المهمة من خزائن رسائل النور في هذا الزمن العجيب، وأخذت أيضا مفاتيحي. سوف تثبت وبصدق ومتانة واحتياط شديد، أنك تليق بحمل هذه الواجبات المهمة والمقدسة. نحن ننظر إليك – رغم كونك صغيرا وحدثا – وكأنك شيخ قوي مصغر، لما نشعر فيك من صدق عميق"[4].

خامـــسا: غـــرس الوعي بطبيعة الدعوة ومقتضياتها: ولما كان جيلان صاحب رجولة مبكـــرة، فإنـــه بحاجة أن يتوسل إلى حفظها بوسيلة الوعي الحذر، والإدراك اليقظ. ولذا يقول الإمـــام له: "كن حذرا؛ لا تعجبنك أهواء الشباب ولا تنخدع بها. لقد حملت إجبارا أحمال وأثقال عشرة من الرجال بدخولك في خدمتي. خطأ صغير منك يسبب ضررا كبيرا.

1- الشهود الأوخر، مرجع سابق، المجلد ٢، ص: (٣١٦ – ٣١٧).
2- نفسه، ص: ٣٤٦.
3- نفسه، ص: ٣٤٨.
4- نفسه، ص: ٣٥٠.

واعلـــم جيدا ومؤكدا أن الحقيقة التي تخدمها، أنك لن يصيبك من نصيب في هذه الدنيا مقابـــل المـــنافع التـــي ستحصل عليها في هذه الدنيا والآخرة.. لكي لا تضيع خزائن الجواهر بالـــزجاج المتحطم باتباع ملذات هذه الدنيا الفانية، لا تسلم نفسك إلى الوساوس التي تسمعها من الإنس والجن بآذان صبيانية"[1].

سادســـا: ترسيخ قواعد الحكمة: فلقد وجه إليه الإمام بعض التوجيهات العملية على سبيل التنبـــيه، لـــيحوز الحكمة، فقال له: "إن هذا الزمن حساس يا جيلان؛ فيجب أخذ الحذر والحيطة عند القيام بفعاليات في سبيل حركة النور، وعليك معرفة هذه النقاط الثلاث الآتية حفظا لسلامتنا وسلامة طلبة النور:

الأولـــى: الالتزام بالاقتصاد وبكل جدية؛ لكي لا يغضب عليك أبواك وتتضرر خدمة النور من جرائها. إن الذي يعمل في مجال التجارة في الدكان لا يبيع البطولات، بل يحسب حساب عشرة قروش؛ فالمال ليس مالك، ولا يجوز أن تتصرف به أو توزعه هدايا.

الثانـــية: لا تحـــاول إظهار نفسك الآن، أو تعمل من أجل المظاهر لكي لا تجلب الأذى "للنور" التـــي هي أمانة بين يديك. اترك أهواءك وملذاتك غير المقيدة؛ فإن ما تقدمه لك الخدمة النورية من لذة تكفيك.

الثالـــثة: لا تفـــتح دواخلك مع كل من يحضرنا إلى هنا، ولا تكشف لهم عن أسرارنا بدون أي داع؛ لأن بيـــنهم مـــن هو بسيط وذو قلب نظيف، أو ذو حيلة وخبيث، أو أحمق يفشي ما عنده، ويخلق من الحبة قبة. ويستفاد من كل هذا الجواسيس والمنافقون"[2].

ســـابعا: التفويض للقيام بالأعمال الخاصة: فلقد صرح الإمام النورسي كتابة: "جيلان هو وكيلـــي، ويقوم بالأعمال التي تخص النور نيابة عني ولحسابي"[3]. لذلك فلا عجب حينما يرسل إلـــيه مـــن السجن رسالة يقول له فيها: "يا جيلان: لقد أرسلت لي "رابعة"[4] قميصا وكمية من الفحـــم، لقد قامت بخدمتي وغسل ملابسي مدة سنة كاملة، لذا لا أقدر على رفض هديتها، وأنا ممـــتن لهـــا لهذه السنة من الخدمة. ولكن، ومقابل ذلك، أرسل لها ماء زمزم وكمية التمر التي جاءتني من مكة المكرمة مع إبلاغها تحياتي"[5].

1- نفسه، ص: ٣٥١.
2- نفسه، ص: (٣٤٩ – ٣٥٠).
3- نفسه، ص: ٣٥٣.
4- هي زوجة عبدالمجيد أخ الأستاذ النورسي.
5- نفسه، ص: ٣٥٣.

ثامـــنا: تفقد أحوال الطالب: فالإمام النورسي كان مربيا قديرا بامتياز، يتابع تلميذه، ويتفقد أحـــواله، حتى إذا أحس في وقت ما، بنقصان حركته، يوجه انتباهه لواقعه مرشدا وناصحا: "يا جـــيلان؛ أشـــعر بنقـــصان وتوقف في كتاباتك وفعالياتك، إن القليل من ضعفكم يثير لدي القلق والتفكير.. إياك إياك ! لربما لديك هموم ما ؟"[1].

تاســـعا: إنـــزال الطالب منزلة عزيزة: فالإمام النورسي يخاطبه في غالب الأحوال قائلا: "أخي الصدوق والعزيز الحقيقي"[2]. ويؤكد له: "يا جيلان؛ لقد أديت واجبك بالتمام، وأنت دائما معي وإلى جانبي روحيا ومعنويا"[3].

وبالمقابـــل، فإن جيلان التلميذ الوفي يقدر ذلك من أستاذه ويقول له باستمرار: "أستاذي العزيز والمحبوب والمبارك جدا، نحن ندعو لدوام عافيتكم وصحتكم مع تقبيل أياديكم"[4].

عاشرا: نجاح المربي في رسالته التربوية يخفف آلامه: فمع معاناة الإمام النورسي من الآلام والأســـقام الناجمة عن ما لاقاه من الأهوال، يقول لجيلان: "إنني رغم ما ألاقيه من عذاب ومهانة وضيق بدرجة أكبر مما تلاقونه، غير أنني أشكر الله ويزول عني عذابي وآلامي عندما يخطر على بالي صدقكم التام وإخلاصكم، الذي يقرب من التضحية والفناء الكامل"[5].

حـــادي عـــشر: المربي يمازح تلميذه: فلقد اتسم الإمام النورسي بالمرونة الحية التي تقدر علـــى مـــواجهة كل موقف بما يليق، تلك المرونة التي تملك في داخلها ضمن ما تملك، طاقة للرحمة والمرحمة، يستمد منها بحرية حين يشاء مقتديا في ذلك بالرسول الأعظم صلى الله عليه وســـلم؛ فعندما كان جالسا مع تلميذه جيلان تقع بعوضة ثاقبة على يد جيلان، وتبدأ بامتصاص دمـــه، "فيحاول جيلان قطع أرجل البعوض بالمقص الذي يحمله، فيقول الأستاذ: ماذا أنت فاعل يا كيجة لي ؟ يجيب جيلان: أطبق القصاص بحقها يا سيدي ويجيبه الأستاذ: إنها تقوم بالحجامة لك"[6].

المطلب الثالث: من ثمار التربية النورية:

مـــا أجمـــل صـــورة هؤلاء الطلاب النوريين ! وما أعظم الجهد الذي بذله أستاذهم في تـــربيتهم علـــى منهج الإسلام ! وما أبهى السمات التي أبهرت المخالفين قبل المحبين !.. إنهم

1- نفسه، ص: ٣٥٤.
2- نفسه، ص: ٣٦٢.
3- نفسه، ص: ٣٥٥.
4- نفسه، ص: ٣٥٧.
5- نفسه، ص: ٣٥٩.
6- نفسه، ص: ٣٦٢.

ممثلو الروحية المحمدية والأخلاق القرآنية، المنشغلون بالاتحاد والتساند والاجتماع، المدركون الفاقهـــون لواقع عصرهم.. وهم كذلك السالمون المتينون عاطفة وفكرا وحسا وشعورا وإرادة، الثابتون القائمون على إعلاء كلمة الله، المستقرون في شخصياتهم، القادرون على دحر نوازعهم النفسانية، الموفقون إلى ارتفاق القلب والعقل معا.

وبالجملـــة، ســـماتهم هي سمات وأخلاق الداعية التي هي ظلال نورانية لجيل الصحابة الكرام، الذين كانوا نجوما هادية، ومنائر للقوة بعد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

هـــذه السمات وغيرها وثقتها شهادات الشهود الأواخر ومشاهداتهم التي رأوها بأعينهم، ومنها ما يلي:

أولا: سماتهم بعيون مخالفيهم: يعبر أحد السجانين عن رؤيته لسمات هؤلاء الطلاب الذين رآهم في السجن، وتعامل معهم عن قرب، فيقول: "لا يمكن لهؤلاء الأبرياء أن يكونوا في موقع الخصم مع الدولة، أو أن يحملوا أفكارا هدّامة تجاهها، أو تكون لهم علاقة بأمور غير مستحبة، إنهم أناس نظيفون أطهار، ومسلمون مخلصون، هدفهم الوحيد الحضور أمام ربهم بقلوب سليمة نقية، بعيدون عن أكل السحت، مستعدون للمحاسبة عن أعمالهم في هذه الدنيا. كانت أيامهم في الـــسجن جميلة؛ تقام صلوات الجماعة، وتقرأ الأدعية، وكأن السجن تحول إلى مسجد.. يا ليتني كنت مثلهم وعلى شاكلتهم"[1].

ثانـــيا: أصحاب نفوس غنية: فقد جاء مقتدر وهو يحمل صرة فيها مال، ويدور ويبحث عن المحتاج إلى المعونة من طلاب النور الخارجين من السجن، "ولما لم يستطع أن يقنع أحدا منهم بقبول مساعدته، اخذ يبكي لأنه لم يعثر على من يستطيع مساعدته.. وهي حادثة تدل على غنى الـــنفس لدى طلبة النور، ومثال حي لمدى الإخلاص الذي يمتازون به، ذلك لأنهم جميعا كانوا فـــي حالـــة عوز وفقر، لم يكونوا يملكون أجور القطارات، فقطعوا المسافات البعيدة مشيا على الأقدام"[2].

ثالـــثا: نمـــوذج للتـــساند الرائع: وعن هذه السمة يقول أحد الشهود: "إن طلبة النور الذي يشكلون مع بعضهم البعض كتلة متراصة ومتساندة، إنما يكسبون القوة والتأييد، ويوجدون نقطة ارتكاز على النطاق الأعم الأوسع لجماعة أهل الإيمان والدين"[3].

1- نفسه، ص: ١٠.
2- نفسه، ص: ١٣٥.
3- نفسه، المجلد ٤، ص: ٥٢.

رابعـــا: تـــضحية عجيبة بالنفس: يتحدث أحد الشهود عن ذلك النموذج العجيب للتضحية، فـــيقول: "حـــسن فيض يوركيل" المعلم ورجل الحقيقة، وخادم الإيمان والقرآن، دفع هذا الشاب بنفسه إلى الموت بدل أستاذه فداء لروحه، وسجل ذلك في أحد أشعاره، حين يقول متضرعا:

لا أحتمل البعد عن باب فيضك لأني نذرت أن تكون نفسي فداك[1].

خامـــسا: شهيد الاستقامة: وهذه سمة لو لم يشهد بها ويشاهدها الكثيرون، لاعتبرها الناس ضـــربا من الخيال، أو لونا من الخرافات؛ فإن " "أحمد عاصم أون أردم" مثال للطلاب الأطهار غايـــة الطهـــارة، المـــستقيم غايـــة الاستقامة، الذي استجوب أمام الحاكم في دائرة استجواب "أسبارطة"، فعلم أن صدقه يلحق الضرر بأستاذه، وأن كذبه يلحق العبء الثقيل بشرفه العسكري الطـــويل المـــستقيم النظيف، فدعا ربه يا رب اقبض روحي.. فتقبل الله دعاءه وقبضت روحه لساعته، واحتار الحاكم في الأمر"[2].

سادســـا: عـــشق الدعـــوة: والأمثلة في ذلك عديدة، وما سبق في جانب منه يدل على هذا العشق؛ فحينما يسأل الطبيب أحدهم: "مم تعاني ؟ أجابه إنني أصبت بمرض يسمى إنقاذ أرواح الـــناس وإيمانهم عن طريق رسائل النور، التي أعطيتها أيامي مع لياليها في عمل دؤوب.. هل لديكم – أنتم الأطباء – أي علاج لمن أصيب بمثل هذا الهيام"[3].

سابعا: أهل ثقة ووفاء: وأصـــدق دليل على ذلك شهادة أستاذهم لهم، في رسالة بعث بها إلى صـــديق له، قال فيها: "أودع لديك سعيدين شباب، وهم: صونغور، وجيلان، وصالح، وعبد الله، وأحمد، وضياء.. هؤلاء أثبتوا إلى الآن – بخدماتهم – أنهم مضحون أوفياء، يفوق وفاء الأبناء لآبائهم. أو دعهم لديك ليكونوا طلابا وكلاء عني، يؤدون مهمة النظارة – بدلا عني – في تلك المدرسة الصغيرة"[4].

وهكذا، رأينا في كل ما أسلفناه، من بداية الكتاب إلى منتهاه، الجمال الذي هو لب الحقيقة الإنـــسانية، ولب كل الحقائق في الوجود.. جمال الدعوة بماهيتها ومصادرها ومعالمها وغاياتها وأهـــدافها وقـــواعدها وأصـــولها.. وجمال الداعية صاحب الوظيفة السامية والأخلاق الفاضلة الـــربانية، وجمال ما اتخذه من عدة، وجمال ما استخدمه من أسلوب.. كما رأينا جمال منطلقات الدعـــوة والداعية في روعة وضوحها، وجمال الفكر الراشد والحركة الإيجابية البناءة، وجمال

1- نفسه، المجلد ٢، ص: ١٢١.
2- نفسه، المجلد ١، ص: ١٩٠.
3- نفسه، المجلد ٣، ص: ٧.
4- الملاحق، مرجع سابق، ص: ٣٣٨.

التــربية الناجحة لطلاب رسائل النور؛ حتى أضحى كل واحد منهم كأنه جمال قرآني مسكوب في قالب بشري، مرآة صقيلة شفافة تعكس من صور الذوق والخلق والأدب، ما يكاد يكون نادر الوجود في هذا الواقع المعاصر.

الخاتمة

الحمـــد لله الـــذي بنعمـــته تـــتم الصالحات، أحمده على ما يسره لي من معايشة للشهود الأواخر، بعقلي وقلبي وحواسي؛ فرأيتهم يغدون ويروحون هنا وهناك، وأبصرت طلاب النور ينطلقون بهمة لا تعرف اليأس، وتساند كالبنيان المرصوص، ومشورة لا تُغفل، بعدما تلقوا من أســـتاذهم دروس الدعوة النورية.. ورأيت الإمام النورسي في صدرهم بعمقه الروحي والعقلي، لا تـــستهويه المظاهـــر في الدين والفكر والحياة.. رأيته جوهريا في أموره كلها، سبار أغوار، غـــواص أعمـــاق.. وشاهدته يقبل بحكمته وحنكته، فيقابل طيش العقول الساهية بالحلم والعلم، وجفـــاء الأرواح الفارغـــة بالـــشفقة والـــرحمة، وغفلـــة النفوس الباهتة ببراهين رسائل النور الألماســـية.. كما رأيته يلقى براءة الأطفال بالتفاؤل والاستبشار وطلب الدعاء.. وسمعته يوجه الغافلين إلى الحذر والتيقظ، والوعي والانتباه.. وشعرت بأنينه المكتوم وهو يذيب بوادر الجفاء بالمحـــبة والإخـــاء.. كما هزتني غضبته العارمة في وجه أهل الكفر المطلق.. وأدهشني ثباته المبهـــر.. كما أنصتُ إلى أصدقاء الحرب والأسر.. وأرهفت إلى همس الحَذِر، وزفرة الواجد، وأنـــين الباكـــي ندما وحسرة.. وفاضت أحاسيسي مع الأحبة ومعاناتهم في السجون، وشعرت بآلامهم وإشفاقهم على أستاذهم شعورا تداعى له جسدي وذهني وحسي بالسهر والأرق.

خلتُ الجميع يحتضنون رسائل النور أمام عيني، وكأنني لم افتقدهم طرفة عين، ولم أفقد ميادين جهادهم المعنوي، ولم تغب عني منافيهم في الأرض.

وحـــسبتني بين يدي الإمام النورسي، أتلقى منه درس "الفقه الأكبر"؛ فأطالع وعيه الكبير بالواقـــع، ويقظـــته الـــتامة لكل ما حوله من مجريات.. ونسجه من رسائل النور مدونة فقهية سلوكية روحية عقلية اجتماعية شاملة عنوانها: الفقه الأكبر؛ ذلك الفقه الذي صان إيمان الأمة، وضبط مقومات الدعوة والداعية، لتنجح الدعوة ويوفَّق الداعية، ويبذر بذور النهوض الإيماني، الآتـــي بالرقـــي المـــادي والمعنوي إن شاء الله رب العالمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجـع

١- إبـــراهيم مدكور، وآخرون، "المعجم الوسيط"، القاهرة: مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة: ١٩٨٥م.

٢- البهـــي الخولي، "تذكرة الدعاة"، القاهرة، مكتبة دار التراث، الطبعة الثامنة: (١٤٠٨هـــ - ١٩٨٧م).

٣- بديـــع الـــزمان ســـعيد النورسي، "كليات رسائل النور" – الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م.

٤- بديـــع الـــزمان ســـعيد النورســـي، "كليات رسائل النور" – الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م.

٥- بديـــع الـــزمان ســـعيد النورســـي، "كليات رسائل النور" – اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م.

٦- بديـــع الـــزمان ســـعيد النورسي، "كليات رسائل النور" – المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م.

٧- بديـــع الـــزمان ســـعيد النورسي، "كليات رسائل النور" – المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م.

٨- بديـــع الـــزمان ســـعيد النورســـي، "كلـــيات رسائل النور"، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م.

٩- بديع الزمان سعيد النورسي، "كليات رسائل النور"، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م.

١٠- بديـــع الـــزمان سعيد النورسي، "كليات رسائل النور"، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م.

١١- عبد الكريم زيدان، "أصول الدعوة"، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة (١٤١٨هـــ - ١٩٩٨م).

١٢- علـــي عـــبد الحليم محمود، "فقه الدعوة على الله"، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: (١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م).

١٣- عمار جيدل، "حقيقة مقاصد رسائل النور"، القاهرة: دار النيل، الطبعة الثانية (١٤٣٠هـــ - ٢٠٠٩م).

١٤- ماجـــد عرسان الكيلاني، "أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة"، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية: (١٤١٧هـــ - ١٩٩٧م).
١٥- محمد الغزالي، "مع الله – دراسات في الدعوة والدعاة"، دمشق: دار القلم، الطبعة الثالثة: (١٤١٩هـــ - ١٩٩٨م).
١٦- محمد المكرم بن منظور المصري، "لسان العرب"، القاهرة: دار المعارف طبعة ١٩٧٩م.
١٧- محمد سعيد رمضان البوطي، "شخصيات استوقفتني"، بيروت: دار الفكر المعاصر، الطبعة السادسة (١٤٢٧هـــ - ٢٠٠٦م).
١٨- محمـــد فـــتح الله كون، "طرق الإرشاد في الفكر والحياة"، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: دار النيل، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م
١٩- محمد فتح الله كولن، "ونحن نبني حضارتنا"، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، القاهرة: دار النيل، الطبعة الأولى: ٢٠١١م.
٢٠- محمد فتح الله كولن، "ونحن نقيم صرح الروح"، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، القاهرة: دار النيل، الطبعة الثانية: ٢٠٠٦م.
٢١- نجـــم الـــدين شـــاهينز، "الشهود الأواخر. شهادات ومشاهدات عن بديع الزمن النورسي"، ترجمة: مأمون رشيد عاكف، القاهرة: سوزلر للنشر، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م.